كتابي

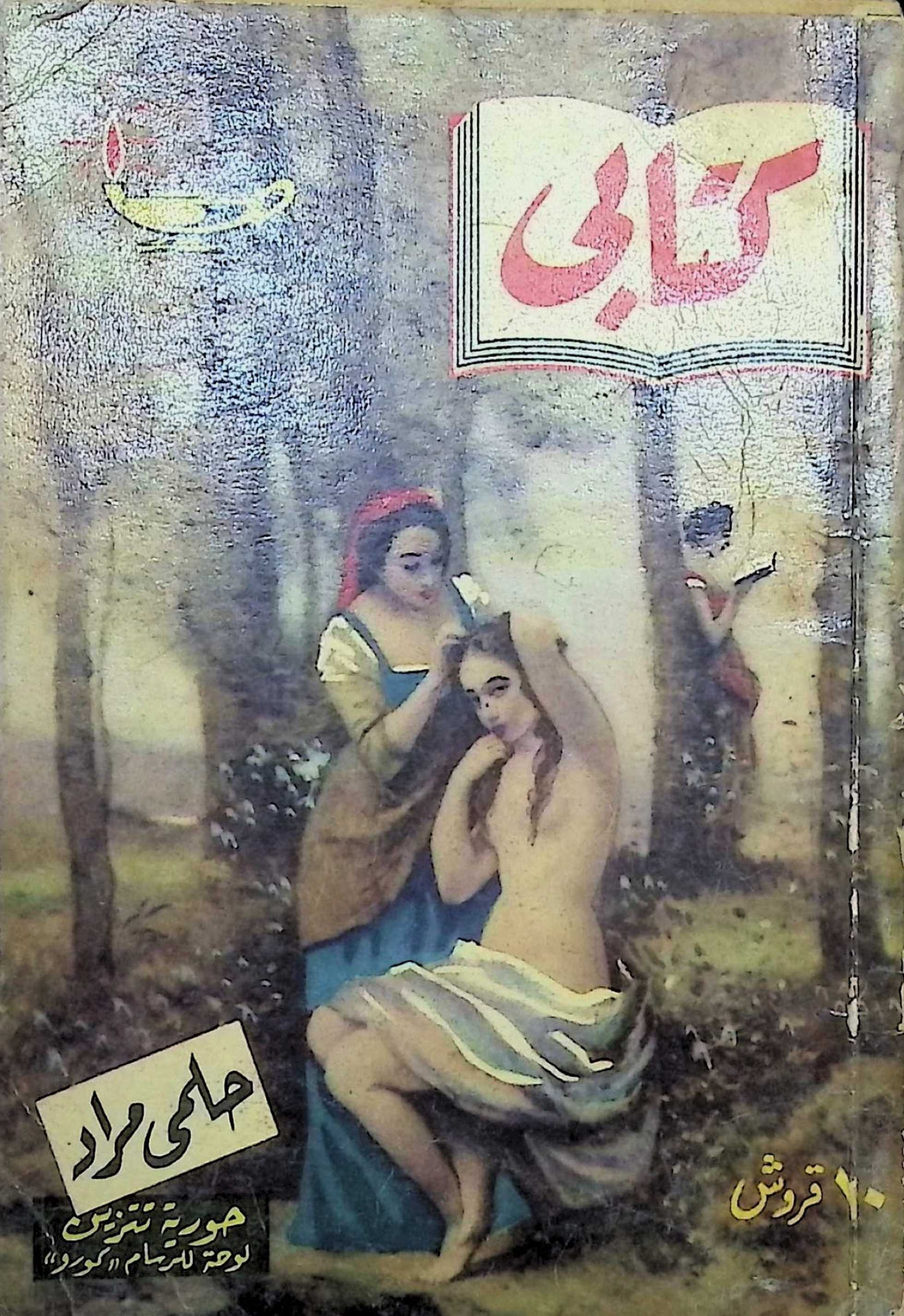

حلمي مراد

حورية تتزين
لوحة للرسام «كورو»

١٠ قروش

كتابي

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتـــاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الرابع والأربعون (السنة الرابعة) : نوفمبر ١٩٥٥
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول ــ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ــ بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

كتابى يأخذ على عاتقه أضخم مشروع

لتعميم الثقافة

عزيزى القارىء ..

◆ عندما أصدرت ، من أجلك ، العدد الأول من « كتابى » ، ليسد فراغا كان شاغرا فى عالم المطبوعات العربية ، فيقدم لك « تلخيصا » أمينا لثمانية من الكتب العالمية فى كل عدد .. كان يراود أحلامى فى الوقت نفسه - وأحلامك أنت أيضا فيما أعتقد - مشروع آخر : هو أن أقدم لك النص «الكامل» لشوامخ الكتب العالمية ، القصصية وغير القصصية ، التى لا مكان فى المجتمع الثقافى فى العصر الحديث ، لشخص لم يقرأها !.. كنت كلما مررت بواجهات مكتبات القاهرة ، فشاهدت فيها الطبعات الانجليزية ، والفرنسية ، والايطالية ، والألمانية ، لمؤلفات تولستوى، وروسو، ودستويفسكى، وفلوبير، وجيته، ودانتى، وهوميروس ، وديكنز ، وهوجو ، وفولتير ، وأوسكار وايلد .. ومئات غيرهم .. تنتابنى حسرة موجعة ، مبعثها ان مكتبات القاهرة - أو غيرها من العواصم العربية - التى تتيح لك نسخا من تلك الشوامخ الخالدة بجميع اللغات الأوربية ، تعجز عن أن تمدك بنسخة عربية من هذه الكتب ، مترجمة ترجمة كاملة ، أمينة ومعتمدة ..

وقد كانت هذه الحقيقة تحمل فى طياتها أحد معنيين ، أو كليهما :

المعنى الأول ان لغتنا العربية عاجزة عن ان تصاغ بها تلك الروائع العالمية التى ترجمت منذ مئات السنين الى جميع اللغات الأوربية !

والمعنى الثانى ان القارىء العربى لا يستحق عناء ترجمة هذه الروائع واصدارها من أجله !

وكلما حز فى نفسى هذان المعنيان الأليمان .. أو كلما

استمتعت بقراءة النص الكامل لكتاب من تلك الكتب ، فى احدى الطبعات الفرنسية أو الانجليزية، كنت أسائل نفسي حالما : متى أستطيع ان أيسر للقارىء العربى كل هذه الكنوز ؟.. وكيف ؟

.. فلما أصدرت « كتابى » ، فحققت به الشطر الأول من حلمى القديم ، وتوثقت الصلة بينى وبينك ، عاد التفكير فى الشطر الثانى من هذا الحلم يلح على خاطرى ، ويزداد الحاحا كل يوم !.. حتى أجبرنى على ان أخرج الفكرة الى حيز التنفيذ منذ عامين ، ولكن فى حذر ، فرأيت ان أبدأ المغامرة بتجربة مأمونة العواقب الى حد ما ، هى اصدار قصتين كانتا مقررتين على طلبة المدارس فى العام الأسبق ، وأعنى بهما : قصة مدينتين ، وذات الثوب الأبيض

وكم آلمني يومئذ ، اضطرارى - خضوعا لذلك الاعتبار - الى نشر تينك القصتين ، لا بنصهما الكامل ، بل فى القالب «الموجز» الأعرج الذى كان مقررا على الطلبة فى ذلك العام .. القالب الذى لا هو بالتلخيص القصير المعترف بأنه تلخيص ، ولا هو بالنص الكامل الأمين !

فلما ظفرت القصتان باقبالك واقبال الطلاب فى وقت واحد، تقدمت بالمشروع خطوة أخرى ، فالتزمت فى الكتاب الثالث - « الخالدون » - نصه الكامل كما كتبه المؤلف .. وخرجت به فى الوقت نفسه - وعلى سبيل التجربة - عن دائرة القصة ، الى دائرة السير والتراجم لحياة العظماء .. ثم كررت التجربة فى الكتاب الرابع - الخاطئة - الذى قدمت لك فيه النص الكامل لقصة ، لا لسيرة .. وقد ظفر الكتابان منك بنجاح جاء مصداقا لظنى فيك ، ودليلا جديدا على اننى أسير فى الطريق الذى تنشده ..

على أن مشكلة كبرى كانت لاتفتأ تنغص على أحلامي وتضطرنى الى ارجاء مشروعى : تلك هى أن أكثر الروائع الكلاسيكية الخالدة تزيد صفحاتها ، بنصها الكامل ، على حيز عدد واحد من

«مطبوعات كتابى» ، بل ان الكثير منها تبلغ صفحاته الخمسمائة صفحة ، وبعضها يصل الى الألف !

وساءلت نفسي حائرا : ماذا أفعل ؟ هل أصدر الكتاب الطويل الذى من هذا القبيل فى جزء واحد ضخم ، يصل الى ضعف أو ضعفى الجزء الواحد الذى اعتدته ، وبضعف أو ضعفي ثمنه المألوف ؟ ٠٠ أم أصدره فى أكثر من جزء ، فى فترات متقاربة ، كى يسهل عليك اقتناؤه ، بل وتسهل عليك قراءته أيضا ؟

وآثرت الحل الثانى ٠٠ وعلى ضوء هذا الاعتبار أصدرت لك قصة « حياة امرأة » ، فى مايو الماضى ، فى جزئين ٠٠ فوجدت منك تقبلا حسنا للفكرة وتأييدا لها

وازاء ذلك ، ومنذ ذلك التاريخ ، عكفت على اتمام العدة لانجاز المشروع الذى طالما نازعتنى نفسى اليه : مشروع اصدار سلسلة دورية منتظمة من هذه المطبوعات ، متضمنة الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية ، القصصية وغير القصصية ، لأشهر المؤلفين ، من جميع اللغات ٠٠

ولما كان تنفيذ هذا المشروع ، على هــذه الصورة المنتظمة المتلاحقة ، يتطلب حشد جهود عدد كبير من أكفأ المترجمين ، كى يتفرغ كل منهم «لدراسة» العمل الادبى الضخم المنوطة ترجمته به ، ثم يشرع فى هذه الترجمة على مهل ، وفى اناة ودقة كاملتين ، الأمر الذى قد تستغرق معه ترجمة الكتاب الواحد عدة شهور ٠٠ لذلك كان على أن أشرك معى فى هذا المجهود كل من يقبل التعاون معى على تأدية هذه الرسالة ، من الأدباء والمترجمين الاكفاء ٠٠ وقد رحب بهذه المهمة ، حتى كتابة هذه السطور ، السادة :

الدكتور محمد مندور

الدكتورة سهير القلماوى

الدكتور لويس عوض

الاستاذ محمد بدر الدين خليل

الاستاذ فرج جبران
الاستاذ سعد مكاوى
الاستاذ كليم أبو سيف

أما الكتب التى اخترتها كى تحملها اليك «مطبوعات كتابى» فى الاشهر القادمة باذن الله ، فهى مجموعة ضخمة منتقاة ، تكفل لك تكوين أكمل مكتبة عربية رفيعة الأسلوب ، أنيقة الطبع ، زهيدة الثمن ٠٠ واليك القائمة الاولى من هذه الكتب (ويسرنى أن أضمنها – بين وقت وآخر – بعض روائع المسرحيات العالمية أيضا ، القديمة والحديثة) :

جين اير ٠٠٠٠٠٠ شارلوت برونتى
مرتفعات وذرنج ٠٠ اميلى برونتى
هيلويز الجديدة : جان جاك روسو
اعترافات جان جاك روسو
الحرب والسلم ٠٠٠٠٠٠ تولستوى
سلطان الظلام ٠٠٠٠٠٠٠ تولستوى
ذهب مع الريح : مرجريت ميتشل
عنبر الى الابد ٠٠٠٠ كاثلين ونسور
عشيق الليدى تشاترلى: د٠هـ٠لورنس
أبناء وعشاق ٠٠٠٠ د٠هـ٠لورنس
مدام بوفارى ٠٠٠٠جوستاف فلوبير
دافيد كوبرفيلد ٠٠ تشارلس ديكنز
الملك اوديب ٠٠٠٠٠٠٠ سوفوكل
ديكاميرون ٠٠٠٠٠٠٠ بوكاشيو
ايفانهو ٠٠٠٠٠٠ سير ولتر سكوت
حد الموسى ٠٠٠٠٠ سومرست موم
صورة دوريان جراى : أوسكار وايلد
مروحة الليدى وندرمير: أوسكاروايلد
بيجماليون ٠٠٠٠٠٠٠ برنارد شو
هرنانى ٠٠٠٠٠٠٠ فيكتور هوجو
أحدب نوتردام ٠٠٠٠ فيكتور هوجو
كوخ العم توم٠٠هارييت بيتشرستو

◆ الفندق الكبير ٠٠٠٠٠ فيكى باوم
◆ وليم تل ٠٠٠٠٠٠ فردريك شيللر
◆ نساء طروادة ٠٠٠٠٠٠ يوريبيدس
◆ الجريمة والعقاب ٠٠٠٠ دستويفسكى
◆ اخوة كارامازوف ٠٠٠٠ دستويفسكى
◆ الأم ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مكسيم جوركى
◆ الالياذة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠ هوميروس
◆ الاوديسة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠ هوميروس
◆ كارمن ٠٠٠٠٠٠٠ بروسبر ميريميه
◆ الأحمر والأسود ٠٠٠٠٠٠ ستندال
◆ كانديد ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ فولتير
◆ غانية روما ٠٠٠٠٠٠ البرتو مورافيا
◆ مارى ستيوارت ٠٠٠ ستيفان زفايج
◆ ٢٤ ساعة فى حياة امرأة ٠٠ زفايج
◆ دون كيشوت ٠٠٠٠٠٠٠ سرفانتس
◆ اشجان فرتر ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جيته
◆ فاوست ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جيته
◆ بيت الدمية ٠٠٠٠٠٠ هنريك ابسن
◆ البخيل ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ موليير
◆ تيريز راكان ٠٠٠٠٠٠٠٠ اميل زولا
◆ مأساة امريكية ٠٠٠ تيودور درايزر
◆ الوصمة الحمراء ٠٠ ناثانييل هوثورن

الأب جوريو .. اونوريه دى بلزاك ◆ سافو .... الفونس دوديه
اوجينى جرونديه : اونوريه دى بلزاك ◆ سيرانو دى برجراك : ادمون روستان

اما العدد الاول من هذه المجموعة ، الذى يصدر قبيل منتصف نوفمبر الحالى بعون الله ، فقد اخترت له قصتين كاملتين - معا - لأديب ايطاليا المعاصر « البرتو مورافيا »

وبعد .. فانها مغامرة ، ومقامرة ، ضخمة كما ترى .. لكنى أقدم عليها مسلحا بنفس الأسلحة التى دخلت بها الميدان حين أصدرت العدد الأول من «كتابى» : مسلحا بالفكرة .. والعزيمة .. والايمان !

الايمان بالله .. وبالأدب .. وبك !

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

« كتابى » يشترى الأعداد الخمسة الأولى من القراء

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الخمسة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة .. فقد رأت ادارة « كتابى » ان تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الخمسة الأولى ، تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة ، فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا او بالبريد المسجل .

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل ، وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا - فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن الخ ..) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية Money Order عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة) . وفى الحجاز والكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا واستراليا قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) خالصة أجر البريد ، وفى المانيا ١٦٠ قرشا (عن سنة) بخلاف أجر البريد الجوى

كتابى

أعداد نفدت

الكتب الستة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع « **صنم تحطم** » ، والعاشر « **حديقة الله** » ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » ، والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيهـا الربيع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشـيطان على الأرض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحـادى والعشرون « **حياة بتهـوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالث والعشرون « **كوخ العم توم** » ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون « **ترويض النمرة** » ، والثامن والعشرون « **فن الحب** » ، والتاسع والعشرون « **الجريمة والعقاب** » ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **اميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **اقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **سالومى** » والسادس والثلاثون ، والسابع والثلاثون ، والثامن والثلاثون ، والتاسع والثلاثون ، والأربعون ، والحادى والاربعون ، والثانى والاربعون ، والثالث والاربعون .

◆ وتطلب من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) ، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ما عدا الاعداد ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو أذون البريد الخارجية. وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين

٢ ـ ذات الثوب الابيض

٣ ـ الخـالدون

٤ ـ الخاطئـة

٥ ـ حياة امراة (الجزء الأول)

٦ ـ حياة امراة (الجزء الثانى)

وثمن كل من الاول والرابع ، عشرون قرشا خالصـا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشك نفادهما) ، والثانى ١٢ قرشا ، والثالث ١٠ قروش ، والخامس والسادس ثمانية قروش

نافذة "كتابي" تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

باريس فى ٢٠ قرنا !

◆ اجملت لك فى الفصل السابق تاريخ (باريس) خلال الالفى عام الماضية ، منذ ظهرت الى الوجود نواتها الأولى - حوالى عام ٥٣ قبل الميلاد - فى صورة جزيرة صغيرة باسم (لوتيتشيا) تتوسط ضفتى السين ، فى المكان الذى يعرف الآن باسم حى « الجزيرة » ، والذى صار واحدا من ٢٦ حيا تتالف منها باريس اليوم !

ثم رأينا كيف وصلت جحافل الرومان الى تلك البقعة ، فى عهد « يوليوس قيصر » ، فازدهرت (لوتيتشيا) على أيديهم واتسعت رقعتها ، ثم استبدلوا باسمها اسم (باريس) ، نسبة الى قبيلة « باريزى » التى كانت تقطنها فى الأصل .

وفى القرن الرابع غزت قبيلة « الفرانك » الجرمانية الاقاليم المحيطة ، وكانت تعرف باسم بلاد « الغال » ، فاطلقت عليها اسم فرنسا - نسبة الى اسم القبيلة - واتخذت باريس عاصمة لها . وفى القرن ذاته تعرضت البلاد لغزو آخر من جانب قبائل البرابرة « الهاون » ، بقيادة زعيمهم « اتيللا » .. فكادت باريس تدمر وتمحى من الوجود ، لولا شجاعة راعية غنم تدعى « جنيفييف » ، قامت بنفس الدور الذى قامت به - بعد قرون - خليفتها « جان دارك » ، فانقذت باريس من غزو البرابرة ، وعرفت منذ ذلك التاريخ باسم « القديسة جنيفييف ، حامية باريس » !

وفى بداية القرن الثالث عشر ، فى عهد الملك « فيليب اغسطس » ، احيطت المدينة بسور من التحصينات تتخلله عشرون بوابة ، كما شيد الملك لنفسه قصر « اللوفر » ، وكان عدد شوارع باريس يومئذ ٢٢٠ شارعا .. ثم استمرت المدينة تنمو وتتسع ، حتى بلغ عدد سكانها فى القرن التالى ١٥٠ الف نسمة.. واحيطت فى عهد « شارل الخامس » بسور جديد تتوسطه قلعة « الباستيل » المنيعة ..

ثم تتابعت على باريس الاحداث العنيفة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر : فاحتلها الانجليز زمنا ، حتى طردوا منها بفضل بطولة « جان دارك » .. ثم نشبت فيها حرب دينية بين الكاثوليك والبروتستنت ، انتهت بانتصار الطائفة الأولى وتتويج قائدها « هنرى نافار » ملكا على فرنسا ..

وفى عهد لويس الثالث عشر ، ضمت الى العاصمة الفرنسية احياء جديدة من ناحية الغرب ، وبلغ تعداد سكانها (فى عام ١٧٣٠) ٥٦٠ الف نسمة .. وفى

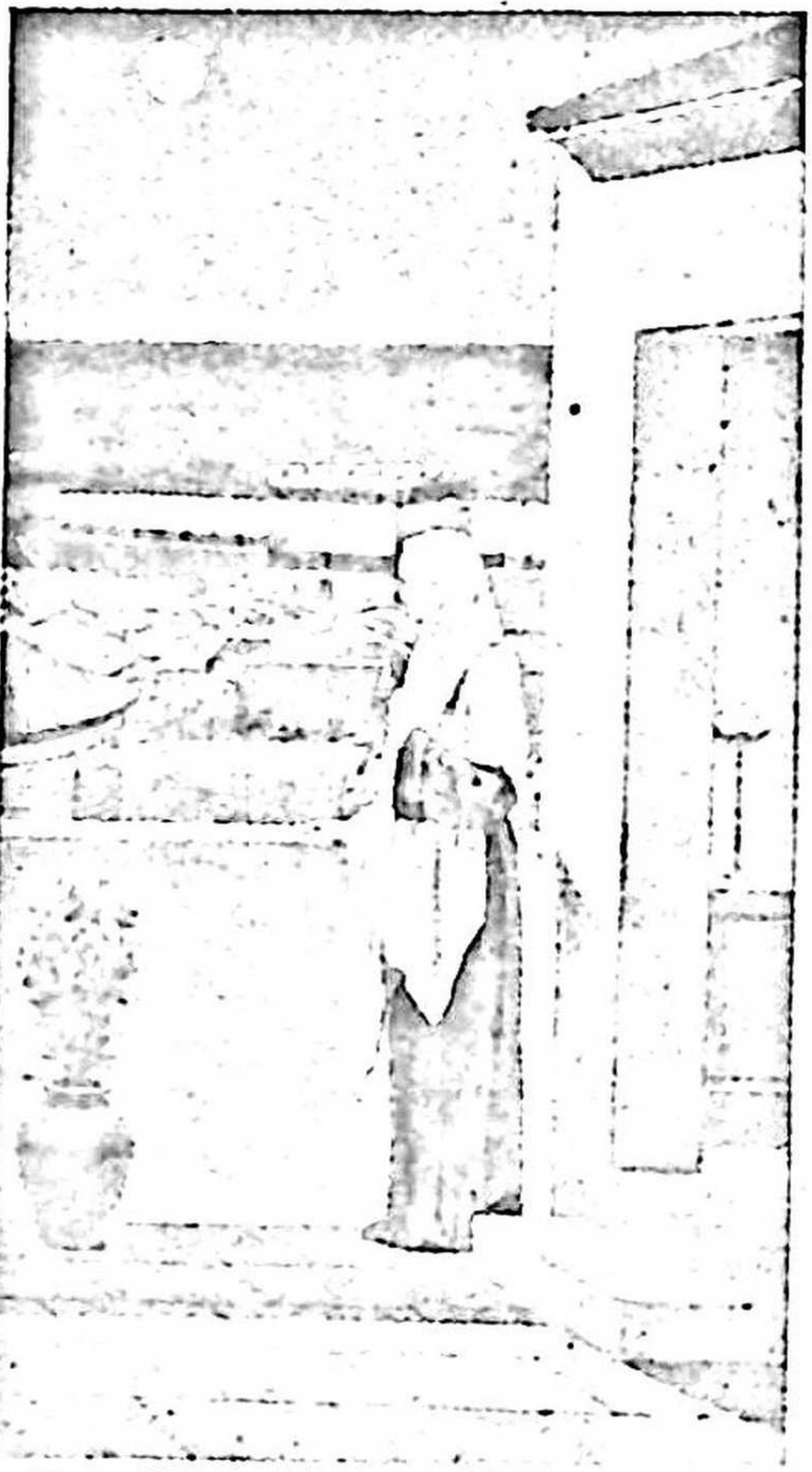

لوحة فى «البانثيون» تمثل «القديسة جنيفييف ، ساهرة على حماية باريس !»

تلك الآونة بدأت توضع فى الشوارع لوحات باسمائها ، واستبدلت المصابيح القوية ب « فوانيس » الاضاءة الضئيلة ، وجعلت للمبانى أرقام .. ثم استمرت حركة العمران تنشط وتتسع فى عهد الملكين لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر ، حتى شبت الثورة ، فدمرت من مبانى باريس أكثر مما شيدت ! لكن عجلة الاصلاح والتعمير استانفت دورانها فى عهد نابليون وبعد عودة الملكية ، فانشئت فى باريس أول خطوط للأتوبيس ، كما حفرت شبكة مجاريها الضخمة التى امتدت مسافة ٢٤ ميلا . وكان تعداد سكانها يومئذ ٩٥٠ ألفا .

« بغدادى » باريس !

◆ وفى عهد نابليون الثالث شهدت باريس نهضة ضخمة فى تخطيطها وتجميلها ـ شبيهة بالتى تشهدها القاهرة اليوم على يد المصلح الثائر عبد اللطيف البغدادى ـ وقد تزعم تلك الحركة يومئذ مدير البوليس البارون «هوسمان» الذى تغلب على معارضة أنصار المحافظة على الطابع التاريخى التقليدى ، فقضى على أحياء المدينة القديمة بالاعدام ، وبدأ مرحلة خلق باريس العصرية التى سبقت غيرها من العواصم الى توفير أسباب الراحة والتقدم الجديرين بالعصر الحديث .. وكان من أبرز أعمال التعمير فى تلك المرحلة اخلاء حى الجزيرة من نحو ٢٥ ألفا من سكانه ، وهدم مساكنهم العتيقة ، ثم انشاء مجموعة من المبانى الضخمة المشرفة التى غيرت معالم الحى ! .. كما شقت شوارع جديدة بلغ عرضها عشرة أضعاف ما كان ! واستغرق تجديد « قصر العدالة » الشامخ نحو ٧٤ عاما ، لم يكد يبقى بعدها حجر من أحجاره فى موضعه ! .. ثم انشئت لباريس « رئتان » من الحدائق والغابات هما غابة « بولونيا » وغابة « فانسين » .. كما زرعت الأشجار الباسقة على جانبى جميع الشوارع الفسيحة ، وانشئت شبكة

ضخمة من الطرق التى تربط باريس بجميع انحاء فرنسا ، بل اوربا كلها .. ومدت شبكة المجارى تحت الارض حتى بلغ طولها ٤٧٠ ميلا .. وكان عدد سكان باريس قد وصل يومئذ - عام ١٨٦٦ - الى مليون وثمانمائة الف نسمة !

برج ايفل .. والمترو تحت الأرض !

◆ ثم شهد عام ١٨٧٠ حصار الالمان لباريس خلال الحرب السبعينية ، وفى

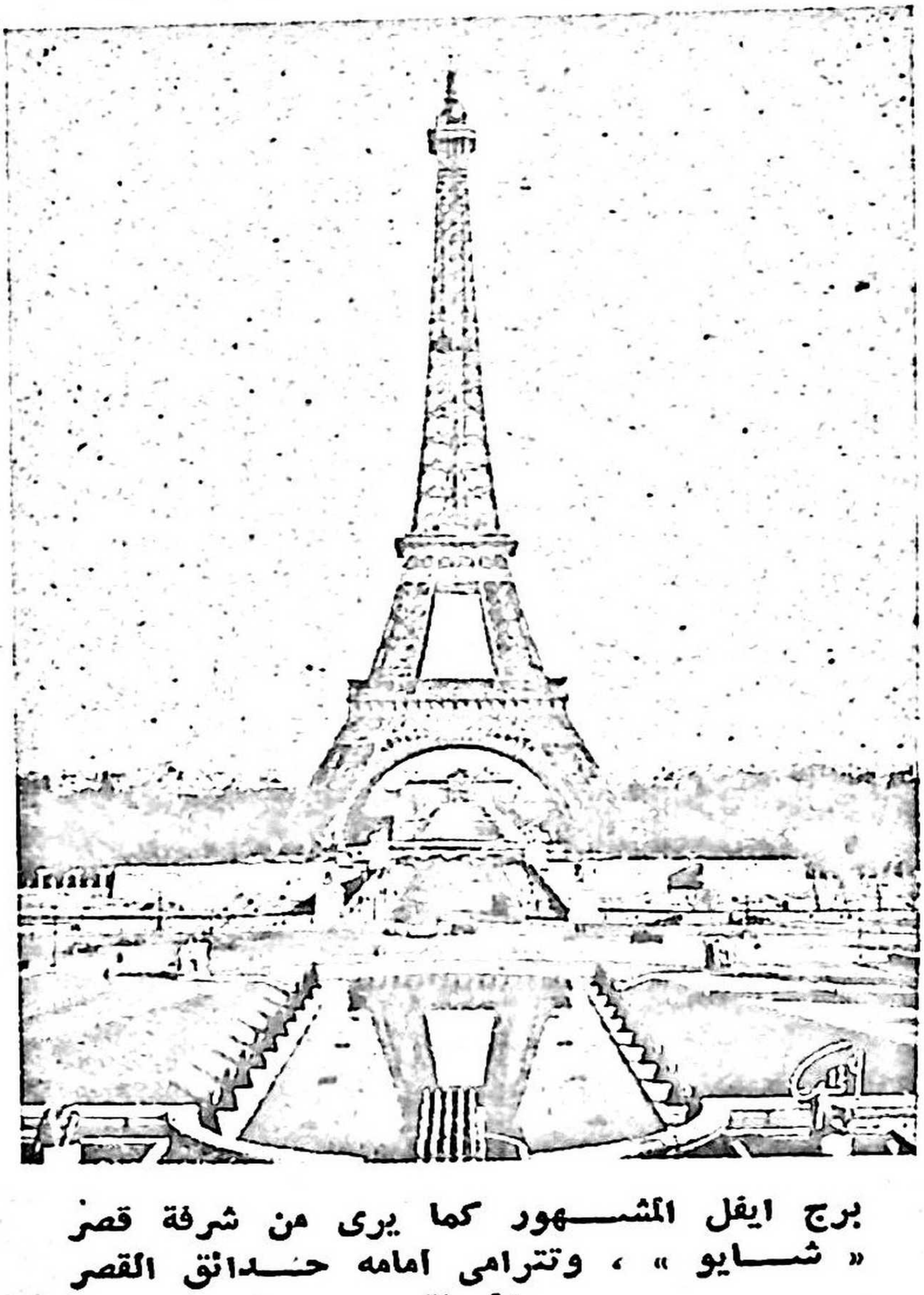

برج ايفل المشهور كما يرى من شرفة قصر « شايو » ، وتترامى امامه حدائق القصر الجميلة

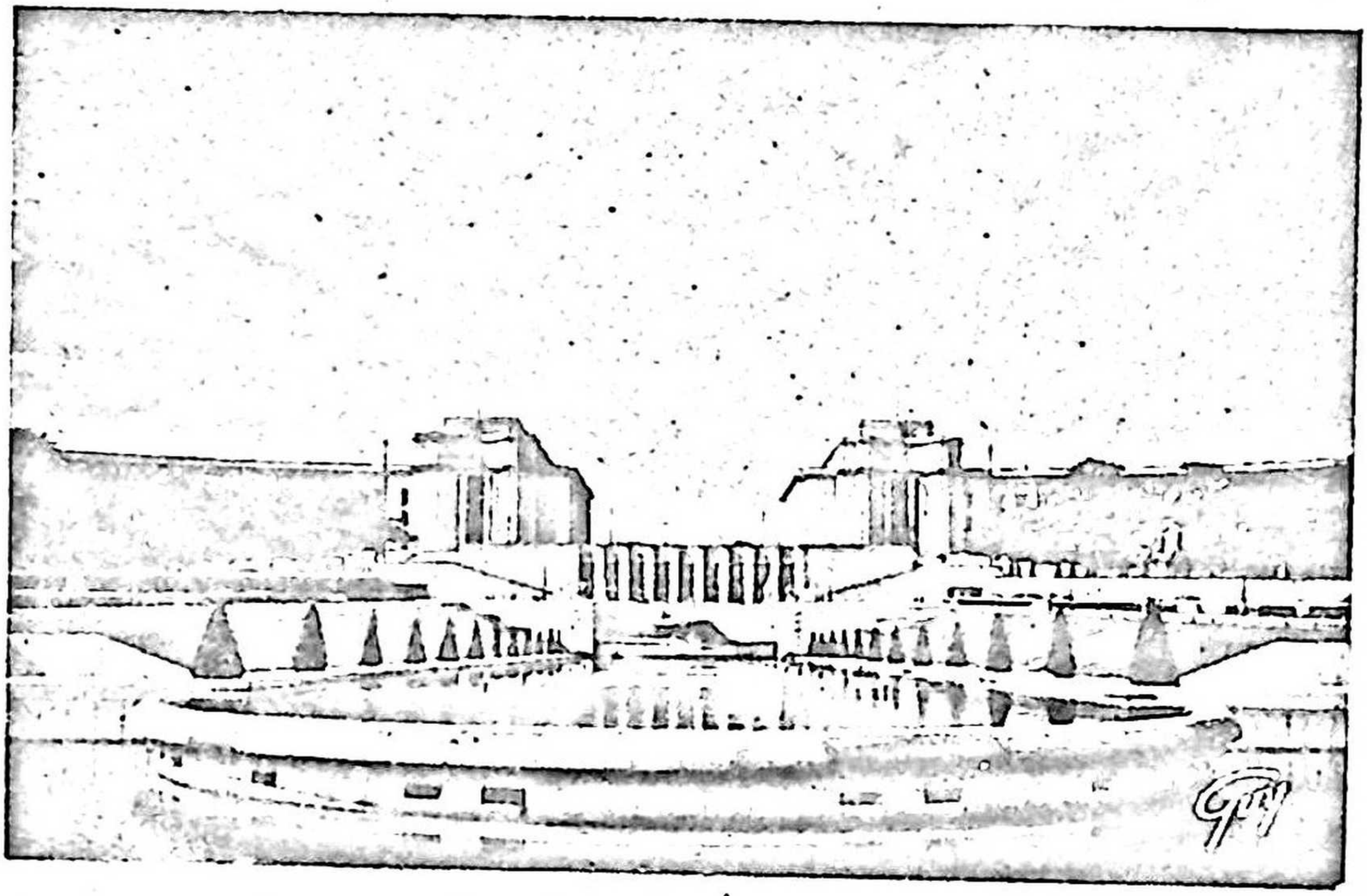

قصر «شايو» الذى اقيم فيه معرض باريس الدولى سنة ١٩٣٧ ، ودورة هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٥١ .. وتحيط به بحيرة صناعية جميلة وحدائق فسيحة

العام التالى نشبت الحرب الاهلية .. ثم جاءت الجمهورية الثالثة فاحتضنت ونفذت ما بقى من برنامج « هوسمان » الاصلاحى ، فلما حل عام ١٩٠٠ كانت حركة المرور قد فاقت كل احتمالات الماضى وتقديراته ، فانشىء مشروع «المترو» الجبار الذى يسير تحت الارض مئات الاميال فى كل اتجاه ، (والذى يتالف من عشرات الخطوط التى تسير فى عدة طوابق بعضها فوق بعض ! وهو معجـزة ساحدثك عنها بالتفصيل فى فصل تال) .. وفى سنة ١٩٠٠ انشىء برج ايفل ، لمناسبة اقامة معرض باريس الدولى ، كما شيد عدد من القصور الفاخرة التى تستخدم فيما لا حصر له من المعارض العامة ، المحلية والدولية ، فى شتى المناسبات ..

وعاقت الحرب العالمية الاولى عجلة التقدم ، لكن عودة السلام اخلت الطريق امام سلسلة جديدة من الاصلاحات ، كان من ابرزها انشاء المدينة الجامعية ، لايواء طلبة كل دولة فى جناح انيق خاص بهم ، داخل اسوارها .. وفى عام

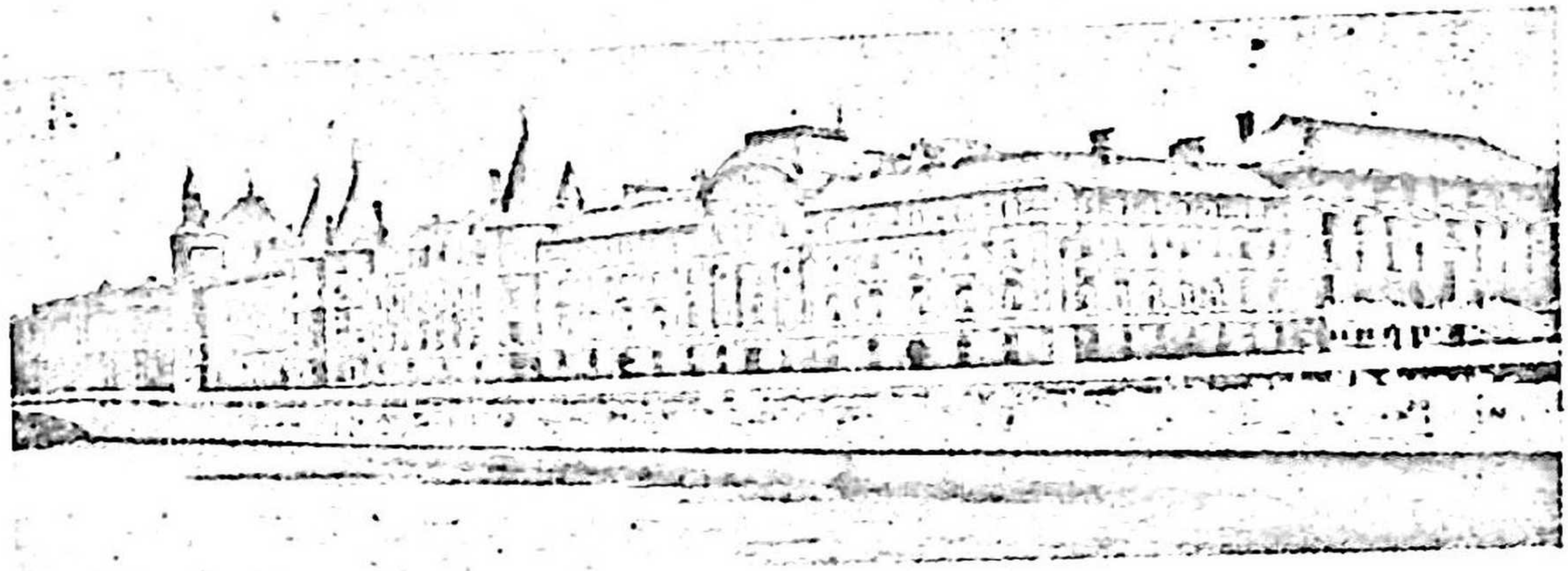

قصر العدالة وسجن « الكونسيرجيرى » ، وقد انعكست ظلال قبابهما على مياه السين

١٩٣٧ اعيد بناء قصر « التروكاديرو » وسمى باسم قصر « شايو » ، لمناسبة معرض باريس الدولى التالى (وقد أضيفت أجنحة جديدة اليه فى عام ١٩٥١ ، قبيل عقد دورة هيئة الامم المتحدة فيه) .

ونشبت الحرب العالمية الثانية ، بغاراتها الجوية المروعة ، واحتلال الالمان لباريس أثناءها نحو أربعة أعوام ، ثم قتالهم مع أبنائها فى الشوارع خلال حركة التحرير فاصيبت المدينة ببعض الاضرار ، لكنها كانت ضئيلة لا تذكر ، فبقى لباريس جمالها وتراثها ، لحسن الحظ !

.. وهكذا ، خلال أكثر من عشرين قرنا ، وبرغم الحروب والثورات وسفك الدماء ، التى تعاقبت على فرنسا أثناءها ، فان القدر ظل يبتسم لباريس ، مبقيا عليها كمدينة من أجمل مدن العالم ، بل لعلها أجملها على الاطلاق !

ليالى باريس ..

◆ **والآن** ، أحسبك قد تعبت من « التـاريخ » والماضى .. فهل تود أن نعيش قليلا فى الحـاضر ، فى باريس العـامرة بالحياة ، والحركة ، والمرح ، والصخب .. فى باريس التى لا تنام ؟ .. **اذن تعال نقضى ليلتنا الاولى من « ليـالى باريس » متسكعين بين ثلاثة من أماكن اللهو الرئيسية فى العاصـمة الفرنسية : بين مسرح « الفولى برجير » ذى الشهرة العالمية ،**

وأحد ملاهى ميدان « بيجال » الماجنة ، ثم نختم الليلة بسهرة « وجودية » فى أحد « كهوف » حى (سان جرمان دى برى) !

٠٠ فاذا أرضينا فضولنا الطبيعى الى أخذ « فكرة » عن هذه « العينات » المشهورة من سهرات باريس ، بدأنا فى الغد سياحتنا بين المعالم « النهارية » لمدينة النور

وأول ما يستحق الزيارة من ملاهى باريس فى نظرى ، وأجدرها بالاعجاب الحق ، و « الاحترام » ، هو ملهى « الفولى برجير » الذى اقترن اسمه زمنا طويلا باسم المغنى الفرنسى الظريف « موريس شيفالييه » ، نجمه الأول فى سنوات ما قبل الحرب ٠٠

ويقع الملهى فى حى « مونمارتر » البوهيمى المشهور ، وفى شارع ضيق متواضع لا يتناسب مع شهرة الملهى بحال ! ٠٠ بل ان واجهة المسرح تصدمك لأول وهلة ، اذ لا تزيد فى مظهرها عن واجهة أية دار من دور سينما الدرجة الثانية ، فى أحد أحياء القاهرة الوطنية ! ٠٠ على أنك لا تكاد تعبر الباب الى الردهة الداخلية للمسرح ، ثم الى صالة التمثيل ذاتها ، حتى تجد نفسك فى جو انيق يشعرك بأنك فى أحد مسارح الدرجة الاولى ٠

ثم تقودك العاملة الى مقعدك ، وتقف لحظة فى انتظار « البقشيش » شبه « الاجبارى » الذى لابد لك من دفعه فى جميع مسارح باريس بلا استثناء ، والذى يتراوح عادة بين ٢٠ و ٥٠ فرنك ، (أى قرشين وخمسة قروش بالعملة المصرية) ٠ فاذا كنت تجهل هذا التقليد فلم تمد يدك بالأتاوة المنتظرة ، حدجتك العاملة بنظرة احتقار وقحة !

سوق الجمال والفتنة !

◆ وترفع الستار وتعزف الموسيقى ، فاذا أنت قد انتقلت فجأة الى عالم سحرى عجيب من المناظر الاستعراضية التى لن أستطيع أن

أصفها لك ، مهما أطلت وأطنبت ! ٠٠ مئات من أجمل راقصات العالم ، فى أجمل أزياء السهرة الهفهافة ، ذات الالوان الخلابة ، والذيول ، والاكمام ، والمراوح العريضة ، والقبعات الجميلة المصنوعة من الريش ٠٠ وبعد أن يرقصن ويتبخترن ، ويلتئمن فى تشكيلات هندسية رائعة مختلفة ثم يتفرقن ٠٠ تهبط الستار ٠ وقبل أن تلتقط أنفاسك ، ترفع من جديد ، فاذا خشبة المسرح قد دارت حول نفسها فى ثوان فقدمت لك الآن منظرا ثانيا استغرق اعداده طوال الفترة التى كانت تعرض فيها « النمرة » الاولى ٠٠ وهذا المنظر الثانى قد يكون سلاملك ضخم فاخر لأحد القصور ، تتهادى عليه فرقة راقصات من نوع آخر ، فى أزياء أخرى مغايرة كل المغايرة ٠٠ أو قد يكون غابة كثيفة الشجر تمرق خلالها جنيات الليل ، حتى يجتمع شملهن فيرقصن تحت ضوء القمر الحالم ، على أنغام موسيقى سماوية تنقلك الى عالم آخر كله دعة وعذوبة ، وتخدر ٠٠ أو قد يكون المنظر لبحيرة فى حديقة قصر ، تسبح فيها حوريات فاتنات ٠٠ ويدهشك أن ترى خشبة المسرح وقد انبثقت فى جزء منها بالفعل بحيرة امتلأت بمياه حقيقية يكاد يصيبك رشاشها !

ثم يتغير المنظر ، فى مثل لمح البصر ، ويعقبه منظر آخر لعاشق ينتظر معشوقته فى بستان يانع الخضرة ، قد رشقت فى أنحائه أحواض الزهر ٠٠ وفجأة تسمع صوتا ملائكيا يرتفع بأغنية شجية أروع من شدو البلابل ، وتتلفت باحثا عن مصدر الصوت ٠٠ لكنك لا تهتدى اليه ، الا حين تسلط الاضواء على سقف المسرح الشاهق ، فاذا « بالكروانة » المختفية تجلس فى قفص ذهبى كبير قد انشق عنه السقف ، وأخذ فى الهبوط تدريجا وهى تغنى ، والموسيقى تصاحب غناءها ، حتى يستقر بها بعد فترة طويلة فى الممر الاوسط الذى يتخلل مقاعد المتفرجين !

٠٠ وعلى هذا النمط تقضى نحو ثلاث ساعات فى جو من المناظر الخلابة ، والاستعراضات الفنية الرائعة ، والموسيقى والغناء الساحرين ، والجمال البشرى والجمال المصنوع ٠٠ حتى تحس ان بصرك وسمعك وحواسك جميعا قد أصيبت ب « تخمة » من السحر الحلال !

فاذا غادرنا مسرح « الفولى برجير » ، كان أمامنا نحو ساعة قبل أن تفتح ملاهى ميدان « بيجال » أبوابها للساهرين ٠٠ فتعال نتناول شيئا من الطعام فى أحد « بوفيهات » الطريق ثم لنستقل سيارة تطوف بنا بعض ميادين باريس الهامة التى تضاء ليلا بالأنوار الكاشفة ، فتبدو فى أبهى حلة ٠ وأهم هذه الميادين ، ميدان «الاتوال» الذى يتوسطه «قوس النصر» ، ثم ميدان « الكونكورد » المترامى الأطراف ، الذى تتوسطه المسلة المصرية السامقة ، والنافورة الخلابة التى تعد من أجمل نافورات العالم ! ٠٠ ومهما أسهب فى الوصف ، لن يتسنى لى أن أصور لك روعة هذين الميدانين فى الليل ، عشر معشار ما تصور لك

منظر رائع لقوس النصر كما يبدو ليلا ، وقد سلطت عليه الأضواء الساطعة .

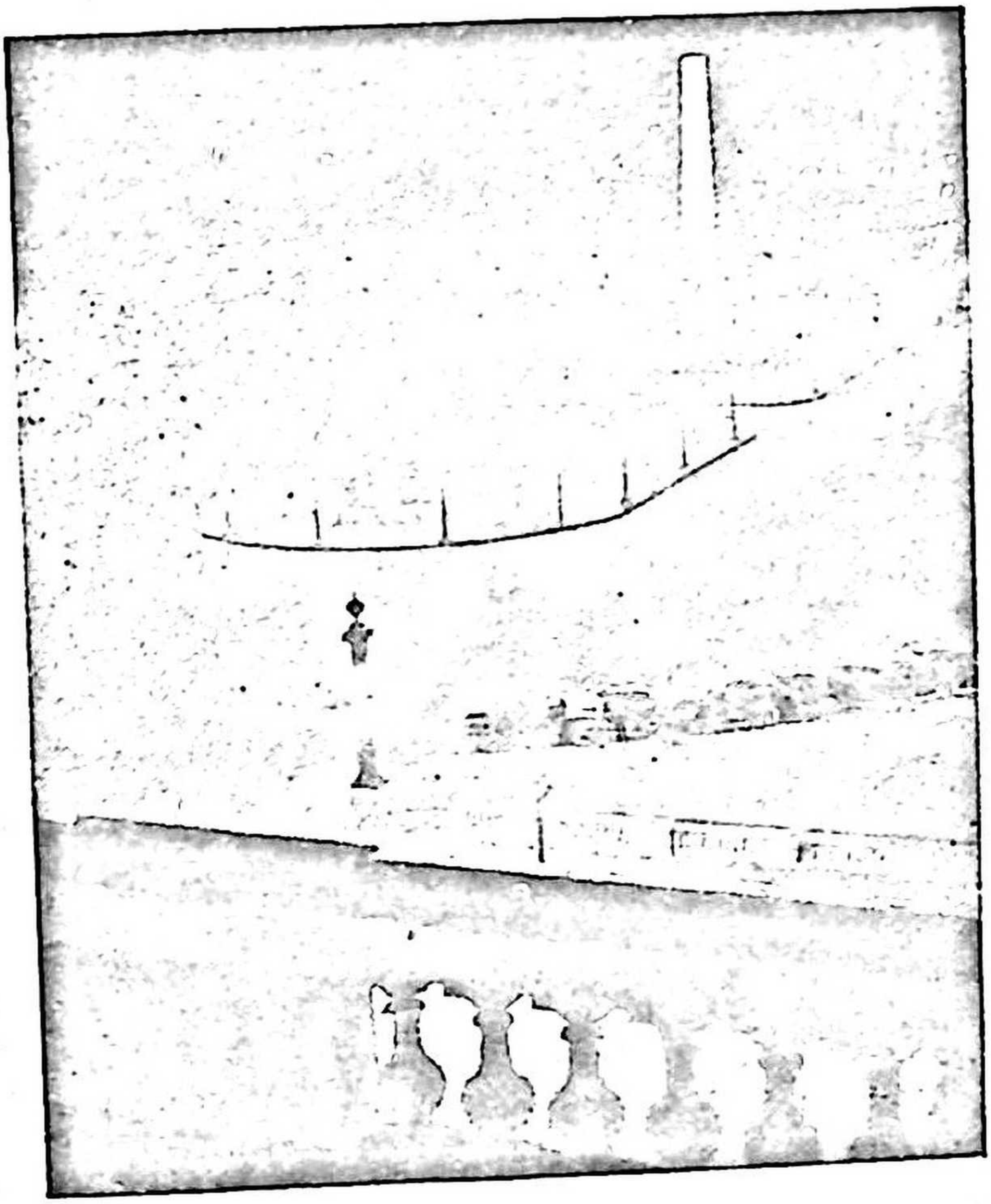

ميدان الكونكورد كما يبدو ليلا ، بمسلته المصرية ونافوراته المضاءة .. ويعتبر من اجمل ميادين العالم

هذه الروعة الصور الثلاث المنشورة لهما مع هذا الكلام

استعراضات العراة فى ميدان « بيجال »

◆ **فاذا** انتهينا من جولتنا السريعة الى كاباريه « حـــواء » مثلا ، فى ميدان (بيجال) — وفى الميدان المـذكور ثلاثة أو أربعة كباريهات متشابهة البرامج — ألفينا أنفسنا فى جو آخر

مغاير للجو السابق تماما ٠٠ جو « علبة » من « علب الليل » ـ كما يطلقون عليها فى باريس ـ ذات قاعة صغيرة نسبيا ، تناثرت فيها المناضد ٠ وفى مؤخرة المكان « بار » جلست اليه بعض « أرتيستات » الملهى مع نفر من رواده ٠٠ وفى الطرف الامامى من القاعة حلبة الاستعراض التى تقوم مقام خشبة المسرح ـ وان كانت منخفضة ، لا تكاد تعلو عن مستوى

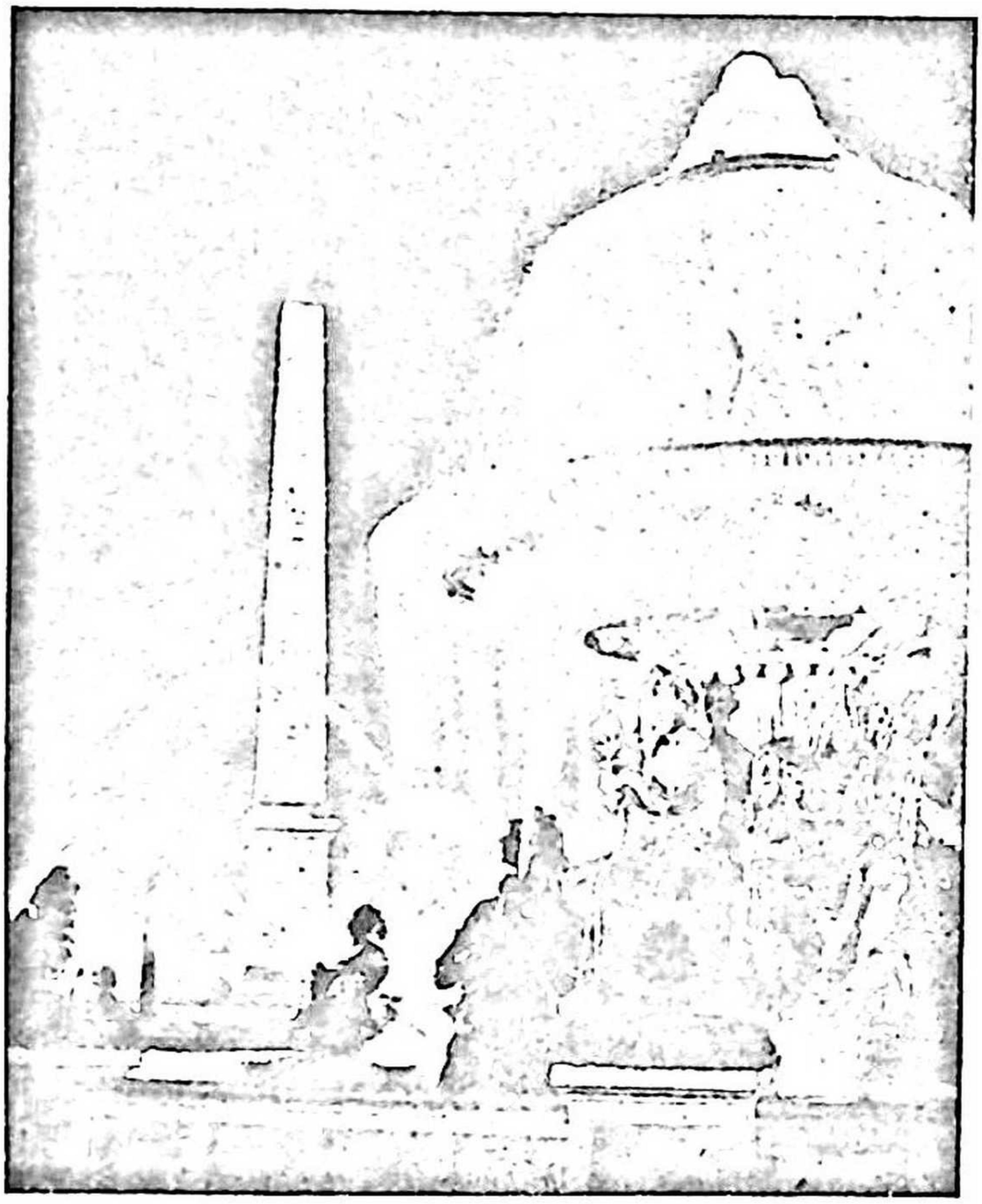

صورة ليلية خلابة للمسلة المصرية الشامخة التى تتوسط، اعظم ميادين باريس ، وبجوارها نافورة لا مثيل لجمالها

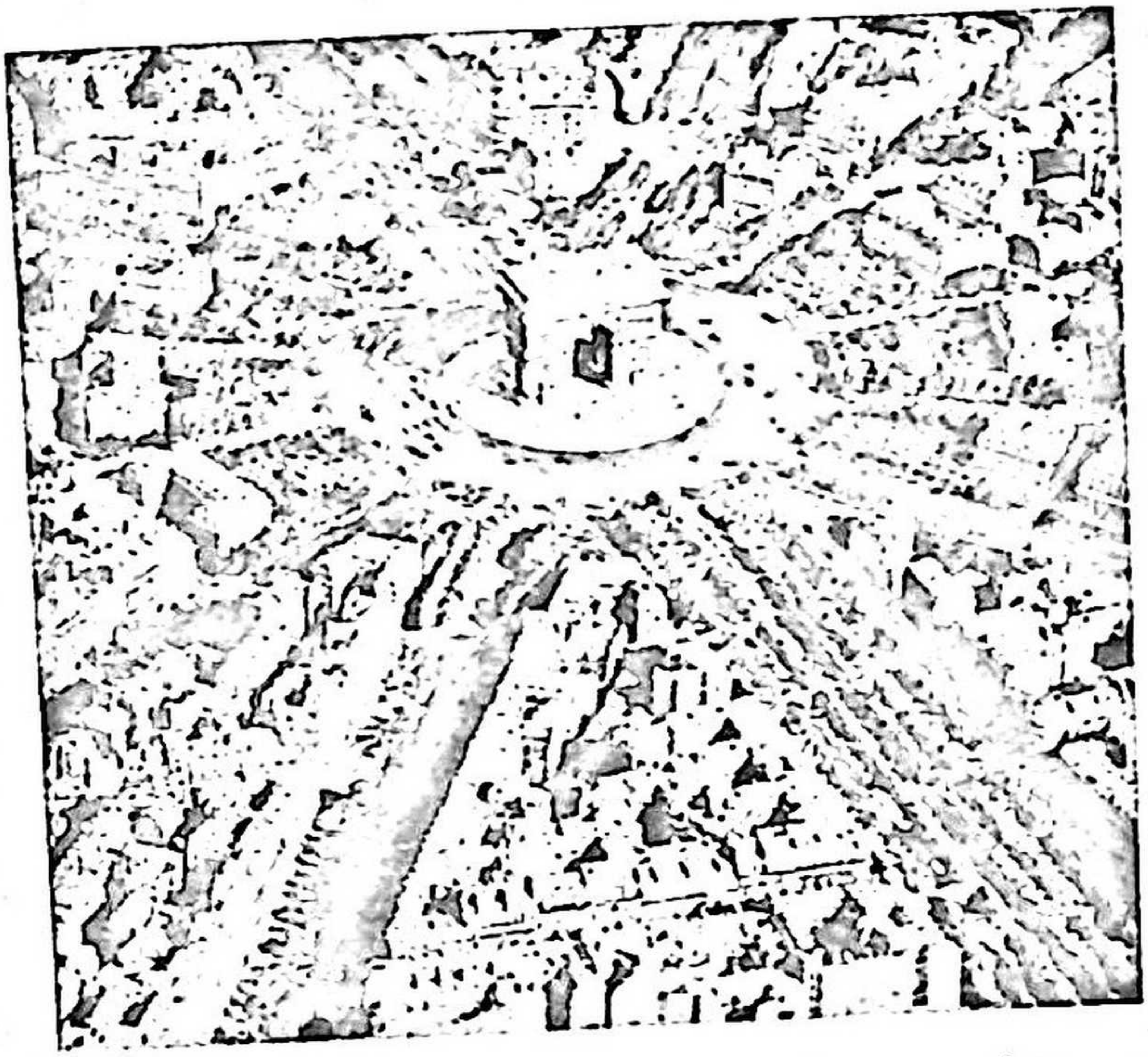

منظر من الجو لقوس النصر فى ميدان «الاتوال» – النجمة – وقد تفرع عنه ١٢ شارعا عريضا ، اوسعها شارع الشانزليزيه

المتفرجين ، كى يتسنى للراقصات مداعبة الجالسين حول المناضد الامامية !

فاذا جلست الى احدى المناضد ، أقبل الساقى على الفور يحمل اليك زجاجة شمبانيا – ثمنها خمسة آلاف فرنك (أى خمسة جنيهات مصرية !) – ثم فتحها وصب لك منها فى كأسك ، دون أن تطلبها ! .. لذلك يلجأ أكثر زائرى الملهى من ذوى الدخل المحدود الى الذهاب اليه جماعات ، من نحو خمسة أو ستة أشخاص ، كى يكون نصيب كل شخص من «ضريبة» الشمبانيا ، محتملا ! .. على ان لسقاة الملهى سلاحا مضادا لهذا « التكتل » الدفاعى ، فان الساقى منهم يظل يرقب

كؤوس الجالسين حول المناضد ، فلا تكاد تفرغ حتى يسارع الى ملئها ، المرة تلو المرة ٠٠ حتى اذا فرغت الزجاجة ذاتها أحضر من تلقاء نفسه زجاجة أخرى ، بخمسة جنيهات أخرى ٠٠ وهكذا !٠٠ ومن طريف ما حدث ونحن نتأهب لزيارة ذلك الملهى ــ وكنا أربعة ، من المصريين والمصريات ــ ان موظفة الاستقبال بالفندق الذى كنا فيه تطوعت باطلاعنا على حيلة ماكرة يقاوم بها الفرنسيون جشع أصحاب مثل ذلك الملهى ، وهي أن تكف الجماعة الجالسة حول المنضدة عن الشرب متى فرغ من الزجاجة نصفها أو ثلثاها ، وتترك كؤوسها نصف ممتلئة ، حتى ينتهى البرنامج ، وبذلك لا يجرؤ الساقى على

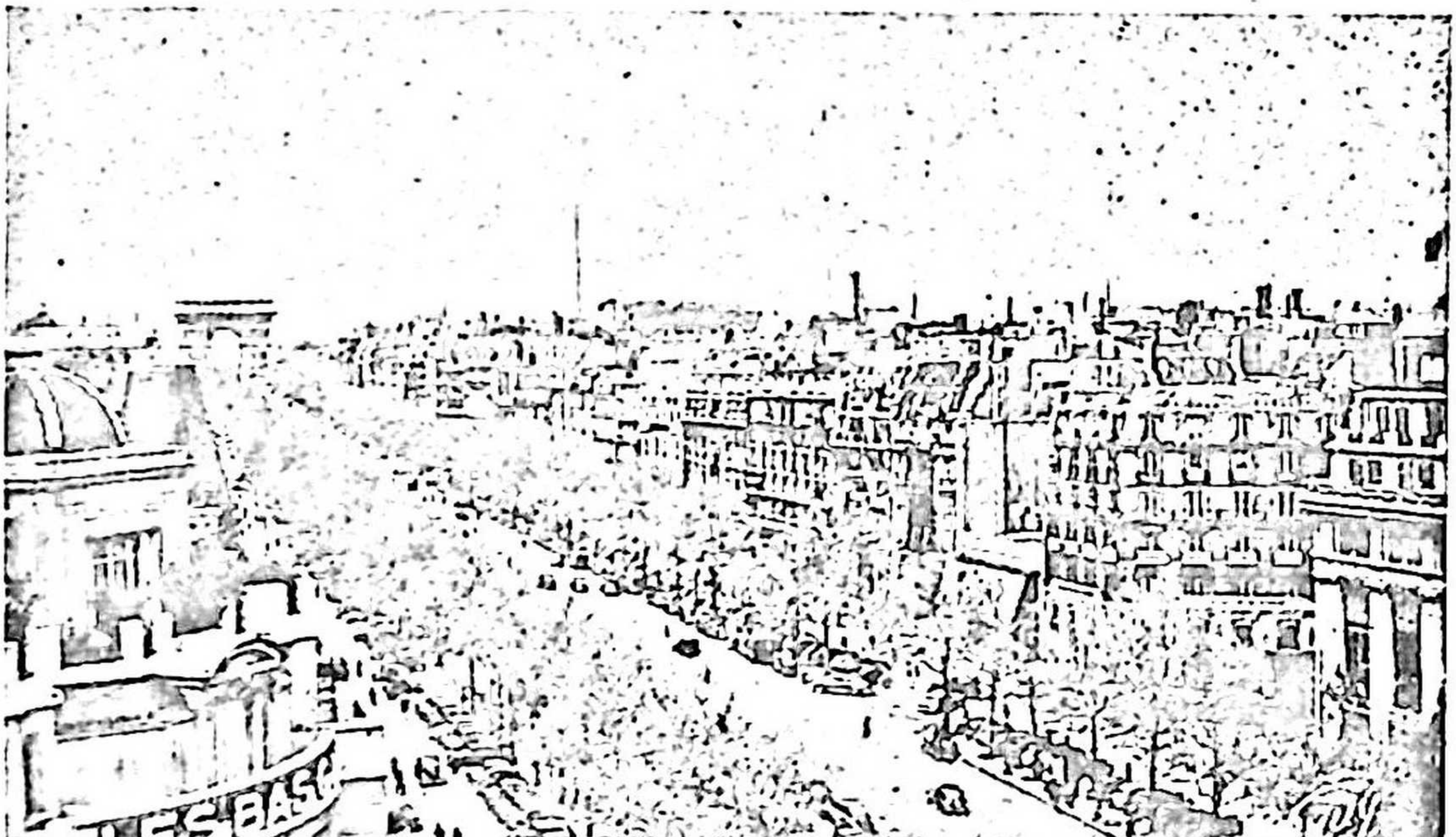

طريق «الشانزليزيه» ذو الشهرة العالمية ، ويزيد عرضه على ١٠٠ متر ، وهو مقسم الى عدة شوارع وارصفة متوازية ، وتحف به المبانى الشاهقة والاشجار الظليلة ، والمقاهى الانيقة

أن يملأ كؤوسا لم تفرغ بعد ٠٠ وبالتالى تنجو الجماعة من ٠٠ الزجاجة الثانية !

وبرامج ملاهى ميدان (بيجال) لا تحتـــاج الى اطالة فى الوصف ، فهى لا تخرج عن كونها برامج (خليعة) تظهـــر فيها الراقصات عاريات تماما الا من ورقة التـــوت ! ٠٠ ثم يمثلن « سكتشات » هزلية قصيرة تحفل بالنكات الماجنـة ٠ وتنفرد باريس دون مدن العالم بهذا اللون من اللهو الاباحى ، الذى يعتبر ولا شك من أسباب تهافت السائحين عليها ، من شتى أقطار الارض ٠٠ على ان القوم ـ والحق يقال ـ يبرعون فى « اخراج » تلك الاســتعراضات العارية ، واضـفاء الجو « الفنى » عليها ، سواء من ناحيـــة الاضاءة أو الموسـيقى ٠

قالوا ٠٠ فى باريس !

◆ « ان «اللهو» كلمة فرنسية ، ولن تجد معناها الحقيقى الا فى باريس ! »

الفيلسوف الفرنسى «تين»

◆ « طالما كانت باريس موجودة ، سوف يظل المرح فى العالم ! »

نوستراداموس (عام ١٩٥٥)

◆ « عندما تتعاطى باريس السعوط ـ «النشوق» ـ تعطس فرنسا كلها ! »

الاديب الروسى « جوجول »

◆ « لن تقهر باريس ٠٠ اللهم الا اذا اراد اهلها ذلك ! »

كامولو جينوس (عام ٥٣ قبل الميلاد)

◆ « المدن الاخرى مجرد مدن ، اما باريس فهى عالم بأسره ! »

شارل الخامس ملك فرنسا (عام ١٥٣٩)

◆ « ان باريس تفهم كل شىء ، وتغفر لك كل شىء ، حتى ان تعيش معيشة الفيلسوف ! »

الامبراطور الرومانى «جوليان» (القرن الرابع)

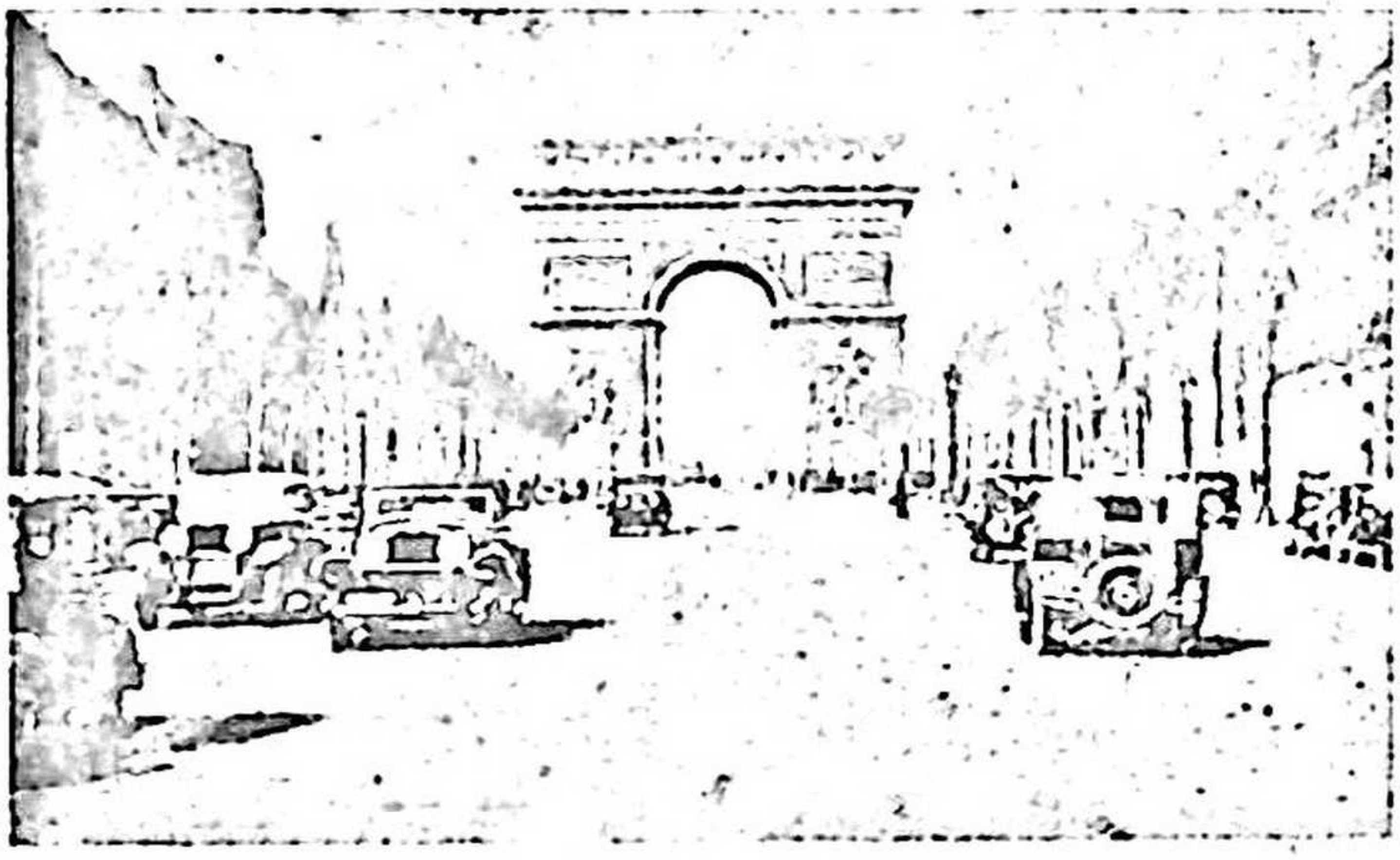

صورة تبين مدى اتساع شارع الشانزليزيه ، الذى يصل بين ميدانى الكونكورد والاتوال ، ويخترق فى جزء منه حدائق الشانزليزيه

والايقاع ، بحيث انهم يجردونها بالفعل — فى نظرى — من أكثر عوامل الاثارة الجنسية أو الاباحية !

سماسرة الفجور •• والفاء البغاء

◆ **والآن** ، تعال معى نغادر ميدان بيجال — وقد انتصف الليل — الى حى الوجوديين : « سان جرمان دى برى » ، الذى تبدأ سهراته من منتصف الليل •• الى الصباح !

واثناء خروجنا من الملهى ، نلمح واحدا أو اثنين من سماسرة الفجور المرذول ، الذين يتصيدون الرجال «المنفردين» — الذين لا تصحبهم سيدات — كى يهمسوا فى آذانهم بالكلمات المعسولة ، الواعدة بسهرة ممجوجة من سهرات الشذوذ الجنسى ، بكافة أنواعه •• وسواء بالممارسة أو مجرد المشاهدة !

نعم ، الى هذا الحد يبلغ فهم باريس لمدلول « الحرية » •• وممارستها اياها ! •• ولا يحد من هذا « الخطر » سوى ان السهرة من ذلك اللون تتعذر على غير المترفين من الشبان المنحلين ، فانها تكلف صاحبها نحو ١٥ ألف فرنك (١٥ جنيها) !

وعلى ذكر الشباب ومشكلاته ، فى باريس ، قد يدهشك أن تعلم ان فرنسا ــ التى تسمح بكل هذا ــ قد أغلقت بيوت البغاء الرسمى فى مدنها منذ بضـــعة أعوام ، على اثر حملة برلمانية تزعمتها نائبة من النســاء كانت فى شبابها بغيا ، وقاست ــ فيما تقول ــ من المهانة التى تستشعرها محترفات البغاء ، ما ألهب وجدانها حقدا على الرجال وانتصافا لنســاء حرفتها ! ٠٠ على ان السلطات الفرنسية تفكر هذه الايام فى العدول عن قرارها والترخيص باعادة البغاء ، على اثر ما تبينته من سوء تأثير الكبت الجنسى فى الشباب ، سواء من حيث تكوين

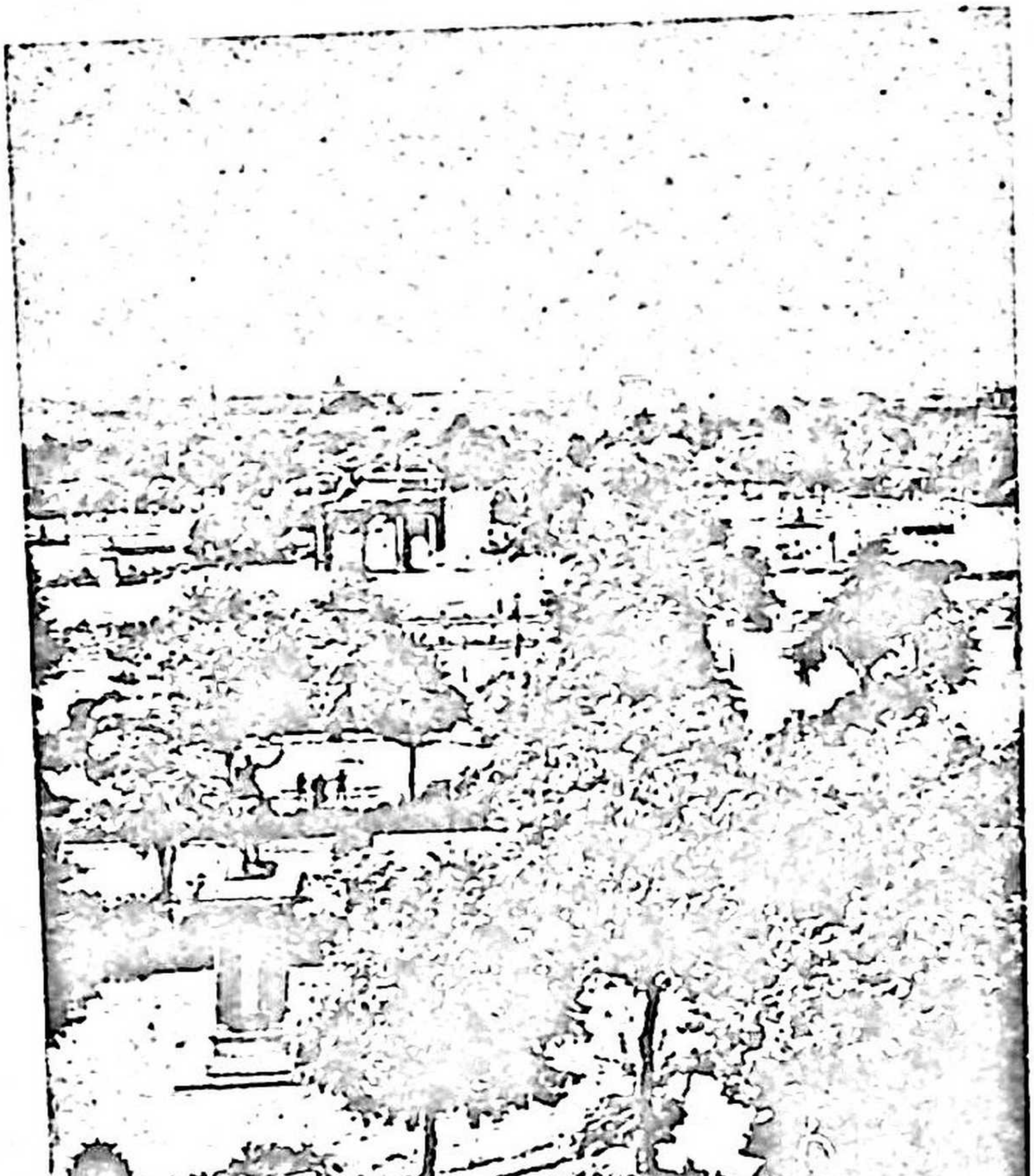

حدائق التويللرى الرائعة وميــدان الكونكورد ، وطريق الشانزليزيه ، وفى اقصى الصــورة « قوس النصر »

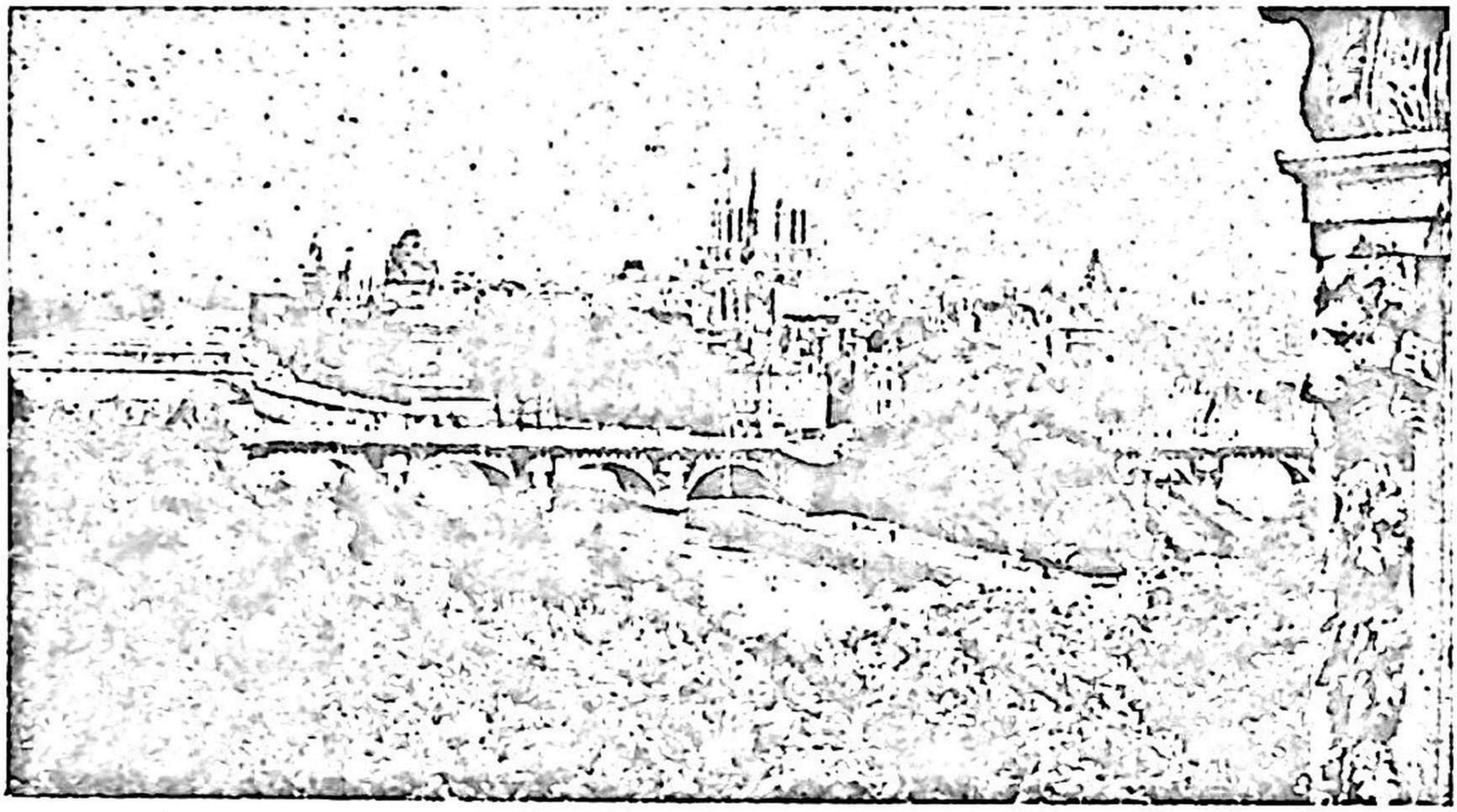

جانب من باريس كما يبدو من سطح متحف اللوفر ، ويرى فيه قصر العدالة وسجن الكونسيير جيرى وكاتدرائية نوتردام

عقد نفسية فيهم ، أو دفعهم الى تيار الجريمة والعنف ! ..
ولعل هذا ما دفع السلطات الايطالية الى فتح بيوت البغاء فى جميع مدن ايطاليا على مصراعيها ، بل انها سمحت بهـا فى شوارعها الرئيسية ، وحددت لها « تسعيرة » رسمية تعلق فى مدخل كل بيت من تلك البيوت .. وهى تسعيرة زهيـدة الى درجة تجعلها فى متناول جميع الطبقات ..

ولنعد من هذا الاستطراد الى حيث كنا فى طريقنا الى حى الوجوديين

نشأة الوجودية .. وفلسفتها

• والحركة الوجودية ترجع فى منشئهـا الى عام ١٩٤٥ ، على اثر تحرير فرنسا من الاحتلال الالمانى ، حين اعتاد بعض

الشعراء الناشئين الذين لمعت أسماؤهم فى تلك الآونة ـ وكان فى مقدمتهم « مالرو » و « بريفير » و « اراجون » و « ميشو » ـ أن يلتقوا فى مكتب زميل لهم يدعى « بيير سيجير » بادارة « مطبوعات منتصف الليل » . **كانوا يحسون برغبة مضطرمة فى أن يهتدوا الى سبيل جديدة للتفكير ، تكون بمثابة « حركة تحرير عقلية » ! .. ولم تلبث دعوتهم أن وجدت لها صدى فى نفوس غيرهم من الشعراء ، والفنانين ، والموسيقيين .. وأخيرا فى نفس أديب ذى نزعة ثورية ، يدعى « جان بول سارتر » !**

.. ولم يلبث « سارتر » أن طلع على زملائه بالدعوة التى أطلق عليها « الفلسفة الوجودية » ، والتى صادفت هوى من

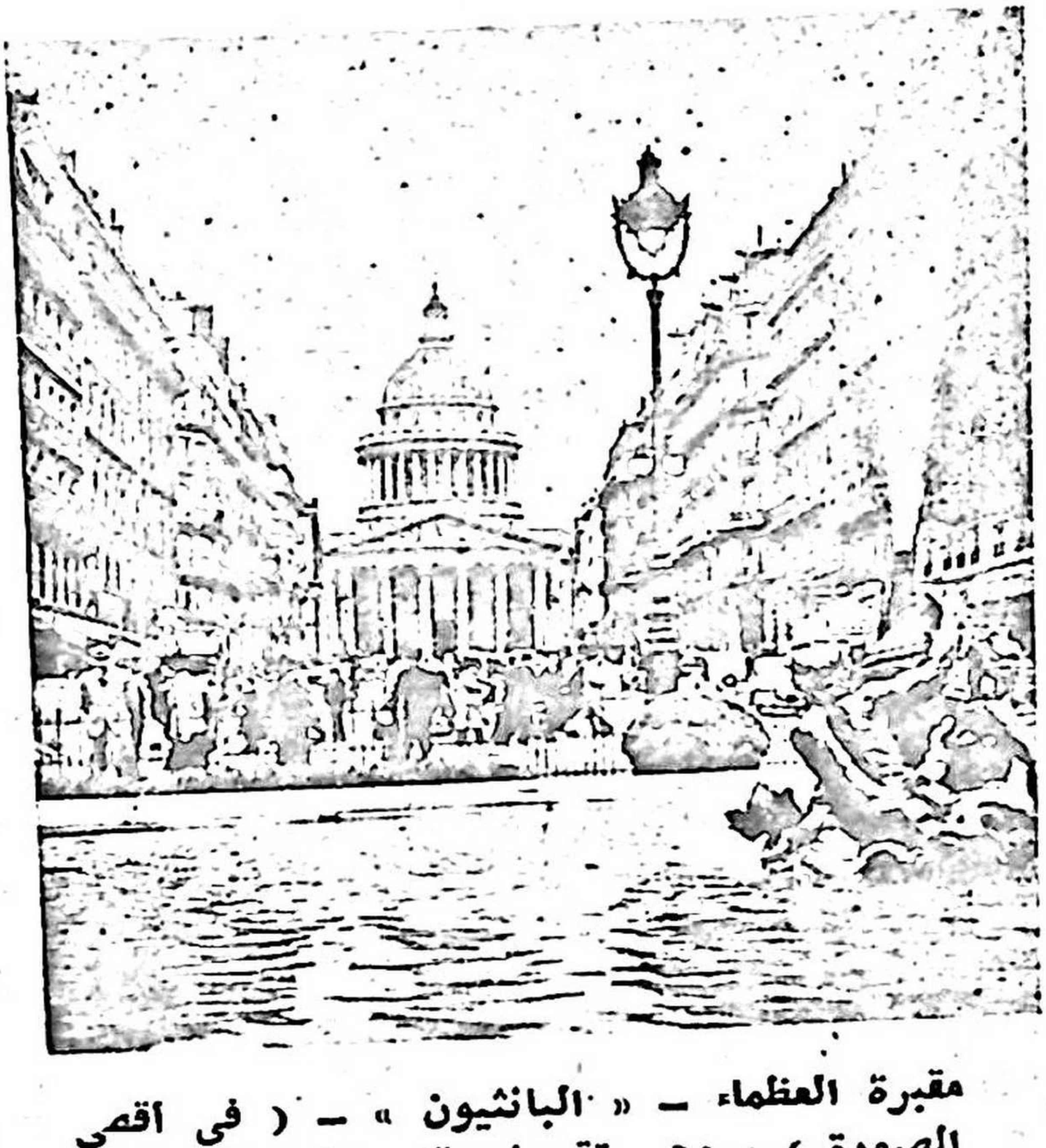

مقبرة العظماء ـ « البانثيون » ـ (فى اقصى الصورة) ، وهى تقع فى قلب الحى اللاتينى ، وفى المقدمة نافورة تتوسط احد الميادين

نفوس الشباب .. النفوس التى أزعجتها الحـرب ، فراحت تبحث عن شىء جديد ! .. وهكذا اندلعت شرارة « الفلسفة » الجديدة فى أوساطهم اندلاع النار فى الهشيم .. بل انهـا جاوزت فرنسا الى بلاد أخرى كثيرة ، وسرعان ما طار لهـا صيت « عالمى » !

أما فى باريس فقد اتخذت الحركة الجديدة لهـا مركزا فى حى « سان جرمان دى برى » . ومن تقاليد باريس أن يكون لها دائما مركز للخلق الفنى ، يلتقى فيـه الادباء وأهل الفكر والفن كى يصوغوا أفكارا ونظريات جديدة عن الحياة . وقـد استقر هـذا المركز يوما فى حى « البـاليه رويال » ، ففى « مونمارتر » و « مونبارناس » ، و « الحى اللاتينى » .. ثم انتقل هذه المـرة الى ذلك الحى القـريب من كلية الفنـون الجميلة !

ونادى الوجوديون بمذهبهم الجديد ، القائل بممارسة الحياة على ضوء الحاضر ، دون نظر الى الماضى أو مبالاة بالمستقبل !.. وقالوا ان الحياة حركة ، والجمود موت ! .. وخلبتهم موسيقى « الجاز » الصاخبة التى كانت تعزف فى مقهى « فلور » ، والتى كان الاحتلال قد حرمهم من مثلها زمنا طويلا .. ثم رأوا ان يستقلوا بمكان خاص بهم ، راعوا فيه أن يكون ايجاره زهيدا ، ومن هنا وقع اختيارهم على الكهف أو « البدروم » الذى أطلقوا عليه اسم « لورينتيه » ، فى شارع سان جاك ، بحى « سان جرمان دى برى » .. **وهناك تولت جوقة المدعو «كلود لوثر» خلق جو من الضوضاء والالحان المتنافرة يطابق تفكير مريدى الفلسفة الجديدة ، وكتاباتهم ، وحيواتهم ! .. وعلى صخب موسيقى تلك الجوقة ، وفى جو من الدخان المتكاثف ، والعرق ، والاغراب فى اللباس والحركات ، صار الشباب الذين تتراوح سنهم بين الخامسة عشرة والعشرين ، يحتفلون ــ فى رقصات**

شبه بربرية ـ بالدستور الوجودى القائل ان « الحياة حركة .. والجمود موت » !

وسرعان ما ازدحم الكهف المـــذكور بزواره ، فاستأجر الوجوديون بدروما أو « كهفا » آخر ، فى شارع « الانسيين كوميدى » أطلقوا عليه اسم «تابو» ـ ومعناه «المحرمات» ! ـ ثم ثالثا ، دعوه « نادى سان جــرمان » .. فرابعا ، باســم « كولومبييه المسن » .. فخامسا ، سموه « الورود الحمر » ، وقد اختاره الزنوج من شباب الســـنغال الذين يتعلمون فى العاصمة الفرنسية مكانا مختارا لهم يشبعون فيه حنينهم الى بلادهم الواقعة فى قلب القارة المظلمة ، بعـزف موسـيقاهم الضارية..وهكذا ، كلما ازدحم كهف بزواره من الوجوديين، وبزائريه من السائحين، فر البعض الى كهف آخر يستأجرونه فى بدروم جديد خفى .. حتى يزدحم الجديد بدوره فيهجره نفر الى آخر ، دواليك .. الخ

مقابر الأحياء !

◆ **ووصلنا** الى كهف من تلك الكهوف ، هو المسمى «تابو» ، وبعد أن دفعنا قيمة التذكرة ـ وقدرها نحو ٣٫٠قرشا للشخص ـ هبطنا سلما ضيقا ، لا يتسع لأكثر من شخص واحــد ، الى بدروم المنزل .. فاذا نحن فى ردهة مستطيلة ، عرضها نحو ٤ أمتار وطولها نحو ١٥ مترا ، لا تضيئهـــا غير أنوار ضئيلة شاحبة ، وقد علقت فى سقفها وجدرانها عشرات الاشياء الغريبة التى لا معنى لها : جماجم ، وأيد مقطوعة (من الخشب أو الجبس طبعا) ، وعرائس قبيحة الشـــكل من القش أو القماش ، و «تعاويذ» غريبة غير واضحة المعالم .. وقد رسمت على الجدران أشكال وصور مشوهة ، أو وجوه بدائية الرسم كما لو كان قد رسمها طفل لا يعرف حتى كيف يمسك بالقلم أو الريشة .. الخ .

وعلى جانبى الردهة صفت مقاعد خشبية بطـول الردهة ، تلاصق عليها رواد الملهى فى ازدحام شديد ، وكان أكثرهم من السائحين الذين جذبهم الفضول الى رؤية هذه البدعة التى شاع أمرها و «تفشت» فى فرنسا وخارج فرنسا . **وفى وسـط الردهة كان شبان وفتيات يرقصون رقصات «هستيرية» عـلى ضوضاء موسيقى السوينج السريعـة المجنونة ، وقد ارتدى الشبان منهم قمصانا ملونة قبيحة المنظر شبيهة بفسـاتين النساء .. وارتدت الفتيات بنطلونات قصيرة وقمصانا طويلة مدلاة مخططة الرسم ، شبيهة بثياب الرجال !** .. وحين انتهت الرقصة صعدت الى خشبة مسرح صغير فى أقصى المكان امرأة ـ أو هكذا يقول شكلها ، فقد كان صوتها وهى تغنى أغنيـة وجودية « شرسة » ، جهوريا خشنا كأصـوات الرجال ! ـ وكانت ترتدى ثوبا أسود طويل الاكمام ، محكما على الرقبة ، كأثواب الحداد ..

.. وكان جو المكان خانقا لا يطاق ، تملأه سحب الدخان ، والانفاس المخمورة ، ورائحة العرق الذى يتصبب من الاجسام ! **.. فقد كنا أكثر من مائة ، احتشدنا فى ردهة مغلقة ليست بها نافذة واحدة ، ولا تصل اليها « نفاية » الهواء الا عن طـريق السلم الضيق الملتوى ، المنحدر من الطابق الأعلى !** .. ولم أعجب اذ تلفت حولى الى وجوه الوجـوديين من رواد الكهف الدائمين ، الشـبان والفتيات ، فاذا هى شاحبة ، ذابلة ، نحيلة ، يرتسم عليها الاجهاد والاعياء .. حتى لكأن أصحابها ينتحرون انتحارا بطيئا !

قذارة .. وتجارة !

◆ **وأقبل** الساقى يحمل الينا كؤوس النبيذ الابيض الذى طلبناه ، فاذا الكؤوس قذرة كريهة الرائحة ، والنبيذ ردىء الصنف ، شبيه الطعم بالكحول ! ـ رغم أن ثمن الكأس الواحدة الصغيرة نحو سبعين قرشا ـ فلم نشربها بالطبع .. وكنا قد

ضقنا ذرعا بالجو الفاسد المكتوم ، والضجيج الصاخب المسعور ، ورأينا مافيه الكفاية٠٠فانصرفنا ، حوالى الساعة الثالثة صباحا ، وانصرف غيرنا من السائحين ، تاركين أهل الكهف يواصلون سهرتهم فى ذلك القبو ، بل القبر الخانق المعتم ، الى مطلع الفجر!

وحين مرقنا من الباب الخارجى ووقفنا على الرصيف ننتظر سيارة « تاكسى » تقلنا الى الفندق ، نصحنا أحد الواقفين بالابتعاد الى الرصيف المقابل ، خشية أن ينسكب فوق رؤوسنا « جردل » من المياه القذرة ! ٠٠ وعلمنا أن سكان الطوابق العليا من المنزل يعمدون الى تلك الفعلة فى بعض الاحيان ، حين يفقدهم ضجيج أهل الكهف صبرهم وأعصابهم ، ويذود النعاس عن أجفانهم !

وسألت فرنسيا من المنصرفين : بربك أين « الفلسفة » فيما شاهدنا وسمعنا ؟ ٠٠ فضحك وقال : **ان الوجودية قد فقدت جديتها ، وجدتها ، وانصرف عنها أكثر أنصارها فى العامين الأخيرين ، فصارت كهوفها أداة « للتجارة » يستغلها أصحابها لاستنزاف أموال الاجانب ـ ولا سيما الامريكيين ـ الذين يسوقهم الفضول الى زيارة تلك « المقابر » لرؤية هذه البدعة ٠٠ بأى ثمن !** ٠٠ ثم أضاف ، محاولا انصاف قومه : ان من بين أولئك المتهوسين تبرز أحيانا بعض المواهب المنتجة فى سائر ميادين الفن : فى الشعر ، والرسم ، والرقص ، والمسرح ، والسينما ٠٠ الخ

فقلت له متجاهلا مكابرته : « أفادك الله ٠٠ وهل لا تبرز مواهب مماثلة من صفوف «غير» الوجوديين ؟! »

لقد كنت أقف موقف الحياد من المعركة الدائرة منذ أعوام بين أنصار الوجودية وخصومها ، بحكم أنى لم أدرس «فلسفتها» أو أتعمق فى محاولة فهمها ٠٠ لكنى أعترف أننى انحزت الى صفوف الخصوم بعد زيارتى لتلك « المقبرة » ، التى تسىء الى الوجودية أضعاف ماتنفعها دعاية كل أنصارها مجتمعين !

والآن ، لعلك قد استمتعت معى بليلتنا الأولى فى باريس ٠٠ فطاب مساؤك ، والى اللقاء فى صباح غد ، حيث نبدأ زيارتنا النهارية لمعالم مدينة النور ٠٠

الحى العريق ٠٠

◆ **الساعة** العاشرة صباحا ، وجو باريس فى هذا الضحى الغائم من أوائل سبتمبر جميل منعش ، يذكر بجو الربيع الخاطف الذى يزورنا فى مصر «ساعات» معدودة كل عام !

من أين أبدأ زيارتى لباريس ؟

بدأتها من أقدم أحيائها ، من حى الجزيرة (ليل دى لاسيتى) الذى جدد فى عهد نابليون الثالث كما أسلفت ، فأخلى من ٢٥ ألف نسمة من سكانه ، هدمت بيوتهم ، وأقيمت فى مكانها أبنية جديدة شاهقة ، حكومية وأهلية ٠٠ ولكن دون أن يفقد الحى طابعه الكلاسيكى القديم ، الجميل ! ٠٠ ان الحى كله كما ذكرت لك يقوم على جزيرة فى وسط نهر السين ، تربطها بضفتى النهر وما وراءهما من أنحاء المدينة ٨ قناطر ، يقودك أحدها الى « الحى اللاتينى » ـ الذى سنتحدث عنه عند انصرافنا من الجزيرة ٠٠

ولا يبدو «السين» فى مكان ما من باريس ، فى مثل روعته وجماله اللذين يبدو عليهما فى حى الجزيرة ، وخاصة فى مواجهة كاتدرائية (نوتردام) التى تتكىء على صدره منذ نحو سبعة قرون ، شهدت فرنسا أثناءها من الاحداث الهامة التى غيرت مجرى التاريخ ، ما لم تشهده دولة أخرى ! ٠٠ وفى هذه البقعة من الجزيرة ، ترى منظرا لا تكاد تلحظه فى غير أماكن قليلة من باريس ٠٠ ترى أطفالا يتنزهون فى عرباتهم التى تجرها أمهاتهم أو خادماتهم ٠ ومنظر الاطفال ، والامهات ، منظر نادر فى باريس الى درجة تلفت النظر ! ٠٠ فأنت لاتكاد ترى له أثرا فى وسط المدينة أو شوارعها وميادينها الكبرى ، حتى لتسائل نفسك : ألا يتزوج الناس فى باريس ، وينجبون أطفالا ؟ وهل

بلغ الاضراب عن الزواج ، أو بلغ تحديد النسل ، حد المنع الكامل ؟ ٠٠ والا فأين أطفال باريس ؟ ٠٠ هل تحرص الأم الفرنسية على ترك أطفالها فى البيت ، أم فى دور الحضانة ؟ واذا فعلت ذلك أثناء النهار فى فترة عملها ـ وأكثر نساء باريس يعملن ـ فهل تبعد طفلها عنها حتى فى أوقات نزهتها ؟ انى لا أذكر أننى رأيت طفلا أو صبيا مع أمه فى مقهى ، أو مطعم، أو سينما ، أو فى شارع من الشوارع الكبرى مثل الشانزليزيه، أو فوش ، أو شارع الأوبرا ، أو « الجران بوليفار » ، أو « الكابوسين » ٠٠ الخ

وفى العدد القادم ، نواصل معا جولتنا فى مدينة النور

سكك حديد جمهورية مصر

تعلن مصلحة السكك الحديدية انه بموجب اتفاق مع شركة عربات النوم وادارات الفنادق الكبرى بالاقصر وأسوان ، تقرر صرف تذاكر مشتركة مع فنادق سافوى والاقصر بالاقصر وكتاراكت وجراند اوتيل باسوان طول العام ومع فندق ونتر بالاس بالاقصر فى المدة من أول نوفمبر لآخر أبريل من العام التالى ، وذلك بأجور مخفضة بنسبة ٢٧ر٥ ٠/٠ بالسكك الحديدية وبحوالى ١٧ ٠/٠ بعربات النوم للاقصر و ١٤ ٠/٠ لاسوان للدرجة الأولى فقط ، وتخفيض ١٠ ٠/٠ للاقامة فى الفنادق ٠

ويمكن لركاب الدرجة الثانية حجز أسرة نوم بالاتفاق مع شركة عربات النوم مباشرة ٠

وتصرف هذه التذاكر من محطات القاهرة والاسكندرية وبور سعيد وبور توفيق وشركة عربات النوم وشركات السياحة المعتمدة ٠

ولزيادة الايضاح يستعلم من المحطات المذكورة ٠

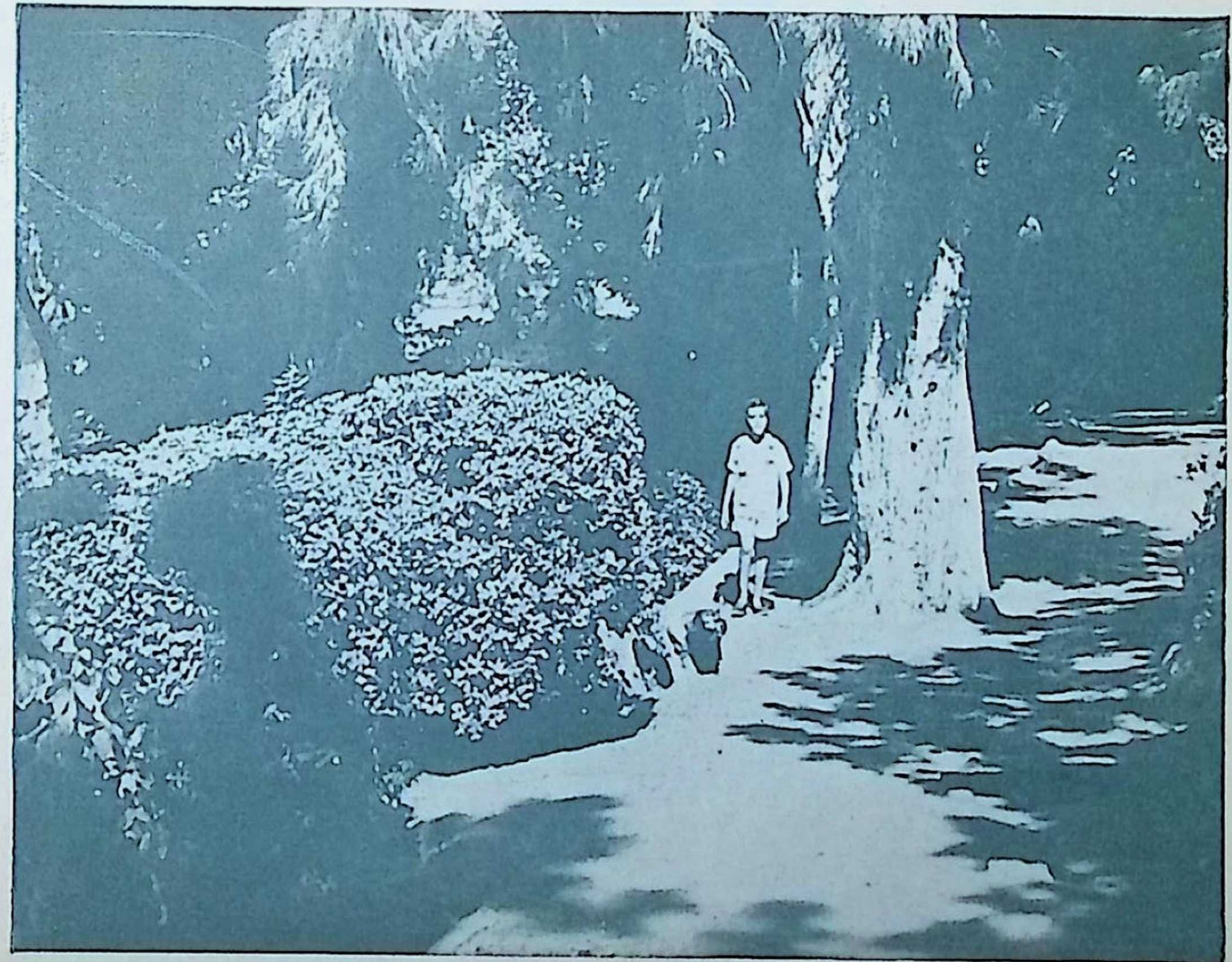

صبية تتنزه ، فى احدى حدائق القاهرة الجميلة (لوحة فوتوغرافية للدكتور الاميرالاى ناجى يسى)

« الأرز » الخالد ٠٠ فى (لبنان) الشقيق

قصة مصرية فى اعترافات

الغرام الذى ضحيت به!

بقلم: محمد بدر الدين خليل

من الانصاف أن أعترف بأننى نشأت عالة على أختى ، فانه ان كان لأحد فضل فى حياتى فالفضل لها .. فلقد توفى والدى بعد مولدى بأشهر قلائل ، ثم لحقت به أمى وأنا بعد طفلة فى الرابعة ، فكفلتنى أختى التى لم تكن قد تجاوزت الثامنة عشرة اذ ذاك ، والتى كانت أبعد الناس عن حقيقة الحياة ، اذ ربيت تربية تقيدها التقاليد القديمة التى كانت تحرم على الفتاة بعد الثانية عشرة من عمرها أن تتصل بالعالم الخارجى ! ـ رغم ان أختى كانت قد تلقت علومها فى كلية « الاميريكان ميشن »

وألهانى حنان شقيقتى آمال عن مرارة اليتم وقسوة الحرمان من الوالدين .. ثم أشفق علينا أحد أقربائنا ـ أو قل انه ادعى الشفقة ـ فمضى يعنى بنا ويتردد علينا ، حتى انتهى الى الزواج من « آمال » بعد عام من وفاة أمنا ، فخيل الينا اذ ذاك اننا قد وجدنا الرجل الذى يحمينا ويرعى أمورنا

.. ولكن عينى الطفلة التى كنتها ، لم تكونا تغفلان عن أن هذا الزواج لم يكن موفقا !.. بل ان زوج أختى لم يلبث أن كشف عن شراسة وقســوة .. حتى انه لم يكن يتورع عن ضربها !.. أواه ، انها لذكرى محزنة ، وان كانت أقل أسى من الذكريات التى أحيا فيها الآن ..

★ ★ ★

وظلت الحياة كئيبة معتمة ، حتى بلغت السابعة من عمرى ، فألحقتنى أختى بالمدرسة ، حيث نعمت بحياة جديدة ، اذ لم أك من قبل قد اختلطت بأطفال من سنى ..

واذ بلغت العاشرة ، اتجهت حياتى ـ بل حياتنا ، أنا وأختى ـ اتجاها جديدا .. فقد فاجأ الموت زوج أختى ذات صباح ، بعد ليلة مكفهرة عاد فيها وهو ثمل ، وانهال على أختى ضربا ! ..وعشنا عاما بعد موته فى جو مضطرب ، ثم ألحقتنى أختى بالقسم الداخلى

فى « الاميريكان ميشن » . ودهشت فى بادىء الامر ، اذ لم أدر كيف تستطيع أن تنفق على ، كما امضنى أن أفترق عنها.. ولكننى لم ألبث أن اعتدت تلك الحيـــاة ، وأن أقضى أيامي فى المدرسة ـ بما فيها أيام عطلة آخر الاسبوع ، **التى لم أفقـــه ماحمل أختى على أن تدعنى فيها بين جدران المدرسة ، مكتفية بأن تأتى هى لزيارتى بعد ظهر السبت من كل أسبوع ، وأن تصحبنى بعد ظهر الاحد الى السينما ، ثم تعيدنى الى المدرسة بعد أن تزودنى بالنقود ، دون أن تصحبنى الى البيت !**

وحانت العطلة الصيفية التالية .. وكنت فى أقصى لهفة على أن أعود الى البيت الذى حجبت عنه نيفا وثمانية شهور !.. وكان البيت كما تركته ، وان جدد بعض قطع أثاثه ، واكتسى شيئا من الرواء .. ومرة اخرى ، انتبهت الى أن «آمال» كانت تحاول أن تجعلنى فى عزلة عن الحياة العامة فى البيت !

وازداد عجبى اذ لاحظت أن شخصــــا غريبا كان يتردد على البيت فى معظم الليالى .. وكنت كلما سألت أختى عنه ، راغت من الاجابة فى لباقة ، مما أذكى فضولى.. اذ لم أك قد فطنت بعد الى الشكوك والريب ..

وفاجأتنى «آمال» ذات صباح بالقول اننا على وشك الرحيل الى الاسكندرية لنقضى الصيف ، فكدت أطير طربا .. اذ كنت قد شغفت بالاســـكندرية لفرط ماسمعته عنها من زميـــلات « الداخلية » ، وحشدت خيالى بصور بهيجة لبحرها وشواطئها رسمتها على أضواء أحاديثهن .. **ولكن بغتة طرأت بذهنى فكرة دفعتنى الى أن أهتف بها : « انما .. منين الفلوس يا أبلة ؟ »**

ولم أفطن الى أى شعور خالجها.. كل الذى أذكره انها ربتت على كتفى مبتسمة وقالت : « مالكيش دعوة !.. الفلوس كتير ، وخير ربنا كتير ! »

وألهانى حديثها عن الاسكندرية ومافيها من مسرات ، عن أن ألح فى السؤال عن مصدر المال الذى يتطلبه الاصطياف !

* * *

وفى ذلك المساء ، استلقيت على سريرى ، أتسلى بقصيدة للشاعر الانجليزى « شيلى » .. قصيدة « السيرنادا » ، التى نظمها عقب ليلة قضاها فى الهند مع الطبيعة الصامتة الحزينة .. ووصلت الى الجزء الذى يقول فيه « شيلى » :

« هذه قطرات المطر تقبلنى ..
« يا الهى !.. ان قلبى يرتجف ..
« ويخفق فى عنف ..
« ابعدونى عن هذه الطبيعة الباكية ..
« اننى أسقط .. اننى أموت !
« فلينسنى العالم ، ولتهدأ الطبيعة ،
« حتى نستيقظ ثانية .. فى النهاية ! »

وأحسست بقلبى يرتعد وكأنما دهمه برد قارس .. وغشينى وجوم آس لم أدر مأتاه .. وفجأة ، فتح باب الغرفة ، وبدت « آمال » وخلفها شاب طويل ، أنيق ..

وقفزت مبغوتة ، فقالت أختى : « انتى لسه صاحية يا فتحية ؟ .. تعالى لما أعرفك بسامى ؟ »

فصحت فى دهشة : «سامى !؟ .. سامى مين يا أبلة ؟ »

— خطيبى !.. هو أنا ماقلتلكيش ؟.. ده جاى معانا اسكندرية ..

والحق اننى لم أرتح منذ بادىء الامر الى مظهره ، بل ان نفورا خفيا تملك قلبى نحوه — دون أن أدرى له كنها أو مبررا ! — رغم أن الشاب كان يحاول أن يتلطف معى ، وان يتقرب الى ..

نهايته !٠٠ كانت الايام الاولى بالاسكندرية من أسعد أيام حياتى ، حتى لقد ألهتنى عن كل شىء ٠٠ فلما زالت النشوة ، بدأت أتلفت حولى لأرى أختى وخطيبها يعيشان فى عالم لنفسيهما ، حتى انهما كانا يتناسيان وجودى فى كثير من الاحيان ليغيبا فى نزهات لا أدرى مقرهما خلالها ٠٠ فلم يكونا يعودان الى المسكن الذى استأجرناه فى « سيدى بشر » الا فى المساء ، فيصحبانى الى احدى دور السينما أو الملاهى ، ثم يعودان معى الى البيت ، حتى اذا استقررت فى فراشى ، أحسست بهما يتسللان من جديد مغادرين البيت !

وكنت أفطن فى بعض الليالى الى خروجهما هذا المسترق، فلا أستطيع بعد ذلك نوما ، وأظل فى الفراش مسهدة ٠٠ وكثيرا ماكنت أسمعهما عائدين مع أضواء الفجر الاولى ، فأسمع لأقدامهما وقعا غير متزن !٠٠ وأدركت أن « آمال » وخطيبها كانا يعودان ثملين ٠٠ بل الأنكى من هذا أن سامى كان يقيم معنا فى المسكن ، رغم التقاليد التى نشأنا عليها ، والتى لم تكن تبيح لغريب أن يظل فى بيت لا رجل فيه ٠٠ سيما وان سامى لم يكن قد ارتبط بآمال بأى رباط رسمى ٠٠

وبدأت أفتح عينى وأذنى لما كان يدور حولى ٠٠ فلم أزدد الا اقتناعا بأن سامى كان يضمر خبثا ، ولكن ٠٠ هل كانت أختى تغفل عن ذلك ؟٠٠ واذا كانت تدريه فكيف ترضى بأن تتمادى معه ؟

وتزاحمت فى رأسى أسئلة لا أدرى لها ردا ، فكانت تسلمنى الى حيرة مريرة ٠٠ أبدا لم يخطر بذهنى ــ ذهن الصغيرة البريئة الساذجة ــ ان أختى قد تسلك مسلكا معوجا !٠٠ وذات يوم وجدت من نفسى الجرأة كى أسأل أختى : «ألا قولى لى ياأبلة، امتى حتتجوزوا ؟ »

فوجمت هنيهة ، ثم تصنعت الابتسام قائلة : « بعد مانرجع من المصيف ٠٠ اشمعنى بتسألى النهاردة ؟ »

ــ ما أسألش عن فرح أختى علشان استعد له ؟

وحاولت أن أتمادى فى أسئلتى ٠٠ ولكنها لم تدع لى سبيلا!

ومر الصيف ٠٠ وعدت الى القسم الداخلى فى « الاميريكان ميشن » وقد بعثت تلك الامور التى لاحظتها أفكارا حائرة فى ذهنى الصغير ٠٠

★ ★ ★

وعندما عدت الى البيت مع مطلع الصيف التالى ، شاهدت أمورا أخرى ، زادت من شكوكى ، وضاعفت من حيرتى وآلامى : كان سامى قد تخلى عن أختى ٠٠ فسخ خطوبته على اثر شقاق بينهما ، كما قالت لى ٠٠ ولكنى لاحظت أن ثمة شبانا سواه يترددون ، وكلما سألتها عنهم كانت تقول انهم أصدقاء لها !

ولم أعد أطيق صبرا ٠٠ ففى ذات يوم ، وجدتنى أسألها وقد ابتاعت لى ثوبا جديدا : « قولى لى يا أبله ٠٠ منين بنجيب كل الفلوس دى ؟ »

ــ منين ؟ ٠٠ ربنا شايفنا ولايا مالناش معين ، فبيبعت لنا رزقنا ٠٠

ــ رزقنا ٠٠ ومنين ييجى رزقنا واحنا مالناش أى مورد ؟

ــ وانتى ايه اللى يخليكى تسألى فى مسائل زى دى ؟

وحدجتنى بنظرة أسكتتنى ٠٠ كنت اذ ذاك صغيرة ــ لم أتجاوز الرابعة عشرة ــ فخشيت أن أغضبها ٠ بيد أن حالتى النفسية لم تلبث أن بثت فى نفسى الجرأة على أن أعاود الحديث، متسائلة عن أولئك الشبان الذين كانوا يترددون على مسكننا وكأنهم ليسوا غرباء عنه ! ٠٠ وأطرقت أختى برهة ٠٠ كانت حائرة ، وكانت متألمة ــ فما كانت عيناى لتخفقا فى تعرف ما تبدى على أساريرها ــ ثم قالت وهى تهم واقفة ، وتتجه الى الباب : « أحسن لك ما تعرفيش حاجة ٠٠ انتى مش مبسوطة من انك ماشيه فى دراستك ، وبتاخدى مصروف وبتلبسى زى أى واحدة من زميلاتك ؟ ٠٠ ثم انتى مش واثقة من انى باحبك

وأحرص على راحتك وسعادتك ومستقبلك ؟ •• خلاص ، إطمئنى •• وسيبى الشقا والهموم لى وحدى ! »

وجثم الاسى على صدرى •• واشتدت بى الحيرة •• وبدلا من أن أطمئن كما سألتنى ، وجدتنى أوغل فى التفكير : « سيبى الشقا والهموم لى وحدى » ! اذن فهناك شقاء •• أتراها تعمل ؟ •• لا ، هذا ما كنت واثقة منه ، فللعمل – أى عمل – مواعيد منتظمة ، أو شواهد ومظاهر لم أكن أرى لدى اختى شيئا منها •• اذن •• اذن !؟ •• أتراها تسلك الطريق التى كنت أقرأ عنها فى القصص ؟!

وروعتنى الفكرة •• وأزعجنى أن أتصور ان آمال من ذلك الفريق الذى يصفونه ب « أنصاف العذارى » ! •• ودفعنى الشك المحض والحيرة القاسية الى أن ألجأ الى طريقة كنت أدرك انها دنيئة ، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة : رحت استدرج الخادم « أم السعد » فى غياب أختى ، حتى استطعت أن أخرج بصورة عن الحياة فى البيت : شبان يترددون •• سهرات عابثة ثملة أثناء غيابى فى المدرسة ، وفى الخارج أثناء الصيف ! •• مشاجرات بين أختى وشاب من أجل شاب آخر •• وهكذا ••

وتفتحت عيناى على الحقيقة المرة •• وثارت فى صدرى مشاعر الفتاة « الساذجة » التى تعيش فى عالم من الاحلام ، والخيال ، والمثل العليا ! •• فانتهزت أول فرصة خلوت فيها الى أختى ، وعدت اسائلها عن اولئك الشبان الذين يترددون على البيت ؟ ثم ثرت اذ وجدتها تحاول المراوغة كما اعتادت ، فقذفتها بحمم البركان الذى كان يجيش فى نفسى •• أفضيت اليها بكل ما عرفت فى ثورة غاضبة ، مهتاجة !

وظلت تسمع وهى منكسة الرأس ، دامعة العين ، كطفلة تعرضت لسخط مدرستها أو أختها الكبرى •• وسادنا صمت واجم رهيب •• ولم تحاول أن ترفع رأسها •• ، وبدأت

أستشعر شيئا من الاشفاق نحوها ، وألوم نفسى على ما أبديت من قسوة ٠٠ حتى لقد هممت أن أعتذر ، لولا أنها شرعت تتكلم ، فى صوت مرتجف خافت ٠٠

وصارحتنى بكل شىء ! ٠٠ لم يكن والدانا قد خلفا لنا شيئا ٠٠ لا ولم يترك زوجها هو الآخر ثروة ٠٠ وكان لابد لنا من مورد ٠٠ حاولت أن تبحث عن عمل ، ولكنها لم تكن تتقن عملا ٠٠ وكانت السبيل الى زواج آخر غير ميسرة ـ فان فرص الزواج أمام الارملة فى مجتمعنا ، فى ذاك الحين على الاقل ، كانت ضئيلة ٠٠ فما بالك اذا كان لهذه الارملة ذيل يتمثل فى أخت مثلى ؟

وكان لابد من أن نعيش ٠٠ وكانت أختى مصرة على أن أتم تعليمى حرصا على مستقبلى

واضطرت الى أن تسلك طريق الابالسة !

وفرغت أختى من اعترافها ، فبكت ٠٠ وبكيت معها ، كما لم نبك من قبل !

★ ★ ★

على انى لم اكد اعود الى المدرسة ، وتبهت معالم الموقف المؤثر فى ذاكرتى ، حتى عاد ضميرى ومثلى العليا توسعنى ثورة ٠٠ وداخلنى سأم من حياة يكفلها مال يأتى عن طريق دنيئة ، مدنسة ٠٠ وخيل الى أن كل زميلاتى فى المدرسة قد عرفن السر الملطخ ، وانهن ينظرن الى نظرات غامضة فيها ازدراء وترفع !

وأخذت الهواجس تنمو فى نفسى وتستفحل ، فلم أكد أعود الى أختى فى نهاية العام الدراسى ، حتى صارحتها بأننى لن أمضى فى دراستى ، واننى سأبحث عن عمل شريف أجنبها به العار الذى تردت فيه !

وحاولت أن تعارض ، وأن تغرينى على أن أتم دراستى التى أوشكت على الانتهاء ٠٠ وأكبرت فيها التضحية ، ولكنى لم أقو على قبولها ٠٠ ولم تستطع هى المضى فى الالحاح ، اذ كانت مذ

تكشف أمرها لى ، تخجل من أن تطيل الحديث معى ٠٠ بل كانت تتحاشى لقائى ٠٠ وكنت أتحاشى لقاءها !

وتوتر جو البيت واكفهر ٠٠ ورحت أبحث عن عمل ـ أى عمل شريف ـ وأحلام الشباب والتلمذة تملأ ذهنى ٠٠

ولم أوفق ٠٠ وأخذت الايام تمر ، مملة ، بغيضة ٠٠ وكانت حالتى النفسيةكنار تحرقنى٠٠ وبدأت أذبل وأذوى ٠٠وكرهت الدنيا فكنت ألوذ بغرفتى لا أكاد أفارقها الا حين تهب على نسمة من أمل تحفزنى على الانطلاق من جديد بحثا عن عمل ٠٠

وكان لابد من أن تنتهى بى هذه الحال الى الانهيار ٠٠ وأى انهيار ! ٠٠ لكأنما امتصت من كيانى كل طاقته الحيوية ، فاذا به جسم مرتخى الاعصاب والعضلات ، حتى لقد كنت أعجز عن أن أستوى على قدمى ! ٠٠ وكنت اوثر الصمت حتى لا يتعبنى الكلام ٠٠ وكنت أستسلم لعناية أختى ورعايتها لأننى لم أعد أقوى على معارضتها ٠٠

وعند ما أصرت على أن ننتقل للاقامة فى «حلوان» ـ استجابة لاوامر الطبيب الذى يعالجنى ـ لم أملك أن أقاوم ٠٠

* * *

وكأنما كان البعد عن القاهرة وما لقيت فيها من خيبة وصدمات نفسية ٠٠ وعن البيت وجوه الذى أصبح بغيضا لدى ٠٠ كأنما كان هذا كله مجددا لحيويتى ٠٠ وبدأ جو حلوان

١٦٧٦

وسكونها يفعلان فى نفسى المعجزات ، سيما وقد آلت أختى على نفسها أن تقصى عنها كل أصدقائها مراعاة لحالى .. وراحت تنفق كل ما أدخرته فى سبيل علاجى ورعايتى ..

وأخذت أسترد حيويتى رويدا ..

ثم .. أقبل الامل ينفخ فى جذوة الروح التى كادت تخمد فى نفسى .. وكان مهبه من الدار المجاورة ، التى كانت شرفتها تلاصق شرفتنا ..

ففى تلك الشرفة ، رأيت «حسنى» .. كان يجلس الساعات فى هدوء وسكون ، على غير ما عهدت عليه الشباب .. وبدأت أحس وأنا أراه ينصرف عن عبث الشباب ويقنع بعزلته فى الشرفة مع كتاب أو مجلة ، بأن ثمة جوا شاعريا يلفه .. جوا فيه جاذبية أخذت تشدنى اليه ..

وكان الجوار وسيلة سهلت أسباب التعارف .. وسرعان ما أخذ « حسنى » يتردد على دارنا .. وازداد اقبالا حين استبان اننى وأختى قد درسنا فى « الاميريكان ميشن » واننا كنا نجيد الانجليزية ، ونتذوق الادب .. فكان يقضى معنا الاصائل فى أحاديث طريفة ، سواء فى شرفة دارنا ، أو أثناء نزهتنا فى أطراف « حلوان » ..

وشعرت بعاطفة تجتاحنى نحو « حسنى » .. عاطفة لم ألبث أن أيقنت انها حب .. ولكنه كان حبا صامتا .. فقد كنت أخشى أن يرى « حسنى » اننى لست أهلا له ، لا سيما اذا عرف عن أختى شيئا !

وأسعدنى أن أقنع من الغرام بأحلام وردية جميلة .. كان يكفينى أن أرى حسنى ، وأجالسه ، وأناقشه حول ما نقرأ من أشعار وقصص ..

ولكن السيل كان فى ازدياد ، حتى لم أعد أقوى على كبحه .. وقررت أن أبوح له بوجدى فى أول فرصة أخلو فيها اليه بعيدا عن « آمال » !

و ٠٠ مرة أخرى تقفز « لكن » الى سياق حديثي ٠٠ ولكن القدر لم يكن قد أشبع نكايته منى ، بل كان يدخر لى ضربة قاضية : اذ فوجئت بآمال تعلن الى ذات يوم ان حسني قد سألها أن تقبله زوجا ، وانهما لن يلبثا أن يعلنا خطبتهما للملأ !

وعلى الرغم منى شهقت هاتفة : « و ٠٠ وانتى قبلتى ؟ ٠٠ هو مش عارف ؟! »

وترددت ٠٠ وأمسكت دون أن أتم عبارتى ، لكن لهجتى كانت كافية لان توحى اليها بما أقصد ، فاذا وجهها يمتقع لحظة ٠٠ ثم تمالكت نفسها وقالت وقد غضت من بصرها : « أنا ٠٠ أنا قلت له انى اتجوزت قبل كده ٠٠ مش ده كفاية ما دمنا حندفن الماضى ؟ »

ولم أجبها ٠٠ ولعلها قرأت على أساريرى صورا مما كان يعتلج فى جوانحى ، اذ اقتربت منى ، وجلست على مسند مقعدى ، ثم راحت تتخلل شعرى بأصابعها وقالت : « ربنا بيغفر للمذنب خطيئته اذا تاب توبة صادقة ٠٠ مش كده يا أختى ؟ »

وكانت أول مرة أسمعها تنادينى فيها ب « أختى » ، فقد كانت دائما تدللنى بمختصر اسمى « تيتى » ٠٠ وهفت لهجتها بأعطاف قلبى ٠٠ ولكن الحيرة التى أسلمنى اليها الموقف كانت جبارة ٠٠ وجدتنى أفكر : **أينا أحق بحسنى ؟ ٠٠ أنا الصغيرة ، الطاهرة ، التى ما يزال قلبها بكرا ٠٠ أم هى التى نالت بحياتها العابثة نصيبا من المتع ؟ ٠٠ ولكن ، ألم يكن خوضها الوحل من أجلى ؟٠٠ ألم تكن تلك أغلى تضحية فى الوجود ؟٠٠ ومع ذلك ، فما ذنب حسنى ؟ ٠٠ قد أقدر أنا تضحيتها ، ولكن لم يتحمل هو ادناس ماضيها ؟**

ووجدتنى أرتجف على الرغم منى ٠٠ ولم أفطن الى ان الدموع كانت تنهمر من عينى دون وعى منى ، الا حين وجدت

آمال تحتوينى بين ذراعيها وتهتف فى شجن : « آه ، فهمت .. انتى .. انتى بتحبيه يا تيتى ؟ »

ولم أستطع كبح جماح نفسى ، فانفجرت فى بكاء أليم ..

ولم نخرج لملاقاة حسنى فى ذلك الاصيل ، فقد جلسنا صامتتين واجمتين ، وكأننا عجوزان من عجائز المآتم .. كانت تعصف بكل منا عواطف متناقضة متضاربة تجمع بين الخير والشر ، وبين التضحية والانانية ، وبين الرأفة والقسوة ، وبين العرفان والجحود ..

وأسدل الليل سدوله ونحن فى جلستنا .. واشتد الظلام دون أن نفطن اليه ، حتى انتبهنا أخيرا الى رنين جرس الباب يدوى متواصلا .. كان اللبان قد أحضر اللبن كعادته فى كل مساء .. وانتهزت فرصة تلبية أختى نداء الجرس ، فتسللت الى فراشى فى صمت .. ولكنها سرعان ما لحقت بى .. ورأيت شبحها يدلف فى الظلام الى جانب الفراش .. وركعت على الارض ، وتحسست الغطاء حتى وجدت يدى فأمسكت بها .. وأحسست بدموع تتساقط على صفحة يدى .. وسمعت صوتها متهدجا ، باكيا ، يقول فى لهجة هى أقرب الى مناجاة الكاهنة لتمثال ربتها : « تيتى .. مش عارفة أقول ايه .. انتى عاوزه حسنى ؟ .. مستعدة أسيبه لك .. ولكن .. »

وازداد صوتها تهدجا واختناقا ، وهى تمضى قائلة : « ولكن أنا أعمل ايه ؟ .. ما تقدريش تتصورى حبى له .. ده أول حب لى فى الحياة .. وآخر حب ! .. كنت زى مركب حاصرتها الامواج فى عرض البحر ، وعذبتها العواصف .. وده المرفأ اللى حظى حدفنى عليه .. أنا عاوزه أعيش عيشة شريفة .. عاوزه أكفر عن الماضى الملطخ .. ومفيش طريقة لكده الا بالجواز .. ومش ممكن أتجوز شخص غير حسنى .. هو الحب الوحيد اللى شعرت به فى الحياة »

.. وأجهشت بالبكاء .. واستطردت بين شهقاتها تهتف فى توسل يذيب الاكباد : « ضحى مرة علشانى .. أنا اللى ضحيت كتير ، وبأعز الاشياء علشانك .. ضحيت بمستقبلى .. وبشرفى .. وبكرامتى .. انتى لسه صغيرة ، والحياة أمامك طويلة ، وبكره تلتقى بغيره ، وتقعى فى ابن الحلال اللى يسعدك .. »

وكان قلبى يتمزق .. يتمزق من أجلها .. ويتمزق من أجل حبى .. الحب الاول والاخير ..

ومن أعماق الظلام ـ ولست أدرى ان كان ظلام نفسى الحزينة أو ظلام الغرفة ـ انبعثت اصداء كلمات « شيلى » :

« **يا الهى !.. ان قلبى يرتجف ..**
« **ويخفق فى عنف ..**
« **ابعدونى عن هذه الطبيعة الباكية ..**
« **اننى أسقط .. اننى أموت !** »

* * *

أواه !.. ان القلم لم يعد يستوى بين أصابعى المرتجفة لفرط الانفعال .. ولعلك لست بحاجة الى البقية ، فقد .. ضحيت بغرامى !

ولقد مرت السنوات حتى اكتملت عشرا ولما يظهر « ابن الحلال » الذى يثبت لى أن العاطفة التى استشعرتها نحو « حسنى » كانت وهما وليست حبا !

أجل ، اننى الآن فى السابعة والعشرين .. ولما أتزوج .. ولن أتزوج .. فأنا اليوم سعيدة بأن أخلو الى قصصى وأشعارى فى غرفتى .. وبأن أرى « آمال » و « حسنى » سعيدين فى حياتهما المشتركة ..

الحياة
قصة

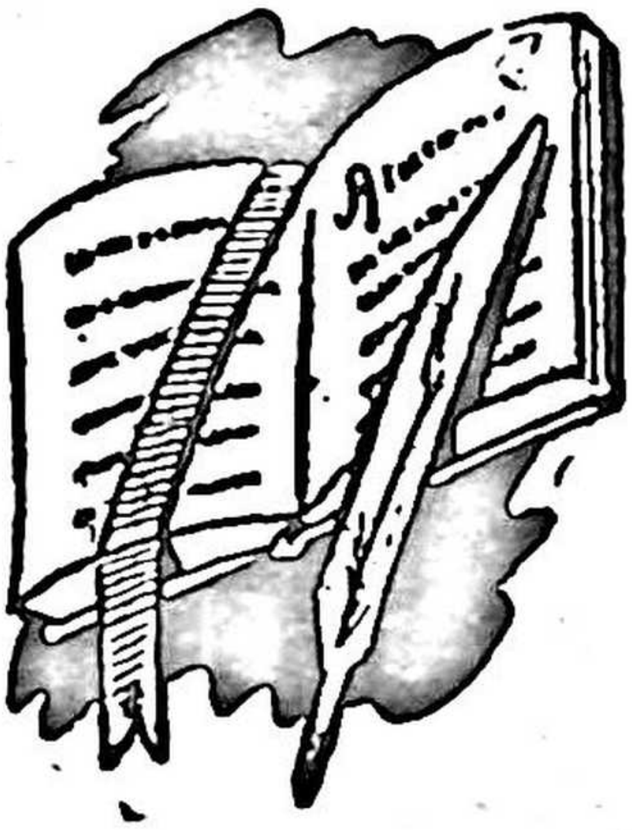

روائع
القصص
العالمى

عزيزى القارىء ...

قرات معى فى الاعداد الماضية قصص:
• أموك : لستيفان زفايج • قلب عذراء : جون جالزوورثى • مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى • التلميذ :بول بورجيه • احدب نوتردام : فيكتور هوجو • جريمة حب : بول بورجيه • جين اير : شارلوت برونتى • ايام بومباى الاخيرة : لورد ليتون • مانون ليسكو : الاب بريفو • حديقة الله : روبرت هتشنز • عندما تحقد المراة : جورج اونيه • آسيا : ايفان تورجنيف • كاس تمبرلين : سنكلير لويس • الشيطان على الارض : برتراند رسل • رسالة من مجهولة :: ستيفان زفايج • الحب الاول : تورجنيف • تاييس : اناتول فرانس • بلاد العميان :هـ٠ج٠ ويلز • نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون • كوخ العم توم : هارييت بيتسر ستو • الزوج والعشيق : سومرست موم • البوهيمية : هنرى مرجيه • فتاة لها ماض : بول بورجيه • شيرى : كوليت • الجريمة والعقاب: دستويفسكى • لحن كرويتزر: تولستوى • امير مصر : جورج ايبرز • الامطار: سومرست موم • افروديت : بيير لويس • جيجى : كوليت • الشيطان فى الجسد : ريموند راديجيه • ليبوريللا : ستيفان زفايج • كانديد : فولتير • اشجان فرتر : جيته • فرانشسكا : موباسان • لوريت : الفريد دى فينى • المعطف : ن ٠ جو جول • يوميات زوجة : مارسيل بريفو

وهاك اليوم .. « الافق المفقود » !

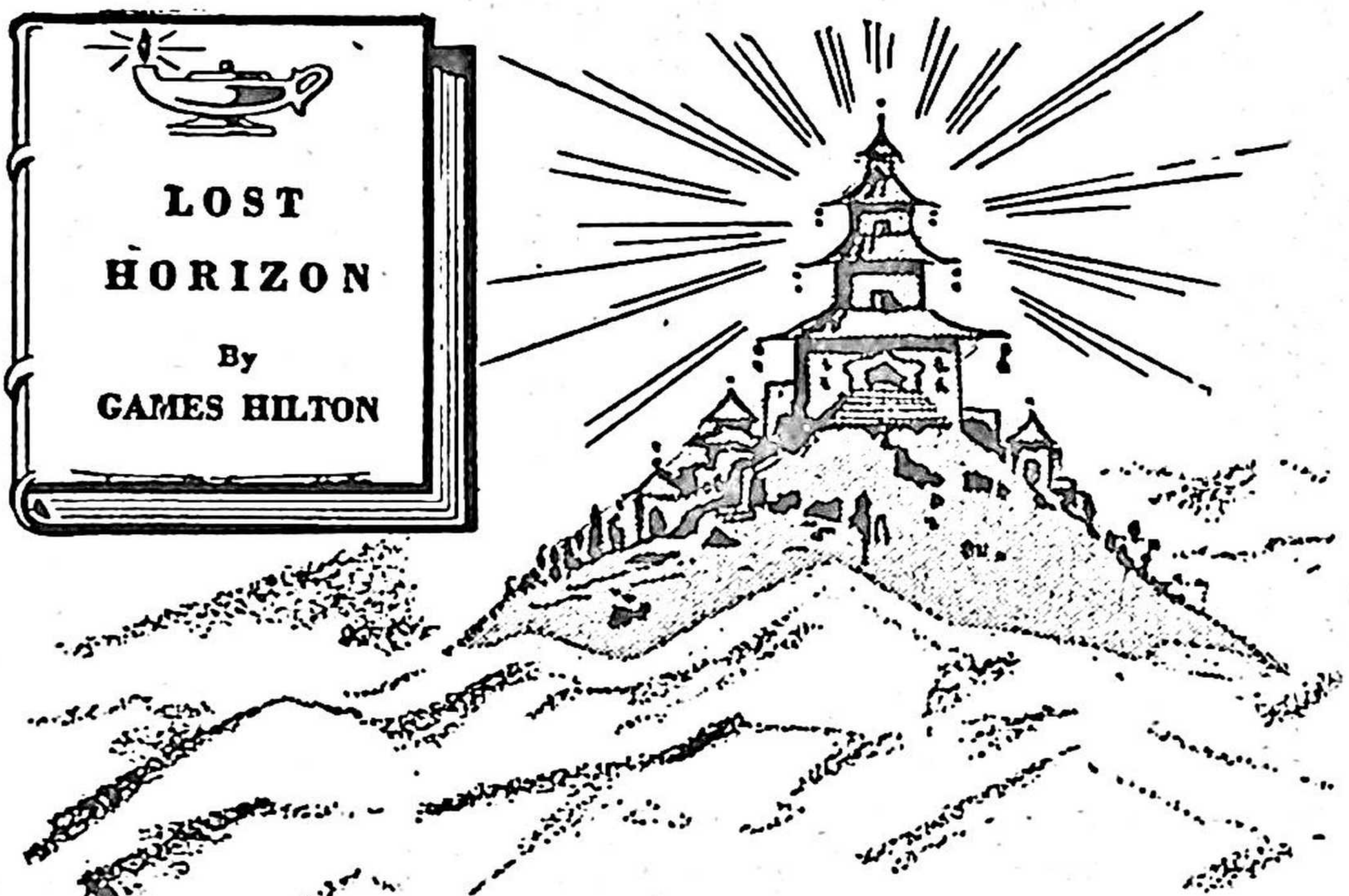

الأفق المفقود!

للروائى الانجليزى المشهور "چيمس هيلتون"

القصة التى ظفرت لمؤلفها بالمجد !

◆ ماهو سر الحياة ؟٠٠ وماهو سر الخلود ؟٠٠ وهل يستطيع الانسان أن يتوصل الى اى منهما ؟ ٠٠ فلقد جند العلماء انفسهم – منذ انوجدت للعلم اسس واضحة المعالم – لمعرفة هذين السرين دون جدوى ٠٠ وان زعم بعضهم ان «السر الاعظم» أصبح فى متناول ايديهم٠٠او هو على وشك!

ان حوادث القصة التى اقدمها اليك اليوم ، تقع فى قلب القارة الاسيوية ٠٠ وفى احدى المناطق المنعزلة عن العالم عزلة تكاد تكون تامة ! ٠٠ الغموض يكتنفها من كل جانب ٠٠ والالغاز تحيط بها احاطة السوار بالمعصم ٠٠ والحقيقة والخيال يختلطان فيها اختلاطا هائلا مروعا ٠٠ وفى النهاية ، تلتقى بالسؤال الأزلى : ماهو سر الحياة ؟٠٠ وهل هناك من توصل الى معرفته ، وان كان يحتفظ به لنفسه ، استعدادا لليوم الذى تذبل فيه الحضارة البشرية ، فيتقدم هو ليحمل المشعل ٠٠ وينير السبيل امام الحياة الجديدة ٠٠ والأمل الجديد ؟!

سوف تقرا بنفسك ٠٠ وتفكر ٠٠ وانت تعيش مع ابطال هذه القصة العجيبة التى منحت جائزة « هوثورندن » العالمية للقصة فى عام ١٩٣٣ ، وظفرت فجاة لمؤلفها بمجد عريض شجعه على انتاج روائعه التالية التى منها : «وداعا يا مستر تشيبس» و «فارس بغير درع» و «الماضى المجهول» ٠٠ الخ (وساحاول ان اعرفك بالمؤلف تعريفا اوفى فى نهاية هذه القصة)

◆ **كان** القسم الاكبر من اللفائف التى كنا ندخنها قد احترق ، وبدأنا نحس بخيبة الامل التى تخالج عادة أصدقاء الدراسة القدامى اذ يلتقون ثانية وقد أصبحوا رجالا ، فيلفون أنفسهم أقل انسجاما وتآلفا مما كانوا يخالون٠كان «رذرفورد» قد صار كاتبا قصصيا ، أما « وايلاند » فغدا سكرتيرا فى السفارة ، وقد دعانا الى العشاء الذى فرغنا منه لتونا فى ميناء « تمبلهوف » الجوى ، فكانت السهرة ممتعة ٠ وكنا نشهد من مكاننا المطار بجلاء ، وقد اكتسب المنظر بريقا مسرحيا ينبعث من المصابيح الوهاجة ذات الضوء الأزرق ٠٠

وأقبل قائد احدى الطائرات الانجليزية – فى كامل ثياب الطيران – نحو مائدتنا ، فحيا « وايلاند » الذى لم يعرفه فى

البداية ، حتى اذا تذكره ، قدمه الينا وقدمنا اليـه ·· وكان شابا طروبا يدعى « ساندرز » · وأشار « وايلاند » ـ فى مجال الاعتذار ـ الى صعوبة التعرف على الناس اذا ما كانوا فى زى الطيران الكامل ، فضحك « ساندرز » وأجاب : « أعرف ذلك معرفة كافية ·· لا تنس انني كنت فى (باسكول) ·· »

وأضاف وجوده زميلا لطيفا الى شلتنا الصغيرة · وفى نحو الساعة العاشرة ، غادرنا « وايلاند » لحظة ليتحدث الى شخص ما عند مائدة قريبة ، فقال « رذرفورد » فجأة : « آه ·· بهذه المناسبة ·· لقد ذكرت (باسكول) منذ هنيهة ، وأنا عـلى معرفة ضئيلة بالمكان · فما ذاك الذى كنت تشير الى أنه جرى هناك ؟ »

وابتسم « ساندرز » خجلا وقال : « آه ·· مجرد اضطراب ضئيل غشينا مرة عندما كنت فى الخدمة· والواقع أن شخصا يبدو أنه أفغانى ، هرب باحدى طائراتنا المخصصة للركاب · وفى وسعكم أن تتصوروا المشكلة التى حدثت بعد ذلك· **فان الرجل صرع قائد الطائرة بلكماته ، وانتزع حقيبة معـداته ، وصعد الى مقعد القيادة دون أن يكشف أحد أمره ، وأصـدر الاشارات الصحيحة كذلك ، ثم صعد فى الجو واختفى·وكانت المشكلة انه لم يعد بعد ذلك قط ! »**

وبدا الاهتمام على «رذرفورد» وتساءل : « متى حدث هذا ؟ »

ـ آه ·· منذ حـوالى عام ولابد · فى مايو سنة ١٩٣١ · وكنا نجلى المدنيين عن (باسـكول) الى (بيشاوار) بسبب الثورة ·· وكان المكان على شىء من الهرج ، والا فما أحسب أن هذا الامر كان يحدث !

وكان « رذرفورد » ما يزال بادى الاهتمام ، فقال : « كنت أظن انكم تعهدون بأية طائرة الى أكثر من واحد فى مناسـبة كهذه »

ـ كنا نفعل ذلك بالنسبة لكل طائرة عادية لنقل الجنـود ،

ولكن هذه الطائرة كانت خاصة ، صنعت فى الاصل لأحد المهراجات ، وصممت بحيث تستطيع التحليق فى طبقات الجو العليا

– أو تقول انها لم تصل الى (بيشاوار) قط ؟

– أبدا لم تبلغ بيشاوار .. ولا هبطت فى أى مكان آخر .. على قدر ما نعلم . وكان هذا أغرب ما فى الامر !.

– كم راكبا كان فيها ؟

– أظنهم أربعة .. ثلاثة رجال واحدى المبشرات

– ترى هل كان أحد الرجال يدعى « كونواى » ؟

فبدت الدهشة على « ساندرز » وقال : « أجل ، فى الواقع .. أكنت تعرفه ؟ »

قال « رذرفورد » : « كان معى فى مدرسة واحدة »

فاستطرد «ساندرز» قائلا : « كان شابا طيبا كما تشهد كل أعماله فى (باسكول) .. »

فهز « رذرفورد » رأسه وبدا أنه يجمع شتات ذهنه بعد فترة من الشرود ، ثم قال : « ان القصة لم تنشر فى الصحف ، والا كنت قرأت عنها على ما أعتقد .. فكيف كان ذلك ؟ »

وبدا على « ساندرز » التململ فجأة ، بل لقد خيل الى أن وجهه أوشك أن يتضرج حياء ، ثم ذكر كيف خشى المسئولون أن يثيروا الرأى العام ، فتكتموا الحقيقة واذاعوا ان الطائرة فقدت براكبيها

★ ★ ★

◆ **وهنا** انضم الينا « وايلاند » ، فتحول « ساندرز » اليه قائلا : « لقد اكتشفت ان هذين الزميلين يعرفان «كونواى» .. وكنا نتحدث عن حادث (باسكول) .. » .. فقال رذرفورد : « مجرد معرفة بسيطة فى (اوكسفورد) ، وبضعة لقاءات عابرة بعد ذلك . هل كنت تصادفه كثيرا ؟ »

– تقابلنا مرة أو أثنتين فى (انجورا) ، حين كنت معينا

هناك ٠٠ وبدا لى أنه ماهر ولكنه كان يميل للخمول.

فابتسم « رذرفورد » قائلا : « كان ماهرا بالتأكيد ٠٠ كان من أكثر الطلبة توفيقا فى دراسته الجـامعية ٠٠ حتى نشبت الحرب ٠ وانى لأشهد بأنه خير هاو سمعته يعزف على البيانو ٠٠ ولقد قطعت عليه الحرب سيره فى الحياة بالطبع »

واستأنف « وايلاند » الحديث قائلا : « لقد تعرض لانفجار ، أو ما يشبه ذلك ، ولكن لم يصب بضرر كبير ٠ وأعتقد أنه عاد بعد ذلك الى (اوكسفورد) فترة ٠٠ وأعرف أنه ذهب الى الشرق فى سنة ١٩٢١ ٠٠ ويسر له المامه باللغات الشرقية عملا دون ما عناء » ٠

وعند هــذا الحد نهض « رذرفورد » للانصراف ، فنهضت بدورى ، اذ كنت سأستقل قطارا عبر أوربا فى ساعة جد مبكرة من الصباح ٠ وبينما كنا فى انتظار العربة ، سألنى «رذرفورد» عما اذا كنت أبغى قضاء فترة فى فندقه ٠ وحين أجبته بأن هذا يروق لى تماما ، قال : « حسنا ٠٠ نسـتطيع أن نتحـدث عن « كونواى » اذا شئت ٠٠ ما لم تكن قصته قد اسأمتك »

ــ اننى لم أسأم البتة ، وان كنت لم أعرفه الا معرفة جـد يسيرة ٠٠ ولكنه كان مفرطا فى التلطف معى الى درجة غـير عادية ، فى احدى المناسبات ٠٠

ــ أنا أيضا كنت أحبه كثيرا ، وان كان من المـدهش اننى بدورى لم أره الا قليلا ، اذا حسـبت مقابلاتنا بالوقت الذى استغرقته

وساد بعد ذلك صمت غريب ــ نوعا ما ــ كان من الجلى ان كلا منا كان يفكر خلاله فى شخص كان له فى نفسينا أكثر مما كان يرتقب من هذه الاتصالات العابرة٠وكثيرا ما تبينت ــ بعد ذلك ــ ان جميع من قابلوا « كونواى » ، حتى فى مناسـبات رسمية بحتة ، ظلوا يذكرونه بجلاء ٠٠ كان فى الواقع رائعا ، اذا نظرنا اليه كشاب ٠٠ وكان طويلا ، مليحا الى أقصى درجة ،

لم يحذق الالعاب الرياضية فحسب ، بل كان يفوز بكل نوع
من الجوائز المدرسية !

وانطلقت بنا السيارة مجتازة بضع طرقات ونحن فى صمت
ثم عاد «رذرفورد» يقول : « **ما كنت لأفوت على نفسى هذه**
الامسية .. كانت تجربة فذة بالنسبة الى ، حين سمعت
« ساندرز » يروى تلك القصة عن (باسكول) .. لقد سمعتها
فى الواقع من قبل ، ولكننى لم أصدقها تماما .. كانت جزءا
من قصة جد خيالية ، لم أر ما يبرر تصديقها على الاطلاق .. أو
بالاحرى ، لم أجد سوى سبب واحد تافه جدا على أية حال ..
أما الآن ، فهناك سببان تافهان جدا » !

★ ★ ★

◆ **وكنا** قد بلغنا الفندق . وبينما كان « رذرفورد » يفتح
باب حجرته لندلف اليها ، قال : « الواقع ان « كونواى » ليس
ميتا .. أو بالاحرى ، لم يكن ميتا منذ بضعة أشهر .. فقد
سافرت معه من (شانغهاى) الى (هونولولو) على باخرة يابانية
فى نوفمبر الماضى .. كنت قد زرت صديقا فى (هانكاو) ،
وعدت بقطار (بكين) السريع . وفى القطار ، أتيح لى أن أجاذب
الحديث راهبة جد جميلة ، ترأس بعض الراهبات الفرنسيات
اللاتى يقمن بأعمال البر ، وكانت مسافرة الى (شونج كيانج)
حيث يقوم ديرها .. وفيما كانت تحدثنى عن مستشفى البعثة
فى (شونج كيانج) ، ذكرت مريضا بالحمى حمل اليها منذ
أسابيع .. رجلا حدسوا انه ولابد أوربى ، وان لم يستطع أن
يروى شيئا عن نفسه ، ولم يكن معه أية أوراق . وكانت ثيابه
محلية ، ومن أرخص نوع ، وكان شديد الاعياء حين قبلته
الراهبات فى المستشفى . وكان يتحدث الصينية بطلاقة ، كما
يجيد الفرنسية الى حد كبير . وأكدت لى زميلتى فى القطار انه
حدثهن بالانجليزية ، بلهجة راقية ، قبل أن يتحقق من جنسية

الراهبات ٠٠ وعند ما بلغ القطار (شونج كيانج) ودعتنى الام الراهبة بأجمل مظاهر المودة ، ودعتنى الى زيارة ديرها اذا قدر لى أن أكون على مقربة منه ٠ وكان هذا يبدو مستبعدا فى الواقع ، ولكن حدث أننى عدت الى (شونج كيانج) ثانية خلال بضع ساعات ٠٠ »

فلقد تعطل القطار ولما يبتعد عن المحطة ميلين ، فعاد الركاب الى المحطة ، ريثما تصل قاطرة أخرى بعد اثنتى عشرة ساعة ٠٠ ورأى « رذرفورد » أن ينتهز الفرصة لزيارة الدير ، فاستقبل بحفاوة ، وصحبته الام الرئيسة وطبيب شاب من الصينيين فى جولة خلال المستشفى ٠٠ ومضى يقول : « كان المكان نظيفا لا غبار عليه ، ولاح انه يدار بدقة ٠ وكنت قد نسيت كل شىء عن المريض الغامض ذى اللهجة الانجليزية الراقية ، حتى نبهتنى الام الرئيسة الى أننا مقبلون عليه ٠ ولما دخلنا غرفته ، حييته بالانجليزية ، فتطلع فجأة ، ورد التحية ٠ **وكنت قد عرفته رغم نمو لحيته ، وتغير مظهره ، ورغم أننا لم نلتق منذ أمد طويل ٠٠ كان هو « كونواى » ٠٠ وهتفت باسمه واسمى ٠٠ ومع انه تطلع الى دون أية بادرة تدل على ادراك ، الا اننى وثقت من أننى لم أخطىء ٠٠**

« واستبدت الدهشة بالطبيب والام الرئيسة ،٠ ولكنى أنبأتهما بأننى أعرف الرجل، وانه اذا لم يكن قد عرفنى ، فلأنه فقد ذاكرته تماما ٠٠ ورحنا نتشاور فى الامر ، فلم يستطيعا أن يعللا كيف أمكن لكونواى أن يصل الى « شونج كيانج » بالحالة التى كان عليها ٠٠

« ومكثت هناك أكثر من أسبوعين على أمل أن أتمكن من حمله ــ بطريقة أو بأخرى ــ على أن يتذكر الامور ، فلم أفلح ٠ غير أنه استعاد صحته البدنية ، فتحدثنا معا طويلا ، وكنت حينما أنبئه باسمى ، وبمن يكون هو ، لا يجادلنى تلطفا منه ٠ ووافق بسهولة على اقتراحى بأن أصحبه فى العودة الى الوطن

.. وسافرنا بطريق النهر الى (نانكينج) ثم
(شانغهاى) ، حيث استطعنا أن نعثر على سفينة مبحرة الى ركبنا القطار الى
أمريكا فى الليلة ذاتها »

★ ★ ★

◆ وتوقف « رذرفورد » قليلا ريثما يستجمع ذكرياته ، ثم
استأنف حديثه :

« وتستطيع أن تتصور اننا أعدنا توطيد صداقتنا القديمة
على السفينة ، فحدثته بكل ما كنت أعرفه عنه ، وهو يصغى
بانتباه . وكان يتذكر بجلاء كل ما حدث منذ وصوله الى
(شونج كيانج) . وهناك مسألة أخرى قد تثير اهتمامك ، هى
انه لم ينس اللغات . وقد ذكر لى - على سبيل المثال - انه
ولابد كان على علاقة ما بالهند ، لأنه كان يستطيع الكلام باللغة
الهندوستانية . وفى (يوكوهاما) صعد الى السفينة ركاب
جدد كان بينهم « سييفكينج » عازف « البيانو » المشهور . وبعد
مغادرة اليابان ببضع ليال ، أمكن اقناعه باقامة حفلة يعزف
فيها ، وذهبت و « كونواى » لسماع عزفه .. وكان رائعا
بالطبع . وبعد أن فرغ « سييفكينج » واتجه نحو الباب
لينصرف ، حدث أمر غريب .. فقد جلس « كونواى » مكانه
وعزف قطعة سريعة حافلة بالانغام ، لم أعرفها ، ولكنها اجتذبت
« سييفكينج » فعاد فى انفعال بالغ يسأله عن واضعها .. وبعد
صمت طويل غريب ، لم يستطع « كونواى » سوى أن يجيب
بأنه لا يعلم عنه شيئا . وصاح « سييفكينج » - وقد زاد
انفعاله - بأن هذا غير معقول . واذ ذاك بدا « كونواى » كأنه
يبذل جهدا جبارا ليتذكر ، ثم قال أخيرا انهامن انتاج «شوبان» ،
فصاح سييفكينج : « اننى أعرف كل ما انتجه « شوبان »
ياصديقى العزيز ، وأؤكد لك انه لم يكتب قط ما عزفت الآن .
ولقد كان من المحتمل أن يضع لحنا كهذا - لأن هذا من لون
ألحانه فعلا - ولكنه لم يفعل . وأتحداك أن ترينى هذا اللحن فى

أية نسخة » ! ·· وزد كونواى على هذا قائلا : « آه ، فعلا ·· تذكرت ·· انه لم يطبع قط ، وانما تعلمته أثناء لقائى برجل كان من تلاميذ شوبان ·· وهاك قطعة أخرى لم تنشر ولكنى تعلمتها عليه »

★ ★ ★

◆ وكان « رذرفورد » يحدق فى وجهى باستمرار ليستوثق من انتباهى وهو يمضى قائلا : « ·· حتى لو لم تكن من هواة الموسيقى ، فما أراك الا قادرا على أن تتصور شيئا من انفعال « سييفكينج » ، وانفعالى أنا الآخر ، اذ مضى كونواى فى العزف · ولسوف تتبين أية مشكلة غامضة هذه ، اذا ذكرتك بأن «شوبان» مات فى سنة ١٨٤٩ ·· ولذا كان من المستحيل تفسير الحادث بأسره · وأكد لى « سييفكينج » بأن هاتين القطعتين الموسيقيتين لو كانتا قد نشرتا لأقبل كل عازف على تعلمهما · ولم نستطع أن نهتدى الى شىء ، لان كونواى تشبث بقصته · واذ بدأ الإرهاق يعتريه ، حرصت على أن أبعد به عن الجمع وأسلمه الى فراشه · وفى تلك الليلة ـ أقصد الليلة التى أعقبت الحفلة ـ استعاد ذاكرته · كنا قد أوينا الى فراشينا ·· وكنت ما أزال مستيقظا حين جاء الى حجرتى وأنبأنى · كانت عضلات وجهه قد جمدت على ما لا أملك أن أصفه الا بأنه كان تعبيرا يوحى بالاسى الطاغى ·· نوع من الاسى الشامل ·· أسى عميق ، وبعيد عن الطابع الشخصى · وجلس طويلا على حافة سريرى ، فتركته يستغرق ما شاء من وقت فى اختيار الاسلوب الذى يفضى به لى بأمره ·· وبعد فترة من الزمن ، ارتديت ثيابى وأغريته بأن يحذو حذوى ، ثم رحنا نذرع سطح السفينة ·· وتركته يتكلم كما يريد ، دون ما أسئلة فى البداية · وكان الوقت ضحى والشمس عالية حين فرغ ·· كان جد تعس ، وما كان بوسعه أن ينام ·· وكان من المرتقب أن تصل السفينة

الى « هونولولو » فى منتصف الليلة التالية .. وغادرنى حوالى الساعة العاشرة من تلك الليلة .. ولم أره بعد ذلك قط ! »

وخطـــر ببالى أن يكون قـد انتحر ، فضحك « رذرفورد » قائلا : « لا .. انه ليس من هذا الصنف .. كل ما هنالك انه غافلنى وتسلل الى الشاطىء .. وعلمت فيما بعد أنه استطاع أن ينضم الى بحارة مركب تحمل موزا الى جنوب (فيجى) .. فقد كتب لى بعد ثلاثة أشهر من (بانجكوك) وأرفق خطـــابه باذن مصرفى مقابل النفقات التى تكبدتها من أجله . وقال انه يتمتع بصحة جيدة ، وانه كان مزمعا القيام برحلة طـويلة الى الشمال الغربى .. الا ترى مقصده غامضا ؟ .. ان كثيرا من الاماكن تقع الى الشمال الغربى من بانجكوك » .

وتوقف « رذرفورد » عن الكلام فسألته : « وكيف وصل الى شونج كيانج ؟ .. أظنه أنبأك بذلك فى تلك الليلة التى روى لك فيها قصته على السفينة »

ـ حدثنى بشىء عنها .. ولكنها قصة طويلة ، ولســـوف تضطر الى الانصراف لتلحق بقطارك قبل أن تتبين لك معالمها . على اننى كنت قد بدأت كتابة مذكرات قصـــيرة عن الاحاديث المتباينة التى دارت بيننا على ســطح الســفينة كى لا أنسى التفصيلات .. واذ بدأت تتضح لى بعض المعالم فيما بعـــد ، وجدتنى مسوقا الى أن أراجع ما كتبت وأن أجمع الاجزاء فى قصة واحدة ..

وأخرج من احدى الحقائب مجموعة من الاوراق المنسوخة على الآلة الـكاتبة ، وقال : « هاك هى ، ولك أن تفعل بهـــا ما تشاء .. »

وأخـــذت الاوراق معى ، فقـــرأت معظمها وأنا فى قطـار (اوستند) السريع

- ١ -

◆ كان الموقف خلال ذلك الاسبوع الثالث من مايو قد ازداد سوءا فى (باسكول) ، وارسل السلاح الجوى فى اليوم العشرين من الشهر عدة طائرات ، وصلت من (بيشاوار) لتجلى عنها السكان البيض ، وكان عددهم نحو ثمانين ، نقل معظمهم بسلام عبر الجبال فى ناقلات الجنود ، كما استخدمت بضع طائرات مختلفة ، بينها طائرة « صالون » معارة من مهراجا شاندابور • والى هذه صعد اربعة من الركاب فى نحو الساعة العاشرة صباحا • ، هم : الآنسة روبرتا برنيكلاو ، التابعة للارسالية الشرقية - وهنرى د • بارنارد ، وهو أمريكى الجنسية - وهيو كونواى ، قنصل صاحب الجلالة - والكابتن تشارلس مالينسون ، نائب القنصل

وكان كونواى فى السابعة والثلاثين ، وقد امضى فى (باسكول) عامين ، وبهذا اتم مرحلة من حياته ، وبات مرتقبا ان يرسل الى مكان آخر خلال اسابيع قلائل • وكان قد قضى عشر سنوات فى السلك القنصلى ، وعرف ان المراكز الرئيسية ليست من نصيبه ، اذ كان يؤثر عليها المراكز الاقل تطلبا للمظاهر الرسمية ، والاكثر حظوة بجمال الطبيعة • ولا شك ان هذا بدا للغير دليلا على انه لم يكن ماهرا فى عمله ، ولكنه فى الواقع كان يرضى ميوله !•• وكان طويل القامة ، شديد السمرة ، ذا شعر قصير ، وعينين زرقاوين باهتتين• اما مظهره فكان اقرب الى الصرامة والعبوس ، حتى يضحك فيبدو شكله صبيانيا • وكانت ثمة اختلاجة عصبية خفيفة بالقرب من عينه اليسرى ، تلاحظ عادة اذا ما ارهق نفسه فى العمل • ولما كان قد قضى اليوم والليلة السابقين على الجلاء ، وهو يحزم او يعدم وثائق ، فان الاختلاج كان جد ملحوظ حين صعد الى الطائرة •• كان مكدودا ، وقد سره ان تمكن من الرحيل فى طائرة المهراجا الفخمة ، فاضطجع منشرحا فى مقعده حين حلقت الطائرة !

واستمرت الطائرة محلقة اكثر من ساعة ، وفجاة قال « مالينسون » - الذى كان يجلس فى الصف الاول خلف مقصورة القيادة مباشرة - انه يظن ان الطيار لا يتبع الطريق المرسوم !•• وكان « مالينسون » شابا فى العقد الثالث ، متورد الوجنتين ، ذكيا ، دون ان يكون من اهل الفكر ! •• وكان اخفاقه فى احد الامتحانات هو السبب الرئيسى فى ايفاده الى (باسكول) ، حيث حظى كونواى برفقته ستة اشهر اخذ خلالها يزداد ميلا اليه ••

وفتح « كونواى » عينيه المثقلتين بالنعاس ، واجاب بان الطيار ولابد خير من يعرف الطريق • وبعد نصف ساعة - وقد اوشك التعب وضجيج المحرك أن يسلماه للنعاس - عاد « مالينسون » يزعجه قائلا ان الطيار لم يكن « فينر » ، مع ان « فينر » اكد له انه هو الذى سيتولى القيادة •• واضاف انه لم ير

وجه قائد طائرتهم هذا من قبل ، رغم انه يعرف كثيرا من الطيارين ٠٠ فابتسم « كونواى » وقال مهونا :

– اذن فلابد انه من الاقلية التى لا تعرفها ٠٠ عند ما نصل الى (بيشاوار) عما قريب ، تستطيع ان تتعرف عليه ٠٠

– اننا لن نصل الى (بيشاوار) باية حال ، فان الرجل قد حاد تماما عن طريقه ، ولست فى دهشة من هذا ٠٠ فهو لا يستطيع ان يتبين موقعه وهو يحلق على هذا الارتفاع !

ولم يجب « كونواى » ، ولكن تغيرا فى ازيز المحرك لم يلبث ان اشعره بان الطائرة شرعت فى الهبوط ٠ واحس بميل الى ان يلوم « مالينسون » على مخاوفه ٠٠ لولا ان الشاب نهض فجاة بحدة ، فارتطم راسه بالسقف ، وايقظ «بارنارد» الامريكى ، صائحا وهو يتفرس خلال النافذة : « يا الهى !٠٠ انظر!»٠٠ ونظر « كونواى » ٠٠ كان المنظر بالتاكيد غير الذى توقع ، فبدلا من البنايات الانيقة وحظائر الطائرات المالوفة فى المطارات ، لم يكن يبدو للناظر سوى صحراء شاسعة بنية اللون ! ٠٠ ومع ان الطائرة كانت تهبط بسرعة ، الا انها كانت لا تزال على ارتفاع غير مالوف فى الطيران العادى ، وكان من الميسور تبين حواف السلاسل الجبلية الطويلة المعقوفة ٠٠ كان منظرا نموذجيا لمنطقة الحدود ، وان لم ير « كونواى » مثله على ارتفاع كهذا من قبل ٠ ولم يكن ينم عن اى مكان يتصور وجوده على مقربة من (بيشاوار) ، الامر الذى اثار دهشته ٠ ولكنه لم يشأ ان يزعج الآخرين ، فهمس فى اذن « مالينسون » : « يبدو كانك كنت على حق ٠٠ لقد ضل الرجل طريقه »

وواصلت الطائرة هبوطها بسرعة هائلة ، وازداد الهواء حرارة ، واخذت الطائرة تتارجح بين الجيوب الهوائية ٠ وتنبا « مالينسون » بان الطيار لن يستطيع الاستقرار على الارض ، ولن يلبث ان يحطم الطائرة ٠٠ ولكن الطيار استقر على الارض فعلا ، وبمهارة عظيمة ! ٠٠ على ان ما حدث بعد ذلك كان اكثر غرابة وغموضا ، اذ اقبل من كل صوب ، فوج من رجال القبائل ذوى اللحى والعمائم ، فاحاطوا بالطائرة ، ومنعوا اى فرد – عدا الطيار – من الهبوط ٠ وقفز هذا الى الارض واخذ يتحدث اليهم فى انفعال وبطريقة تدل على انه لم يكن انجليزيا ٠ وما لبثت صفائح البنزين ان اخرجت من مخزن قريب وافرغت فى خزانات الطائرة ٠ وكانت صيحات الركاب الاربعة المسجونين تقابل بالصمت ٠ وحاول « كونواى » ان يتحدث الى رجال القبائل بلسان « البوشتو » دون ثمرة ٠٠ بينما كان الرد الوحيد الذى ابداه الطيار ، هو وميض مسدسه ٠٠ وكانت حرارة شمس الظهيرة تكوى سقف الطائرة ، فاشتعل الجو بداخلها حتى اوشك الركاب ان يختنقوا ٠٠ وكانوا بلا حول ولا

قوة ، فقد كان من شروط الجلاء ان لا يحملوا سلاحا !

وما ان اغلقت الخزانات ، حتى اسلمت الى الركاب ـ خلال النافذة ـ صفيحة مليئة بماء عذب ٠ ولم يتلقوا جوابا على اى من اسئلتهم ، وان لم يبد من الرجال المتجمعين اى عدوان ٠ وكان الارتفاع عن الارض ، وبتلك الحمولة من البنزين ، اكثر مهارة من الهبوط ٠٠ واتجهت الطائرة نحو الشرق

★ ★ ★

◆ كان امرا غاية فى الغرابة واثارة الحيرة ! ٠٠ واستنتج « مالينسون » انهم مختطفون كرهائن ، ودار بينه وبين « بارنارد » نقاش طويل ، لم يشترك فيه « كونواى » الا بنذر يسير ، اذ انهمك فى مهمة جد عملية ٠ فقد جمع كل قصاصة من الورق استطاعوا ان يجدوها معهم ، واخذ يكتب عليها رسائل باللغات المحلية المتباينة ، ليلقيها على فترات الى الارض !

وظلت الطائرة محلقة خلال الضباب الخفيف فى طبقات الجو العليا ، على ارتفاع لا ينجلى منه اى منظر تحتها ٠٠ وكانت الحجب تتكشف لحظة ـ من آن لآخر ـ عن حافة متعرجة لاحدى القمم الجبلية ، او مجرى مائى غير معروف ٠٠ ولم يكن من سبيل لتحديد الاتجاه ، الا على وجه التقريب ، وبالقياس الى الشمس ، وكان يبدو ان الطائرة ما زالت متجهة الى الشرق ، مع انحرافات نحو الشمال بين وقت وآخر ٠٠ ولم تكن لكونواى دراية فنية بقيادة الطائرات، ولكنه كان متاكدا من ان الطيار ـ ايا كانت شخصيته ـ كان خبيرا فى القيادة ٠ وتبين ان لزملائه اسبابا شخصية تدعوهم للقلق اكثر مما لديه بكثير ٠ وكان « مالينسون » اقلهم رباطة جاش ٠٠ وكلما مرت الساعات ابدى مزيدا من القلق ٠٠ وفى احدى المرات ، صاح بصوت غاضب علا على ضجيج المحرك : « انظروا ٠٠ هل قدر علينا ان نجلس هنا نعبث باصابعنا بينما يفعل هذا المافون كل ما بدا له ؟ ٠٠ ما الذى يمنعنا من ان نحطم الزجاج الذى يفصل بيننا وبينه ونسوى الامر معه ؟ »

واجاب « كونواى » : « لا شىء على الاطلاق سوى انه مسلح ونحن غير مسلحين ، وان احدا منا لا يعرف كيف يهبط بالطائرة الى الارض ٠٠ »

ـ اننا ثلاثة ضد واحد ٠٠ ونستطيع على الاقل ان نرغمه على ان يفصح عن سر هذه اللعبة

فتقدم « كونواى » نحو الحاجز الزجاجى ، ونقره باصابعه ٠٠ وكان الجواب مطابقا لما توقع ٠٠ انزلق الحاجز جانبا ، وبرزت من خلفه فوهة مسدس ٠ فارتد «كونواى» الى الوراء ، وعاد الزجاج الى مكانه ثانية !٠٠وحاول «مالينسون» ان يمارى ، قائلا انه سيكافح قبل ان يستسلم ، ولكن « كونواى » قال له : « ان الكفاح دون ما فرصة للفوز ، لعبة خرقاء ٠٠ » وقدم له سيجارة ، وان

١٦٩٤

لم يشعل لنفسه واحدة ، ثم أردف قائلا : « اننى أدرك شعورك .. انه وضع سىء ، واسوا ما فيه ان ليس فى وسعنا ان نعمل الكثير لعلاجه »

على انه – فى قرارة نفسه – ارتاح الى هذا الوضع ، اذ كان جد متعب ، فاضطجع فى مقعده واستغرق فى النوم.وعندما استيقظ ، لاحظ ان الآخرين كانوا قد ناموا ايضا ، رغم تباين هواجسهم . كانت الآنسة « برنيكلاو » تجلس معتدلة ، مستوية فى مقعدها وعيناها مغلقتان . اما « مالينسون » فانحنى الى الامام فى مقعده ، وذقنه فى راحة احدى يديه .بينما كان الامريكى يغط فى نومه

وتحول الى النافذة ينظر خلالها . كانت السماء المحيطة قد صفت تماما ، وفى ضياء الاصيل ، تبدت له للحظة صورة انتزعت الانفاس من رئتيه . فعلى بعد شاسع ، عند نهاية ما يصل اليه البصر ، ارتفعت قمم الجبال صفا اثر صف ، يتوجها الجليد ، وتتخللها المجارى الجليدية ، وقد حفت بها دائرة افق ذات الوان رائعة تبهر الانظار . وكانت الطائرة فى تلك الاثناء تحلق فوق صحراء بيضاء عالية بدت كجزء من السماء ذاتها الى ان التقت بالشمس عند منتهى البصر .. ولم يكن « كونواى » سهل التاثر ، ولكن هذا المنظر الرهيب كان يختلف عما عداه .. كان ثمة شىء رهيب ، مهول ، يلف تلك القمم الجليدية !!

– ٢ –

◆ كان « كونواى » حكيما حين ترك الآخرين حتى استيقظوا من تلقاء انفسهم .. ولم يبد كثير احتفال بهتافات الدهشة التى ندت عنهم .. على انه ما لبث ان استجاب لبارنارد عن طيب خاطر ، حين ساله رايه .. فقال ان من المحتمل انهم ما زالوا فوق الهند ، وان لم يكن قد حلق من قبل فوق البطاح الجبلية التى كانوا يحلقون فوقها ..

وهتف « مالينسون » : « اشهد بان الوقت قد حان كى نتخلى عن نظرية الاختطاف ، فنحن ولابد قد اجتزنا الحدود منذ وقت طويل .. ان التفسير الوحيد الذى اراه هو ان طيارنا مجنون متهوس .. » !

ولم يبد « كونواى » رايا .. وبينما كان ينظر ويتامل ، حدث تحول غريب فى الجو المحيط بهم ، اذ استحال الضوء الى لون ضارب للزرقة شمل جميع الجبال التى كانوا يحلقون فوقها ، بينما اكتست السفوح بلون قاتم اقرب الى البنفسجى . وانبعث فى اعماقه شعور اقوى من زهده المعتاد فى الحديث .. شعور من الترقب القوى اليقظ ، اذ احس ان المسالة تزداد تطورا .. ومضى « مالينسون » يؤكد ان الطيار مختبل العقل ، فصمت كونواى فى البداية ، حتى اذا الح عليه « مالينسون » ان يبدى رايا ، قال :

ـ انه خبل منظم بدقة كما رايت .. لا تنس الهبوط للتزود بالبنزين ، وان هذه هي الطائرة الوحيدة التي كان في مقدورها الصعود الى مثل هذا الارتفاع !

وفيما كان مستغرقا في التفكير ، هبط الظلام ، واذ ذاك أشرق القمر بدرا ، واخذ يمس القمم تباعا حتى اضاء الافق الطويل الذى تبدت خلفه السماء داكنة الزرقة .. وشاعت في الجو برودة ، وهبت ريح اخذت تعبث بالطائرة ، فهبطت هذه المضايقات بالروح المعنوية للركاب ، اذ ما كان ليخطر لهم ان الطيران سيستمر بعد الغروب ، ولكن أملهم الاخير انحصر الآن في نفاد البنزين .. ولم يكن مقدرا ان يتاخر هذا طويلا .. وكان « مالينسون » قد عاد في كربه يلح على « كونواي » ان يحاول تعرف المنطقة التي كانوا يحلقون فوقها .. وأخيرا قال هذا :

ـ ليس من السهل تقدير ذلك ، ولكن من المحتمل ان نكون فوق جزء من (التبت) ..

وعاد « مالينسون » يسال في الحاح : « ولكن ، ماذا ترانا فاعلين ازاء هذا ؟ .. لماذا نحن هنا ؟ .. ما الذى يعنيه كل هذا ؟ »

والتفتت الآنسة « برنكلاو » وكانها في مسرح تنتهز فرصة الاستراحة لتقول شيئا في نفسها : « لعله ما كان ينبغى ان ادلى برايى ما دمتم لم تسالونى ، ولكننى اود ان اقول اننى اوافق مستر مالينسون .. اننى واثقة من ان المسكين لا يمكن ان يكون صحيح العقل .. اقصد الطيار ، بالطبع . على انه لن يكون ثمة عذر له اذا لم يكن مجنونا .. هل تعرفون ان هذه اول رحلة لى بالجو !.. رحلتي الاولى ! »

واخذ « كونواى » يفكر في ان تقبل الآنسة « برنكلاو » للموقف بهذا الهدوء كان تصرفا جذابا .. وابتسم في استحسان ثم اغمض عينيه ، واستغرق بسهولة في نوم هادىء ناعم ، بينما استمرت الطائرة في تحليقها ..

وفجاة ، استيقظوا جميعا على تغير في صوت المحرك ، فاذا البرودة قد اشتدت .. وكان اول ما فعله « كونواى » ان القى نظرة على ساعته ، بدافع تلقائى ، فاذا بها تشير الى الواحدة والنصف .. وامتلأت اذناه بحفيف خفقات عالية ، ظنها في البداية وهما ، ثم تبين ان المحرك قد توقف ، وان الطائرة كانت تندفع ضد ريح قوية .. ونظر خلال النافذة ، فراى الارض جد قريبة .. وسرعان ما مست الطائرة الارض ، ولكن الطيار لم يحسن الهبوط في هذه المرة، اذ انفجرت احدى العجلات. وانبعث أنين من «مالينسون» وقال : «قضى الامر .. فمن المؤكد اننا سنضطر الى البقاء حيث نحن الآن .. »

★ ★ ★

◆ لم يكن من عادة « كونواى » ان يكثر من الكـلام فى أوقات الأزمات ، فبسط ساقيه المتيبستين .. وكان آخر الاربعـة فى النهوض حين استقرت الطائرة . وهتف يهدىء من « مالينسون » الذى فتح باب مقصورة الطائرة عنوة، وتهيا للوثوب الى الارض .. ولكن جواب الشاب واتاه فى السكون وكانه صوت شبح : « لاداعى للهدوء .. كانى بنا فى طرف الارض .. فليس من مخـلوق حولنا »

وتبينوا جميعا ذلك بعد لحظة ، وهم يرتجفون من البرد .. لم يكن من صوت سوى زمجرة الريح العاتية ، ووقع أقدامهم .. واحسوا انهم تحت رحمة شىء غامض رهيب .. وكان « مالينسون » قد اندفع نحو مقصورة الطيار فى نشاط محموم ، ولم تنقض ثوان قلائل ، حتى هبط الشاب ثانية ، فامسك بذراع « كونواى » ، وتمتم فى صوت أجش بانه يعتقد ان الطيار مريض او ميت ، وانه قد جرده من مسدسه ..

وتناول « كونواى » المسدس منه ، ثم اشراب بعنقه حتى صار فى موقف يمكنه من رؤية مافى مقصورة القائد .. كانت رائحة البنزين قوية ، فلم يستطع ان يجازف بايقاد عود من الثقاب .. على انه استطاع ان يرى الطيار منكفئا الى الامام ، وراسه على مفاتيح القيادة .. وكان فى وسع اى مراقب للمنظر ان يلمح ان شيئا قد أصاب « كونواى » نفسه ، فقد اكتسب صوته حدة ، وحزما ، ولم يعد يحوم على حافة الشك العميق .. ودعا « بارنارد » و « مالينسون » الى معاونته ، فاخرجوا الطيار وهبطوا به الى الارض .. وكان فاقد الوعى وليس ميتا .. وحدس « كونواى » انه اصيب بنوبة قلبية . ولم يكن فى وسع احد منهم ان يفعل شيئا ، فرفعوه الى مقصورتهم فى الطائرة ، ليقوه وانفسهم شر الريح .. وارقدوه فى الفراغ الممتد بين المقاعد .. وبحثت الآنسة «برنيكلاو» فى حقيبتها ثم اخرجت زجاجة صغيرة وقالت : « اننى لا اتذوق قطرة من هذه قط ، لكنى احملها دائما معى احتياطا لأى طارىء »

وصب كونواى بعض « البراندى » فى فم الرجل .. وبعد هنيهة استطاعوا ان يروا اجفانه تختلج فى وهن .. وبدا كونواى يشعر بعدم الارتياح ، اذ تطور الموقف فلم يعد خطرا يثير الانفعال ، بل اصبح ينذر بان يصبح امتحانا لجلدهم واحتمالهم قد ينتهى بكارثة . وكان قد قدر ان الطائرة حملتهم بعيدا خلف الجزء الغربى من جبال (هيملايا) .. وبهذا يكونون قد بلغوا اسوا مكان على سطح الارض ، حيث تقوم هضبة (التبت) التى يبلغ ارتفاع ادنى وديانها ميلين .. هضبة شاسعة ، غير ماهولة ، فى مهب الرياح ، لا يزال معظمها مجهولا لم يرتده احد .. وكان من المحتمل ان اقرب مكان معمور قد يبعد عن مكانهم

بمئات الاميال ٠٠ وليس لديهم طعام ، ولا سـلاح سوى مسدس الطيار ٠٠ والطائرة معطوبة ، ولا يكفى مافيها من وقود لو كان بينهم من يعرف قيادتها ٠٠ ولم يبق منهم من احتفظ بجلده سوى الآنسة « برنيكلاو » ـ كعادتها بعد كل نكبة ـ فقدر فيها كونواى هذا الجلد ٠٠ ثم ارهف سمعه للطيار الذى بدأت انفاسه تنتظم ، واخذ يحرك اعضاءه فى وهن من آن لآخر

ومضى الليل يزحف فى بطء ، وكان كل دقيقة عبء ثقيل لا بد من دفعه ليخلى مكانه للدقيقة التالية ٠٠ وراح الظلام يشتد ، والبرد يعنف ، والريح تزداد كلما لاح الفجر وشيك الطلوع ٠ وكانما كان طلوع الفجر اشارة للريح ، فاذا بها تهدأ ، وبدأ الوادى ينجلى فى اعقاب الظلام المولى ، متكشفا عن ارض صخرية منحدرة ٠٠ لم يكن منظرا يبشر بالخير ، ولكن كونواى احس بشعور من الدعة غريب !

واستيقظ الآخرون مع ارتفاع حرارة الهـواء ، فنقلوا الطيار الى الخارج ، وسرعان مافتح عينيه ، وبدأ يتكلم فى هذيان ٠٠ وانحنى الركاب الأربعة ينصتون فى انتباه الى الصوت الذى لم يفقهوا ـ عدا كونواى ـ لكلماته معنى ٠٠ وبعد فترة ، ازداد الرجل وهنا ، واخذ يتحدث بعناء ، ثم لفظ انفاسه الاخيرة ٠ واذ ذاك التفت كونواى الى زملائه ، معربا عن اسفه لأن الرجل لم يفض بشىء اكثر من انهم كانوا فى (التبت) ، وان ثمة ديرا لكهنة « اللاما » على مقـربة ، يستطيعون ان يجدوا فيه قوتا وملجأ ٠٠ وان اسم هذا الدير (شانجرى لا)

ولم تكن ثمة حيلة سوى السعى الى ذلك الدير ٠٠ وابدى «مالينسون» سخطه لان ذلك يقصيهم بضعة اميال اخرى عن الحضارة ، ولكن كونواى استطاع ان يقنعه بانهم لا يملكون فى تلك البقعة المهجورة النائية ، سوى ان يسعوا الى المكان الوحيد الذى يحتمل ان يجدوا فيه آدميين وطعاما ٠٠

واتجهت انظارهم صوب الجبل الذى كان طرف الوادى يفضى اليه ٠٠ كان يبدو رائعا فى ضوء النهار الوضاح ٠٠ ثم انحرفت ابصارهم وراحوا يحملقون ، اذ لاحت لهم على البعد اشكال رجال تقترب منهم ٠٠ فهمست الآنسة «برنيكلاو»: « انها العناية الالهية ! » ٠٠

ـ ٣ ـ

◆ تكشفت الاشكال وهى تتقدم عن ثلة من اثنى عشر شـخصا او اكثر ، يحملون بينهم مقعدا ذا مظلة يستوى عليه شخص فى رداء ازرق ٠٠ ولم يكن فى وسع كونواى ان يحدس المكان الذى كانوا يقصدونه ، ولكنه ايقن ان العناية الالهية ـ كما ذكرت الآنسة « برنيكلاو » ـ هى التى ساقت هذه الجماعة لتمر بهذا المكان ٠٠ وفى هذا الوقت !٠٠ وما ان غدا على مسافة يسمعونه عبرها ، حتى انفصل عن زملائه ، وتقدم حتى اذا صار على مقربة منهم ، انحنى بالتحية

الواجبة . وشد ما كانت دهشته اذهبط من المقعد عجوز صيني في عباءة حريرية ، وتقدم في تؤدة ومهابة ، وبسط يده .. ثم قال في انجليزية سليمة : « انا من دير (شانجري لا) لرهبان اللاما » .. فانحنى كونواى ثانية . وبعد صمت مناسب ، شرع يشرح باختصار الظروف التي حملته وزملاءه الثلاثة الى مثل ذلك المكان غير المطروق من الدنيا . فابدى الصيني في نهاية الرواية ادراكه للظروف ، وحدق في الطائرة المعطوبة ، ثم قال : « اسمي تشانج ، اذا شئت ان تتفضل بتقديمي لاصدقائك »

ووفق كونواى الى ابتسامة تبدو طبيعية ، وقد ادهشه ان يلتقى بتلك الرسميات الاجتماعية في (التبت) ، وقدم اليه زملاءه ونفسه قائلا : « اننا جميعا مغتبطون اذ نراكم ، وان كان لقاؤنا في ظروف محيرة .. لقد كنا فعلا على وشك ان نسعى الى ديركم ، ومن ثم فقد وافانا الحظ مضاعفا »

– سيسرني ان اقوم بدور الدليل لكم .. ان الدير ليس بعيدا ، ولكن الطريق ليست سهلة .. ولسوف يشرفني ان اصحبك واصدقاءك ..

وهنا تدخل « مالينسون » قائلا في اقتضاب : « ان اقامتنا لن تطول ، وسندفع ثمن كل ما نحظى به ، ونود ان نستاجر بعض رجالك ليعاونونا في رحلتنا للعودة . فنحن نبغي العودة الى الحضارة باسرع مايمكن »

– اواثق انت تماما من انك بعيد عنها ؟

ولم يزد هذا السؤال الشاب الا حدة ، فقال : « انا واثق تماما من انني بعيد عن المكان الذي احب ان اكون فيه .. لسوف نشكر لكم ماتقدمون من مأوى موقوت ، ولكنا سنكون اكثر شكرا اذا يسرتم لنا وسائل العودة .. »

واحس كونواى ان هذا الحديث تحرش لا داعي له ، وهم بان يتدخل ، لولا ان انبعث الرد في شمم بالغ : « كل ما استطيع ان أؤكده لك يامستر «مالينسون» هو انكم ستعاملون اشرف معاملة ، وانكم لن تجدوا في النهاية ما تاسفون عليه»

وقفز « مالينسون » هاتفا في عجب : « في النهاية ؟ » .. ولكن الجماعة قدمت في تلك اللحظة المرطبات والفاكهة فحالت دون تطور الموقف .. واخذ كونواى يتامل في اعجاب الجبل القائم خلف الوادي .. كان منظره يملك على

المرء مشاعره .. والتفت فرأى ان الصينى كان ينعم النظر فيه ، وبادر يساله : « اكنت تتامل الجبل يا مستر كونواى ؟ .. انه يسمى (كاراكال) ويربو ارتفاعه على ثمانية وعشرين الفا من الاقدام ! »

وقضوا فترة الصباح كلها فى صعود السفح ، ببطء ، وتقدم مريح .. بيد ان الجهد البدنى فى مثل هذا الارتفاع كان كبيرا ، فلم يدع لأحد طاقة ينفقها فى الكلام . وكان الصينى يقطع الرحلة مستريحا ، منعما فى مقعده . ووجد كونواى عناء فى التقاط ماكان يدور عرضا من حديث بين حملة المقعد . وكان يعرف من لغة (التبت) القليل الذى مكنه من ان يدرك أن الرجال كانوامغتبطين بعودتهم الى الدير !

وبعد ميلين ، إشتد الانحدار ، ولكن الشـمس فى ذلك الوقت كانت قد احتجبت وراء السحب ، وغام على الكون ضباب فضى .. وشاعت فى الهواءبرودة، تحولت مع تغير مناطق الجبل الى زمهرير .. ثم لاح انهم بلغوا حافة القمة ، اذ توقف حملة المقعد ليعدلوا من وضعه .. على ان الأدلاء الذين كانوا خلفهمشرعوا يفكون حزما من الحبال ، مما نم عن عزمهم على ان يربطوا بين اعضاء الجماعة ، على طريقة متسلقى الجبال . واذ فطنوا الى أن كونواى يالف هذا النوع منالعمل، تركوه - فى احترام - يدبر ترتيب اعضاء الجماعة .. ومع ان المرحلة التالية كانت اكثر اثارة للانفعال ، الا انها كانت اقل وعورة مما اعد كونواى نفسه لملاقاته .. وواصل القوم تقدمهم خلال نفق فى سياج صخرى..واشتد بماليسنون الجزع ، ولكن كونواى قال له : « ان مجال الاختيار الوحيد امامك هو ان تبقى فتهلك »

وكانا ماضيين فى النقاش ، حين اتسعت الطريق ، وهبطت قليلا ، ثم استوت الارض . وخطوا من الضباب الى الخلاء والجو المشمس .. وعلى مسافة جد قريبة الى الأمام ، قام دير (شانجرى لا) . وكان منظرا غريبا لا يكاد يصدقه عقل ، اذ تالف من عدة دور متباينة الالوان ملتصقة بجانب من الجبل ، وقد اشرفت عليها من خلف ، سفوح جبال « كاراكال » فى شكل هرمى يبهر البصر ..وكانت ارض الوادى - عن كثب - تصافح العين بالخضرة ، وبدا المكان بديعا بهيجـا لكونواى ، وان كان اهله ولا بد فى عزلة تامة ، وكان داخل الدير فسيحا ، حسن التدفئة ، شديد النظافة ..

وغادر الصينى مقعده وقال : « والآن ، اذا جئتم معى فساريكم غرفكم ، اذ لا شك انكم تحبون ان تغتسلوا .و سيكون لى عظيم الشرف اذا رافقتمونى جميعا فى العشاء »

- ٤ -

◆ قال تشانج لضيوفه بعد العشاء : « وهكذا ، ترون اننا اقل همجية مما كنتم تتوقعون .. » !

ولم يكن كونواى ليقبل أن ينكر ذلك ، فان التدابير التى وجدها فى(شانجرى لا) كانت كل ما يبتغى ، بل فاقت بالتاكيد كل ما كان يتوقع . فقد اشتمل الدير على كل وسائل الراحة الحديثة .. وكان قد عاش بين الصينيين عشر سنوات اعتبرها أسعد مرحلة فى حياته .. لذلك بعثت فى نفسه الوجبة الاولى فى (شانجرى لا) ارتياحا والفة .. ولاحظ ان « تشانج » لم يتناول سوى قسط بسيط من الخضروات الطازجة ، وقال معتذرا انه يتبع نظاما دقيقا فى غذائه .. وعجب كونواى مما عسى أن يكون مرضه . واذ اخذ يتامله عن قرب ، وجد من المتعذر عليه أن يحدس عمره ، فان قسماته الصغيرة ، وبشرته التى كانت فى لون الطمى المبتل ، كانت تضفى عليه مظهرا من المحتمل أن يكون لشاب شاخ قبل الأوان ، أو لشيخ يحتفظ بصحته فى عناية فذة . وكان، فى ثوبهالحريرى الازرق الموشى بالتطريز ، ذا سحر هادىء ارتاح له كونواى !

وكان جو المكان اقرب الى الصين منه الى التبت .. وقد بعث هذا - فى حد ذاته - شعورا فى كونواى بدد وحشة الغربة ، وكانه فى وطنه ، فاشعل بعد العشاء سيجارة وقال لتشانج : « يلوح انكم جماعة جد سعيدة ، كما انكماكرم ما تكونون للغرباء ، وان كنت لا أتصور انكم تستقبلونهم كثيرا »

فاجاب « تشانج » : « اننا لا نستقبل غرباء الا فى النادر فعلا ، فهذا الجزء من الدنيا ليس مطروقا »

وقطعت الآنسة « برنيكلاو » عليهما الحديث قائلة : « هل لك فى أن تحدثنا عن الدير »

فرفع « تشانج » حاجبيه وقال : « سيكون هذا من اعظم دواعى سرورى ياسيدتى ، بقدر ما استطيع »

واجاب على اسئلتها بان المنتظمين فى سلك الرهبنة الكاملة كانوا خمسين ، كما كان ثمة بضعة افراد مثله لم يستكملوا رهبنتهم . وكانوا ينتمون الى امم عديدة ، ولكن اغلبيتهم كانت من التبت والصين ، وان وجد بينهم عدد من الانجليز!..وهنا لاحتالدهشةعلى أساريرالآنسة«برنيكلاو»،وسالتهعنعقيدتهم..؟

وتمهل « تشانج » وهو يجيب فى لهجة لم تكد تعلو على الهمس : « اذا شئت ان اضمنها كلمات قلائل .. فانى اقول ان عقيدتنا العامة هى الاعتدال فنحن ننمى فى انفسنا فضيلة تفادى الافراط بكل انواعه . وفى الوادى الذى رايتموه ، والذى يقيم فيه تحت اشراف مذهبنا عدة آلاف من السكان ، نحكم بشدة معتدلة ، كما نقنع فى مقابل ذلك بطاعة معتدلة . واظن بوسعى أن ازعم

ان قومنا معتدلون فى تناول المشروبات ، معتدلون فى عفتهم ، معتدلون فى امانتهم » !

فابتسم كونواى وقال : « هل لى ان افهم ان الاعتدال لا ينطبق على سيادتكم ايضا ؟ »

ولم يملك « تشانج » الا ان يهز راسه قائلا : « آسف ياسيدى ، لقد مسست مسالة ليس لى ان اتحدث فيها • وشد مايحزننى ان لا استطيع فى لحظتناالراهنة ان اقول اكثر من هذا »

وانتهز « مالينسون » الفرصة ، فقال : « كل هذا بديع ، ولكنى ارى ان الوقت قد حان لنبدأ فى بحث خططنا للرحيل • اننا نرغب فى العودة الى الهند باسرع مانستطيع • كم حمالا تستطيعون ان تمدونا بهم ؟ »

ولم يصدر جواب « تشانج » الا بعد فترة غير قصيرة : « لست ، لسوء الحظ ، بالشخص المختص يامستر مالينسون ، ولكنى ، على كل حال ، لا اكاد ارى ان المسالة يمكن ان تدبر فورا »

ـ ولكن لا بد من تدبير شىء ! •• ان لنا جميعا اعمالا يجب ان نعود اليها ، كما ان اصدقاءنا واقاربنا سيقلقون من اجلنا • اننا نحب ان لا نتاخر عن غد فى الرحيل ان كان هذا ممكنا عمليا • واتوقع ان يكون ثمة عدد كبير من قومك على استعداد للتطوع لمرافقتنا ، وسوف نجزيهم بالطبع !

ولكنه لم يظفر من « تشانج » باكثر من عبارة هادئة ، يكاد يبين فيها اللوم : « ولكن هذا كله ، كما تعلم ، ليس من اختصاصى » !

ـ اذن فلعل فى وسعك ان تفعل شيئا على الاقل • لو انك حصلت لنا على خريطة كبيرة للمنطقة ، لعاونتنا •• احسب ان لديكم خرائط ؟

ـ لدينا الكثير منها

ـ سنستعير بعضها ، اذا سمحتم ، وسنردها اليكم فيما بعد •• اذ اعتقد انكم تتصلون ولا بد بالعالم الخارجى من وقت لآخر • كم يبعد اقرب خط للبرق (التلغراف) عن الدير ؟

وبدا على وجه « تشانج » المجعد انه يتشبث باهداب الصبر ، ولكنه لم يجب •• وانتظر « مالينسون » لحظة ، ثم قال : « الى اين تبعثون اذا رغبتم فى شىء ؟ •• اعنى اى شىء من لوازم المدنية •• »

واخذت تتسلل الى عينيه وصوته مسحة من خوف •• وفجاة ، دفع مقعده الى الخلف ونهض •• كان شاحبا •• ومسح جبينه بيده فى اعياء ، ثم قال متلعثما وهو يجول بعينيه فى الحجرة : « اننى جد متعب •• لا احس ان ايا منكم يحاول مساعدتى فعلا ، انما اوجه سؤالا بسيطا ، من الجلى انك ولا بد تعرف الجواب عنه •• ان عندكم فى الدير حمامات حديثة ، فكيف احضرتموها الى هنا ؟

ومرة اخرى ساد الصمت ، فعاد يقول : « اذن فانت تابى ان تخبرنى ؟ .. انه جزء من الغموض الذى يحيط بكل شىء آخر .. » !

وكاد يهوى الى الارض لولا ان ادركه كونواى .. وقال هذا ، كمن يفيق من غيبوبة : « لقد اضنت الأمور اعصابه قليلا .. وما ارى الا اننا جميعا نشعر ببعض الارهاق .. اظن من الخير ان ندع هذا الحديث وناوى الى مخادعنا »

وأسلم كونواى صاحبه الى « بارنارد » ، وطلب الى الآنسة « برنيكلاو » الانصراف معهما ، بل انه كاد يدفعهم خارج الغرفة دفعا ، ثم التفت الى مضيفهم قائلا : « والآن ياسيدى ، لن استبقيك طويلا .. ان رحلة عودتنا يجب ان تدبر ، ولن نملك ذلك الا بمعونتك . وانى لأدرك بالطبع ان الرحيل غدا مستحيل ، فاذا صح ماتقول من انك لا تملك أن تفعل شيئا لنا ، فارجو ان ترشدنا الى من يستطيعه سواك »

فاجاب الصينى : «انك اعقل من اصدقائك ..» ، واطلق ضحكة عالية النبرة ، بادية الاصطناع ، وقال : « اعتقد ان لا داعى لان تقلق .. لاشك فى اننا سنكون قادرين ، فى الوقت الملائم ، على ان نقدم لكم كل ما تحتاجون من عون .. لو تدبرنا المسالة بحكمة ، وفى غير عجلة لا داعى لها .. » !

- لست ابدى عجلة ، وانما انشد مجرد معلومات عن الحمالين

- هذا يثير نقطة اخرى ياسيدى العزيز ، فانى اشك فى انكم تستطيعون العثور بسهولة على رجال يرغبون فى القيام بالرحلة ..

- من الممكن أن يؤمروا .. والا فلماذا والى اين كانوا يرافقونك فى هـذا الصباح ؟!

- هذه مسالة جد مختلفة ..

- وما وجه الاختلاف ؟ .. الم تكن منطلقا فى رحلة ؟

ولم يتلق كونواى جوابا ، فما لبث ان استطرد بصوت هادىء :

- الآن فهمت ..اذن لم يكن لقاؤنا من قبيل المصادفة !؟ الواقع اننى فكرت فى هذا طويلا . اذن فقد جئت متعمدا أن تلحق بنا . وهذا يوحى بانك كنت على علم بوصولنا من قبل ، فكيف ..؟

وعلى ضوء المصباح بدا وجه الصينى هادئا . وفجاة ، ازاح « تشانج » بحركة صغيرة من يده ، ستارا حريرية ، كشفت عن نافذة تفضى الى شرفة . ثم قاد كونواى الى الهواء البارد ، وقال وهو مستغرق فى التفكير : « أنت بارع ، ولكنك لست مصيبا تماما ، ولهذا انصحك بان لا تشغل اصدقاءك بهذه المناقشات . صدقنى ان احدا منكم لا يتعرض لخطر فى (شانجرى لا) .. حقيقة قد يكون هناك ثمة مايؤخر رحيلكم .. ولكنه امر لا محيص منه .. ولسنا نرجو سوى ان تستمتع وزملاؤك بكل لحظة تمكثونها هنا .. واذا كنتم مكدودين ، فلن تجدوا فى الدنيا اماكن كثيرة تفضل هذا فى توفير الراحة لكم »

وفعلا احس كونواى ، وهو يطيل تامل ماحوله ، بطمانينة تغشاه ٠٠ كان الوادى يبدو كمرفا برى فى عزلة تامة ، يشرف عليه جبل « كاراكال » كمنارة ، ودعاه هذا الى ان يتساءل عن معنى الاسم ،فقال الصينى ان معناه «القمر الازرق»

★ ★ ★

◆ لم يفض كونواى الى زملائه بما تبينه من ان وصولهم كان مرتقبا بطريقة ما ٠٠ فقد اشفق ان يزيد من قلقهم ٠٠ وظلت تلح عليه فكرة بان ثمة شيئا غريبا يحيط بالمكان وبتشانج نفسه ٠٠ واحس انهم اسرى فعلا ، وان واجبه الواضح ان يجعل السلطات تتحرك ، اذ انه كان ممثل حكومته ٠٠ ولكنه كان من اولئك الرجال الذين لا يعملون الا اذا اضطروا للعمل ٠٠ وسره ان الراحة التى حظى بها زملاؤه قد انعشت نفوسهم ، فى الصباح ٠٠ حتى ان «مالينسون» بدا اكثر رزانة ٠٠ اذ تمتم : « ما ارى اننا راحلون اليوم ٠٠ فما لم يبد احد حزما كافيا ، فلن تستطيعوا حمل هؤلاء الصينيين على ان يفعلوا شيئا ما » ٠٠ فاجاب كونواى : « اعتقد ان من الخير ان ننتظر ونرقب ماياتى به النهار ٠٠ كان افراطا فى التفاؤل ان نتوقع ان يعملوا شيئا فى الليلة الماضية » !

وقال « مالينسون » بحدة : « لم استطع ان اتمالك نفسى ، فقد رايت فى ذلك الصينى ما اثار ريبى ٠٠ وما زلت ٠٠ »

واقبل « تشانج » وهم يختتمون فطورهم ٠ وبعد انحناءة بسيطة ، اخذيبادلهم التحيات المؤدبة المالوفة ٠٠ وكان كونواى يؤثر ان يتحدث اليه بالصينية ، لولا انه راى من الحكمة ان يتكتم معرفته لاية لغة شرقية ٠ ومالبث « مالينسون » ان قال انه سوف ينطلق ليبحث عن حمالين ، فقال الصينى بعد صمت طويل :«آسف اذ اخبركم بانكم لن تجدوا رجالا مستعدين لان يصحبوكم فى رحلة تناى بهم عن ديارهم ٠٠ اننى لم اشا ان ازعجكم بهذا ليلة امس وانتم متعبون ٠٠ »

وهنا قطع عليه كونواى حديثه قائلا فى حدة : « اسمع ٠٠ ان هذا الغموض لن يجدى ، فانت تعلم ان ليس بوسعنا ان نمكث هنا الى ما لا نهاية ٠ كما انه من الواضح اننا لا نستطيع الاعتماد على انفسنا فى الخروج من هنا ٠ فما غرضك اذن ؟ »

وابتسم « تشانج » قائلا : « يسرنى ياسيدى العزيز ان اقدم اقتراحا يجول بخاطرى ٠٠ لعلكم تذكرون قولكم بالامس اننا نتصل ولا بد بالعالم الخارجى من وقت لآخر ، وهذا صحيح ٠٠ ولا حاجة بى لان اشغلكم بذكر الاساليب والاجراءات ، وانما المهم ان من المتوقع ان تصل الينا فى القريب حملة لاحضار بعض حاجياتنا ، ولما كان الرجال الذين يرافقونها سيعودون ، فيلوح لى انكم قد تستطيعون ان تتفقوا معهم ٠٠ »

فقاطعه « مالينسون » فى جفاء : « ومتى يصلون ؟ »

– من المستحيل التنبؤ بالتاريخ تماما .. ربما كان بعد شهر من اليوم .. ومن المحتمل ان يكون بعد اكثر من شهرين ..

وهنا انفجر « مالينسون » : « او ثلاثة ، او اربعة ، او خمسة ! اتظن اننا سننتظر هنا وصول هذه الحملة او القافلة .. شهرين ! شهرين فى هذا المكان ؟ »

فجمع « تشانج » اطراف ثوبه اشارة الى انتهاء الحديث قائلا : « آسف .. ولكن الدير سيظل يقدم لكم كل مافى وسعه من اكرام مهما يطل مقامكم .. ولا املك ان ازيد »

وانفجر « مالينسون » محنقا .. ولكن « تشانج » كان لحسن الحظ قد بارح المكان !

– ٥ –

◆ وقضوا بقية الصباح يبحثون المسالة .. وكان « مالينسون » بعد ان فثا حنقه قد اسلم نفسه للقدر .. واخذ كونواى يقول انهم لا يملكون سوى ان ينتظروا الشهرين اللذين اشار اليهما الصينى .. واستطرد قائلا : « ان هذا بالطبع سىء الوقع على اولئك الذين لهم اصدقاء واقارب .. على اننى شخصيا لا ابالى فى هذا الصدد ، فلا يكاد يخطر ببالى ان ثمة من يقلق من اجلى » .. ولكن « مالينسون » كان له ابوان وخطيبة فى انجلترا .. اما « بارنارد » فقال فى لهجة فكهة :

– اعتقد اننى محظوظ انا الآخر ، فلن يقتلنى ان اقيم شهرين هنا .. اما اهلى فلن يطرف لهم جفن قلقا على ..

فقال كونواى : « انكم تنسون ان اسماءنا ستنتشر فى الصحف ، وسنوصف باننا مفقودون ، وسيعتقد الناس بطبيعة الحال اننا لاقينا مصيرا اسوامن ذلك»

فاجفل « بارنارد » لحظة ، ثم قال : « لن يؤثر هذا فى وضعى »

وهنا التفتت الآنسة « برنيكلاو » قائلة : « ان الاماكن تستوى حين يكون المرء فى خدمة الرب . لقد ارسلتنى العناية الالهية الى هنا ، وانا اعتبر هذا تكليفا »

وآثروا ان يستطلعوا معالم (شانجرى لا) ، فكان تطوافهم بالمكان مبعث تسلية وتسرية لهم .. كان مجرد التنقل بين الحجرات والأبهاء رياضة ، وان لاحظ كونواى ان « تشانج » لم يدعهم لدخول كثير من الحجرات التى مروا بها . وبهرته الأناقة والذوق اللذان شاعا فى انحاء الدير كله .. وكان مما اثار اغتباطه ، مكتبة حافلة بالكتب .. وبنظرة سريعة خلال الأرفف ، الفى خير كتب العالم الأدبية ، بالفرنسية ، والالمانية ، والروسية ، والصينية ، وبعض اللغات الشرقية .. وفيما كان يفحص كتـــابا عن (التبت) ، احس بعينى

« تشانج » ترقبانه فى فضول ٠٠ وهتف « مالينسون » وقد التقط كتابا : « هاك شىء يروق لك يا كونواى ٠٠ انه خريطة لهذه البلاد »

فقال « تشانج » : « لدينا مجموعة من عدة مئات ، كلها رهن امركم ، ولكننى قد اعفيكم من عناء البحث اذا قلت انكم لن تجدوا (شانجرى لا) على اى منها ! ولهذا سبب وجيه ، ولكننى لااملك ان اقول اكثر من هذا »

وابتسم كونواى ، فى حين قال « مالينسون » فى قنوط : « ما زلتم تحرصون على زيادة الغموض »

ورانت لحظات من الصمت ، قطعتها الآنسة « برنيكلاو » متسائلة : « الن ترينا كهنة اللاما ؟ »

فاجاب « تشانج » : « يؤسفنى ان اقول ان هذا مستحيل ٠ ان كهنة اللاما لا يتعرضون قط ـ الا نادرا ـ لأنظار من هم خارج مذهب اللاما »

ولم يصدها هذا السؤال عن ان تقول : « وماذا يفعل كهنة اللاما ؟ »

ـ انهم يكرسون انفسهم يا سيدتى للتامل واقتناص الحكمة ٠٠٠

★ ★ ★

◆ ومر الأصيل فى هدوء ٠ وما لبث « تشانج » ان دعاهم لتناول الشاى ، فتبعوه فى بهو تحف به الأعمدة ، الى درجات ادت بهم الى حديقة قامت فيها بركة نما على سطحها « اللوتس » ٠ وكانت حولها تماثيل لاسود ، ووحوش التنين ووحيد القرن ٠٠ وقادهم « تشانج » الى شرفة سر « كونواى » اذ وجد بها قيثارة كبيرة ، كثيرة الأوتار ، ومعزفا حديثا ٠٠ وزاده دهشة ان اجاب « تشانج » على كل اسئلته فى هذا الصدد ، فقال ان كهنة اللاما يقدرون الموسيقى الغربية حق التقدير ، لا سيما الحان « موزار » ، وان لديهم مجموعة كبيرة من الألحان الاوربية ، كما ان بعضهم يجيد العزف على عدة آلات موسيقية !!

اما « بارنارد » فاستسلم للدهشة التى تولته ، اذ عرف ان « البيانو » الكبير وصل الى الدير من نفس الطريق التى سلكوها بالامس ٠٠ وبينما اقبل الخدم بالشاى المعطر ، ولجت فتاة فى زى صينى ، واتجهت فورا الى القيثارة وشرعت تعزف ٠٠ ولاحظ كونواى ان لها انفا طويلا متناسقا ، ووجنتين عاليتى الصدغين ، وصفرة تنم عن انها من سلالة « مانشو » ٠٠ وما ان فرغت من اللحن ، حتى انحنت وانصرفت ٠٠

وابتسم « تشانج » قائلا : « اسمها «لو ـ تسن» ، وقد برعت جدا فى الموسيقى الغربية ٠ انها مثلى لم تستكمل الرهبنة بعد »

وبعد ان تناولوا العشاء فى ذلك المساء ، خرج كونواى يتمشى فى ساحات الدير الهادئة التى غمرها ضوء القمر ٠٠ وكان الجو باردا ، ساكنا ، وقد بدت قمة (كاراكال) الشاهقة اقرب مما تبدو فى النهار ٠٠ وتتابعت فى ذهنه

الأحداث الغريبة الغامضة التى المت به وبزملائه الثلاثة . واطل من فوق السياج الى الفضاء الذى اختلطت فيه الزرقة بالسواد .. كان يعلو عما تحته بحوالى الميل تقريبا ..

وفجاة ، هبت نسمة من هواء ، حملت معها دوى طبول ودفوف ، واصوات معولة .. وخفتت الأصوات اذ سكن الهواء ، ثم عادت مع هبوبه . ورأى كونواى ضوء مصباح فى نافذة عالية ، فود لو يدخل من اقرب الأبواب ليستطلع احوال الكهنة ، ولكنه كان يدرك ان حركاته تحت المراقبة .. كان ثمة اثنان من اهل التبت يتسكعان بالقرب من السياج .. وعاد صوت الدفوف والعويل ، فسمع احد الرجلين يقول : « لقد دفنوا تالو » .. وادرك كونواى من حديثهما ما وجد فيه الكفاية لفض بعض مغاليق الغموض .. لم يكن طيرانهم من (باسكول) مغامرة لا معنى لها ، قام بها مجنون . وانما كانت خطة مرسومة ، اقدم عليها « تالو » - الطيار - بايحاء من السلطات العليا فى (شانجرى لا) .. ولكن ، اى سبب يحتمل ان يدعو لاختطاف اربعة ركاب فى طائرة تابعـــة للحكومة البريطانية ، ونقلهم الى هذا المكان الغريب ، المنعزل ؟!

وآثر كونواى ان لا يفضى لزملائه بهذا الكشف الجديد

- ٦ -

◆ لم ينقض اسبوع ، حتى كان الاربعة قد راضوا انفسهم على نظام يومى ، ولم يعد للضجر مجال فى حياتهم الجديدة ، بفضل معونة « تشانج »

وسر كونواى اذ وجد ان ارتياد الوادى لم يكن محرما ، وان كانت الصعوبات التى تكتنف النزول اليه جعلت زيارته مستحيلة .. وكانوا يقضون نهارا باكمله فى رفقة « تشانج » يتفقدون الارض الخضراء بنباتها المتباين الانواع .. واهتم كونواى بدراسة تقاليد اهل الوادى وعاداتهم . وفى كثير من الاوقات كان يجاذب « تشانج » الحديث فى امرهم ، وفى نظام حكمهم ، فكان يجيب على كل اسئلته بصراحة تامة !.. وحار كونواى فى اصول القانون والنظام اللذين يحكم بهما الوادى ، اذ لم يكن ثمة جنود ولا شرطة ، وقد برر « تشانج » هذا بان الجرائم نادرة ، وان حسن النية والقناعة يسيطران فى كل مكان !

واقبلت الآنسة « برنيكلاو » على تعلم لغة التبت ، كى تملأ وقتها بما يشغلها ، واستطاعت بمساعدة الصينى وتشجيع كونواى ان تبدا بداية مرضية .. فى حين كان كونواى فى الايام الدافئة المشمسة ، يستغل المكتبة وحجرة الموسيقى الى اقصى حد .. وعجب اذ علم من « تشانج » انهم يحرصون على أن يزودوا مكتبتهم باحدث الكتب .

وذات يوم ساله : « كم انقضى من الزمن منذ استقبلتم آخر زائر ؟ »
ـ يؤسفنى يامستر كونواى ان لا استطيع البوح بهذا
وعلى مر الأيام لم يعد اقتضاب تشانج يثير غيظه .. بل لقد بدا يحب « تشانج » ويكثر من لقائه ، وان ظل فى حيرة لقلة من التقى بهم من اهل الدير .. باستثناء تلك العازفة « لو ـ تسن » الصغيرة القد .. وكان يراها احيانا اذا غشى قاعة الموسيقى ، ولكنها لم تكن تعرف الانجليزية ، ولا كان هو راغبا فى ان يكشف عن اتقانه للغة الصينية .. وكان « مالينسون » يفد احيانا ليسمع شيئا من الموسيقى ، فيعجب لوجود فتاة مثلها فى دير اللاما ، وتساءل مرة : « اتراها تحب الاقامة هنا ؟ »
فاجابه كونواى : « استطيع ان اقول انها لا تبدى كراهية لذلك »
ـ بهذه المناسبة ، كم تظن عمر تشانج ؟
ـ اى سن بين التاسعة والاربعين .. والتاسعة والاربعين بعد المائة !!
وفى ذات يوم ، اقبل « مالينسون » يحمل الى كونواى نبا غريبا .. لقد عثر على مفكرة سقطت من « بارنارد » وجد بها بعض قصاصات من صحف .. ولقد ردها اليه ، ولكنه فيما كان يعيد قصاصات وقعت منها ، وجد صورة فى احداها ، كشفت عن ان « بارنارد » لم يكن سوى « تشارلز بريانت » المالى الامريكى الذى بدد ثروات الكثيرين من المستثمرين الذين وثقوا فيه ، ثم اختفى .. وقال كونواى :
ـ انصحك ان لا تذكر شيئا عما اكتشفت
ـ ولكن هذا الرجل ليس سوى لص .. وعلى نطاق واسع .. اننى اعرف ان كثيرا من الناس فقدوا نقودهم على يديه .
ولكن « مالينسون » لم يكن فى حاجة الى التكتم ، لأن «بارنارد» كفاه مؤونة هذا ، بعد ان فرغوا من عشائهم وانصرف عنهم « تشانج » فى ذلك المساء .. اذ القى الامريكى سيجاره فجاة وقال : « اظنكم جميعا تعرفون من انا .. كان من الاهمال ان ادع تلك القصاصات فى جيبى .. »
وساد صمت لم تلبث ان قطعته الآنسة «برنيكلاو» قائلة : « ولكننى لا اعرف .. وان كنت اذكر انك قلت ـ حين ذكر مستر كونواى ان اسماءنا ستنشر فى الصحف ـ ان هذا لن يؤثر فى وضعك .. فخطر لى ان من المحتمل ان «بارنارد» ليس اسمك الحقيقى » !.. فابتسم واشعل سيجارا جديدا ثم قال : « لقد كنتم من اللطف معى الى درجة تجعلنى لا احب ان ازعجكم . ويبدو انه قد قدر علينا ان نرتبط معا فى الخير والشر ، لبعض الوقت ، وان علينا ان يساعد احدنا الآخر قدر المستطاع .. »
وتمطى فى مقعده وضحك قائلا : « لشد ماهى غريبة ، هـــذه المسالة !.. تصوروا ان البوليس كان يتبعنى فى اوربا باسرها ، وكاد يقبض على فى(فيينا)!

.. لقد حظيت بقدر كبير من الراحة فى (باسكول) ، وان خيل الى اننى قد اكون آمنا وسط ثورة مشبوبة » !

فقال كونواى مبتسما : « وهذا ماحدث فعلا .. كنت آمنا ، الا من الرصاص.

ـ وهذا ما اقلق بالى فى النهاية .. وكانت حيرة طاغية .. هل امكث فى (باسكول) واتعرض للرصاص ، او اقبل الرحيل فى طائرة حكومتكم لاجد الاغلال فى انتظارى فى نهاية الرحلة .. ولم اكن متحمسا لاى الحلين .. ومن هذا تدركون ان التغير الذى طرأ على الخطة لم يزعجنى كثيرا .. انه لغز عويص .. ولكننى لم اعتد ان اتململ طالما كنت قانعا !.. فليس هذا المكان بالمكان السيىء ، بل هو لطيف ، اذ ان فيه شيئا من التغيير لما الفت .. كما لم يعد فى وسع احد ان يتصل بى تليفونيا !

قال كونواى : « يخيل الى انك لا تود ان يتصل بك احد .. على اننى اقر باننى لا ادرك كثيرا مايسمونه الدوائر المالية العليا »

قال الامريكى : « انها مجازفة .. يظل المرء يفعل ما اعتاد ان يفعله لسنوات، ثم اذا السوق تنقلب فجاة ضده .. فلا يملك ازاءها شيئا ، بل يواجه الموقف ، وينتظر ان تنقلب من جديد .. على ان هذا الانقلاب لا يحدث ، بطريقة ما كما هى العادة ، فيخسر كل شىء .. »

قال مالينسون فى حدة : « وقد خسرت نقود الناس ايضا »

ـ اجل ، لانهم ارادوا شيئا من لاشىء ، ولم يؤتوا العقل الذى يمكنهم من الحصول عليه .. ماكان لهم ان يطمئنوا الى ان نقودهم فى امان ، فليس ثمة امان فى اى مكان .. وما كنت املك ازاء انهيار السوق ، اكثر مما تملكون ازاء ماحدث منذ بارحنا (باسكول) ..

فسارع كونواى يغير مجرى الحديث قائلا : « اذا تأملتم الامر وجدتم ان من الغريب ان بيننا نحن الاربعة ـ وقد جمعتنا الصدفة واختطفنا عبر آلاف الاميال ـ ثلاثة اوتوا القدرة على ان يجدوا فى الامر عزاء .. فانت تنشـد استجماما ومخبأ ، والآنسة « برنيكلاو » تشعر انها اوفدت لتطهر (التبت) وتقودها الى الايمان .. اما انا ، فلدى مبرر بسيط .. ذلك هو اننى اميل الى البقاء هنا » !!

والواقع انه حين خرج يتمشى بعد العشاء ، كما اعتاد ، احس بطمانينة غامرة تشمل جسمه وعقله .. كانت (شانجرى لا) تقبع فى احضان السكينة .. وتبين كونواى انه ماكان ليغتبط لو ان الحمالين المرتقبين وصلوا من العالم الخارجى قبل موعدهم .. وفجاة ، اخرجه من تاملاته مقدم « تشانج » يهمس فى شىء من الانفعال : « سيدى ، اننى لأفخر بان احمل لك نبأ هاما »

وكان وصول الحمالين اول ماقفز الى ذهن كونواى .. ومضى «تشانج» فى حال من الانفعال غير مالوفة منه : « اننى اهنئك ياسيدى العزيز ، ويسعدنى

ان ارى اننى كنت مسئولا الى حد ما عن حمل « اللاما الاكبر » على ٠٠ ان يرسل فى طلبك »

وتبدت الدهشة فى نظرة كونواى وهو يقول : « وفيم الانفعال ؟ »

ـ انه امر غير مالوف ٠٠ لم يحدث من قبل قط ان استقبل « اللاما الاكبر » غريبا ، ولما ينقض على اقامته سوى اسبوعين

ـ ولكن ، الا ترى الوقت متاخرا ؟٠٠

ـ لا اهمية لذلك ٠ لسوف تدرك امورا كثيرة عما قريب ٠٠ صدقنى اننى كنت اعانى مشقة فى ان ارفض تزويدك بالمعلومات فى كثير من المناسبات ٠٠ كم انا مغتبط ٠٠ لأن الحاجة لن تدعو لذلك ثانية !

ـ ٧ ـ

◆ كان مظهر كونواى الهادىء يخفى لهفة اخذت تزداد وهو يمضى عبر الردهات الخالية برفقة « تشانج » ٠٠ كان على ابواب كشف سوف يتبين بعده ما اذا كانت النظرية التى اخذت تتكون فى ذهنه اقل استحالة مما خيل اليه ٠ ثم ان المقابلة كانت ـ بغض النظر عن هذا ـ طريفة ! ٠٠ ولاحظ ان « تشانج » كان يجتاز به غرفا لم يرها من قبل ٠ ثم صعد به سلما حلزونيا ، وطرق بابا فتحه خادم من ابناء (التبت) ٠٠ وكان الحر فى هذا الجزء من الدير شديدا ، والنوافذ محكمة الغلق٠٠وهمس «تشانج» : « سيستقبلك اللاما الاكبر وحيدا » ٠ واغلق الباب خلفه فى سكون ، حتى انه لم يشعر بانصرافه ٠٠

ووقف كونواى مترددا بضع ثوان ، قبل أن تالف عيناه الظلام ، ثم راى مقصورة منخفضة السقف ، ثقيلة الحجب والستائر ، ليس بها من الاثاث سوى منضدة وعدة مقاعد ٠ وعلى مقعد من هذه المقاعد ، جلس شخص ضئيل الجسم ، شاحب اللون ، مجعد الوجه ، لا يبدى حراكا ٠٠ كما لو كان صورة فى لوحة اثرية باهتة ! ٠٠ واحس بدوار تحت النظرات المنبعثة من العينين العتيقتين ٠٠ وتقدم بضع خطوات ، ثم وقف٠٠وبدات معالم الشخص الجالس تتضح ٠٠ كان مسنا ، ضئيل الجسم ، فى ثوب صينى فضفاض ٠٠

وهمس الرجل فى انجليزية راقية : ا انت مستر كونواى ؟ ٠٠ يسرنى ان

اراك .. لقد استدعيتك لانني رايت اننا قد نتفاهم اذا تكلمنا معا . ارجو ان تجلس الى جوارى ولا تخف ، فانا مسن ، لا اقوى على ان اؤذى احدا ،

فاجاب كونواى : « انني اشعر بشرف عظيم اذ امثل امامك »

- شكرا ياعزيزى كونواى .. ارجو ان تكونوا قد حظيتم باقامة مريحة منذ وصولكم الى (شانجرى لا) .. لقد بذل « تشانج » خير ما فى وسعه من اجلكم ولا ريب .. وقد انبانى بانك وجهت اليه اسئلة كثيرة عن طائفتنا وشئونها ، فلو اعرتنى بعض الوقت ، لسرنى ان اصف لك بايجاز مؤسستنا ..

واقبل خادم يقدم الشاى . وبعد حديث عابر اثناء احتسائه ، عاد « اللاما » يستانف حديثه الاول : « لعلك على المام بالمعالم العامة لتاريخ (التبت) .. لقد كانت المسيحية - على اى حال - منتشرة فى آسيا باسرها فى القرون الوسطى ، وقد ظلت آثار منها طويلا بعد تقلص نفوذها .. وعادت فى القرن السابع عشر توطد مركزها ، حتى لقد بقيت فى (لهاسا) - عاصمة التبت ذاتها - بعثة مسيحية ، لمدة ثمانى وثلاثين سنة .. وفى سنة ١٧١٩ ، خرج اربعة رهبان يسعون الى (بكين) ليتبينوا ما تبقى لديهم من نفوذ فى جوف القارة .. ويمموا شطر الجنوب الغربى شهورا عديدة ، مكافحين مشقات لايمكن تصورها .. فمات ثلاثة منهم ، واشرف الرابع على الموت ، لولا انه وقع مصادفة على الطريق الصخرى الذى بقى الى اليوم المنفذ الوحيد الى وادى « القمر الازرق » .. وهناك ، وجد لدهشته قوما يعيشون فى رخاء ، سارعوا لابداء ما نعتبره اعرق تقاليدنا : اكرام الضيف !.. وسرعان ما استرد صحته ، واخذ يهدى الناس الى الدين . وكان ثمة دير بوذى على حافة الجبل ، فخطر للراهب ان يقيم فى موقعه ديرا مسيحيا . ومن ثم اصلحت المبانى العتيقة تحت ارشاده .. وبدا يعيش هنا فى سنة ١٧٣٤ .. وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ..

« كان يدعى « بيرو » ، وقد درس فى جامعات باريس وبولونيا وسواهما قبل ان ينضوى فى بعثات التبشير للشرق الاقصى .. كان عالما ، بحاثة .. مشغوفا بالموسيقى والفنون ، وذا ميل خاص للغات .. وكان قوى البنية ، اعتاد ان يعمل بيديه كاى رجل آخر ، فكان يفلح حديقته ، ويتعلم من اهل الوادى ويعلمهم .. ووجد فى الوادى مناجم للذهب لم تقو على اغرائه ، بل انه وجه اعمق اهتمامه الى النباتات والاعشاب المحلية النافعة .. وكان يقدر الامور الدنيوية ، وكما علم اتباعه الدين ، علمهم الطهو ..

« وما ان استقر الدير وتوطدت دعائمه ، حتى كان « بيرو » قد اكتهل .. وكان اهل الوادى - بل ورهبان بوذا - قد احبوه وتعودوا طاعته ، بل وغدوا على مر السنين يوقرونه . وكان فى التاسعة والثمانين من عمره حين تعرض المذهب الذى انشاه لتغيير جوهرى . فما كان من المتوقع ان يقوى وحده على اجتثاث التقاليد والعادات العتيقة ، ولم يكن معه زملاء غربيون يساعدونه حين

تقدمت به السن ، ووهنت قبضته على اتباعه ، فبداوا يتهاونون فى امر الدين ، وان ظلوا على وفائهم له وتوقيرهم اياه ٠٠ وفى سن الثامنة والتسعين ، شرع يدرس المؤلفات البوذية التى خلفها رهبان (شانجرى لا) السابقين ٠٠

« وفى تلك الاثناء ، كان كثير من تلاميذه الأوائل قد ماتوا ، وبدا عدد المنضوين تحت مذهبه يتضاءل ٠٠ وغدا معظمهم طاعنا فى السن ٠٠ وكانت حياة « بيرو » تزداد سكونا ، ولم يبق سوى ان يرقد رقدته الاخيرة ٠ ولم يكن يخشى الموت ، فكان يعكف على العمل فى مكتبته ، اذ ظل عقله مجلوا الى درجة عجيبة ٠٠ بل انه شرع يتعلم بعض الاساليب الصوفية التى يسميها الهنود (يوجا) ، والتى تقوم على عدة أساليب خاصة فى التنفس ٠٠ وفى سنة ١٧٨٩ هبطت الانباء الى الوادى بأن « بيرو » يحتضر ٠٠

« وكان يرقد فى حجرته ، يتطلع من نافذته الى الضباب الابيض الذى كان الصورة الوحيدة التى يراها بصره الكليل لجبل (كاراكال) ٠٠ ولكن بصيرته كانت مجلوة ، فكانت ترسم له صورة الجبل كما رآها لاول مرة قبل نصف قرن ٠٠ ورانت على عقله سكينة ونقاء ٠٠ وودع زملاءه وخدمه ، ثم سالهم ان يتركوه وحده برهة ٠٠ كان يرجو ان يجود بآخر انفاسه فى هذه الخلوة ٠ ولكنه لم يمت ، بل ظل اسابيع طويلة بلا حديث ولا حراك ٠٠ ثم شرع يسترد صحته من جديد ٠٠ وكان قد غدا فى عامه الثامن بعد المائة »

وكف الهمس لحظة ، وخيل لكونواى ان « اللاما الاكبر » كان يصور حلما شخصيا قديما ٠ وعاد بعد فترة يقول :

« وتجلت لبيرو — ككل واقف على عتبات الموت — بعض الحقائق التى عاد بها الى الحياة ٠٠ وبدلا من ان يقضى فترة النقاهة فى خمول ، كما هو متوقع ، اقبل على نظام صارم ، من تقييد للغذاء ، الى تمرينات على التنفس العميق ! ٠٠ وبدا ان هذا اتاح له سر الحياة ٠٠ فعندما مات آخر الرهبان القدامى فى سنة ١٧٩٤ ، بقى « بيرو » على قيد الحياة ٠٠ وسرعان ما اصبح — فى نظر اهل الوادى — محوطا بالغموض ٠٠ على ان لونا من الحب التقليـــدى ظل فى قلوبهم نحوه ، واصبحوا يرون أن الصعود الى (شانجرى لا) وترك هدية ، او اداء بعض الاعمال اللازمة ، مجلبة للحظ ! ٠٠ وكان « بيرو » يمنح هؤلاء الزوار بركاته ! ٠٠ وباقتراب القرن الجديد ، قويت الشائعات بان « بيرو » اصبح الها ! وانه ياتى بالمعجزات ، وانه فى بعض الليالى يطير الى قمة (كاراكال) ليرفع شمعة نحو السماء ٠٠ ولست بحاجة الى ان اذكر لك ان لا « بيرو » ولا سواه ، صعد الى الجبل قط ٠٠

« ومن الممكن تلخيص المسلك الذى انتهجه فى انه بدا يشعر بانه اذا لم يمت فى السن العادية ، فهو غير عادى ، ومن المحتمل ان تستمر هذه الحال ، كما ان من الجائز ان تنتهى فى اية لحظة ٠ ومن ثم شرع يحيا الحياة التى كان دائما

يبغيها ، ولكنه نادرا ماوجدها ممكنة . وكانت ذاكرته رائعة ، حتى لقد لاح له ان بوسعه ان يستذكر كل شيء بسهولة . وسرعان ما احس بالحاجة الى الكتب ..

« ثم وصل الى وادى « القمر الازرق » غريب آخر من اوربا فى سنة ١٨٠٤ .. كان شابا نمسويا يدعى « هنشل » حارب ضد نابليون فى ايطاليا .. ثم هام فى روسيا ومنها سافر الى آسيا على امل ان يجمع ثروة جديدة بطريقة ما !.. وكان فى الواقع قريبا من الموت ـ كما كان « بيرو » نفسه ـ حين وجد هنا .. ومرة اخرى ، بسطت (شانجرى لا) كرمها ، فمالبث ان شفى الغريب ، وابدى لتوه اهتماما بمناجم الذهب ، طامعا فى ان يعود الى اوربا مثريا .. ولكنه لم يعد اليها .. فان الوادى ـ بما فيه من سلام ودعة وتحرر مطلق من هموم الدنيا ـ اغراه على البقاء .. كما اغرته الاساطير فى الوادى على ان يرقى الى (شانجرى لا) ويقابل « بيرو » .. وكان لقاء تاريخيا !.. ولن احاول ان اصف التآلف الذى نشأ بينهما .. واخذ احدهما يبذل الاعجاب ، والآخر يبذل له معرفته ،واسراره، والحلم الجامح الذى غدا بالنسبة له ، الحقيقة الوحيدة الباقية فى الدنيا ..

« وشرع « هنشل » يجمع مايحتويه الدير الآن من تحف الفن الصينى ، ومافى مكتبته من ثروة ، ومن قطع موسيقية .. اذ قام برحلة رائعة الى (بكين) ، عاد منها باولى الدفعات فى سنة ١٨٠٩ . ولم يبرح الوادى ثانية ، ولكنه بعبقريته ابتكر النظام المعقد الذى استطاع به الدير ان يحصل على حاجاته من العالم الخارجى .. وكان من السهل ان ندفع مما لدينا من ذهب .. ولكن « هنشل » حرص على ان لا يقترب احد من الحمالين الذين يحضرون لنا الكتب والتحف ، كثيرا من وادينا ، فكان يوقفهم على مسيرة يوم .. ولكنه ما لبث ان تبين ان لا حاجة الى ذلك .. كانت طبيعة اقليمنا وبعده يجعلان غزوه مستحيلا ..واقصى مايرتقب ان يصل نفر ضئيل ، اعياهم الضلال والتسيار ، فلم يعودوا مصدر خطر ..

« وعلى مر السنين ، اقبل بعض تجار من الصين ، ورعاة من اهل التبت ، ومبشران انجليزيان .. وتاجر يونانى ، وثلاثة من الاسبان ، واثنان من الالمان، وروسى ، وانجليزى آخر ، وسويدى . وحدث تعديل بسيط فى مسلك (شانجرى لا) نحوهم .. فلم يعودوا يقابلون بالترحاب فحسب ، وانما اصبح الدير يخف الى استقبالهم اذا ماصاروا على مسافة معينة منه .. وهى ظاهرة معناها ان بالدير حاجة ورغبة للقادمين .. وبدأ الدير فى الوقت ذاته يكتسب كثيرا من صفاته الراهنة ..

« ومات هنشل فجاة .. اغتيل فى سنة ١٨٥٩ ، وكان احد الرسامين الصينيين قد رسم صورته قبيل موته بقليل .. »

وبحركة من يد اللاما ، اقبل خادم ازاح ستارا عند الطرف الاقصى للغرفة ، ورفع

مصباحا ، وسمع كونواى الصوت الهامس الذى الفته اذناه ، يدعوه الى الاقتراب .. وكان اهم ما استرعى انتباه كونواى أن الوجه فى الصورة كان شابا ! .. وهتف متلعثما وهو يدير وجهه : « ولكنك قلت ان الصورة رسمت قبيل وفاته بقليل .. وانه جاء الى هنا فى سنة ١٨٠٣ .. وانه اغتيل .. »

ـ اجل .. قتله انجليزى .. كان الانجليزى قد وصل قبل ذلك باسابيع قلائل .. وقد تشاجر معه من أجل الحمالين ..

وصمت اللاما الاكبر لحظة ، تذكر خلالها كونواى ما كان من أمر «مالينسون» مع « تشانج » من أجل الحمالين .. وكان قد انصت خلال الرواية فى انتباه ، فاحس بفيض من الذهول ، لم يتمالك معه ان قال متلعثما : « هذا يبدو مستحيلا .. ومع ذلك فلست املك الا ان افكر فيه .. انه مدهش .. غير معقول .. ولكنه مع ذلك ليس فوق مجال التصديق .. »

ـ ماهو يابنى ؟..

فاجاب كونواى وقد تسلط عليه انفعال لم يدر ماتاه ، ولم يحاول اخفاءه : « انك لا تزال حيا .. ايها الاب بيرو »

ـ ٨ ـ

◆ وامر « اللاما الاكبر » بالشاى من جديد .. وتحول يتحدث عن الموسيقى ، فقال كونواى فى أدب انه دهش حين وجد فى الدير مكتبة كاملة من مؤلفات الملحنين الأوربيين ، فذكر له « اللاما الاكبر » ان بين كهنة الدير موسيقيا موهوبا ، كان من تلاميذ « شوبان » .. فاعرب كونواى عن شوقه لان يقابله . ومالبث أن عاد فى هدوء الى الموضوع الاصلى متسائلا : « اذن فقد عزمتم على ان تستبقونا ؟ .. ان الذى يحيرنى هو : لماذا وقع الاختيار علينا نحن الأربعة دون بقية اهل الدنيا ؟ » ! فاجاب « اللاما الاكبر » بانهم حرصوا دواما على أن يستبقوا عددهم على ماهو عليه ، بالحاق افراد جدد باستمرار ، ولكن الحرب التى دارت فى اوربا ، والثورة التى قامت فى روسيا ، حدتا من اقبال الرحالة على ارتياد التبت .. كما ان اهل التبت اثبتوا انهم اقل ذكاء وتحمسا من العناصر الاخرى ، وان خير من كانوا يصلحون للاندماج فى سلك الرهبنة بالدير ، هم ابناء العناصر الشمالية واللاتينية فى اوربا .. واستطرد اللاما قائلا : « ومنذ سنوات قلائل ، خف احد الرهبان لانقاذ الموقف بفكرة مبتكرة .. كان شابا من ابناء وادينا ، جديرا بكل ثقة ، ومتحمسا كل التحمس لأهدافنا . فعرض ان يتركنا ويسعى الى احدى البلاد المحيطة ، ليجتلب لنا زملاء بطريقة لم تكن ميسورة من قبل .. وكل الذى نعلمه ان اولى الخطوات فى خطته ، تضمنت تعلم الطيران فى احدى المدارس الامريكية .. ومن الصحيح ان كثيرا من الخطة كان يتوقف على المصادفة والحظ .. ولو ان « تالو » لم يصادف فرصة ، لكان من

المحتمل ان ينتظر عاما او عامين •• والواقع اننى دهشت حين اعلن حراسنا هبوط الطائرة •• »

– ولكن ، ما الغرض من وراء هذا ؟ ••

– يسرنى هدوؤك وطريقتك فى السؤال يا بنى ، فما تقبل احد من قبل قصتى بمثل اتزانك واهتمامك •• فان الاهتمام خطوة نحو التفكير والتروى ، وقد لا نلبث ان نحظى بانضمامك •• كل ما اطلبه منك الآن ، هو أن يبقى ماانبائك به مجهولا من زملائك الثلاثة •• وسياتى يوم يعرفونه فيه – كما عرفت – ولكن من الخير لمصلحتهم ان لاتتعجل ذلك اليوم !•• والآن ، لنبدا بان نرسم لك صورة تقرب الامر الى ذهنك •• انك لاتزال شابا ، بالقياس الى مستوى السن فى الدنيا ، ولا تتوقع ، فى العادة ، ان تحظى بغير عشرين او ثلاثين سنة للقيام بالوان النشاط ••

ومضى « اللاما الاكبر » يشرح له ان مرحلة النشاط فى عمر الانسان قصيرة، اما طبقا لمعايير (شانجرى لا) ، فان الشخص الذى ينضوى تحت لواء مذهب اللاما ، يعيش اجيالا فى مرحلة الشباب ، اذ استطاع الكهنة ان يخففوا من سرعة انصرام العمر باساليب تبدو لهم بسيطة ، ولكنها مستحيلة خارج عالمهم !

وامسك اللاما برهة ، ثم قال : « لا اريد منك تعقيبا ياعزيزى كونواى •• اذا صدقت قراءتى لما فى نفسك ، فلست ارى مايجعلك تتشبث بالعالم الخارجى••

فاجفل كونواى لصدق استنتاجه ، وقال : « هو ذلك •• فلست متزوجا ، وليس لى من الاصدقاء الحميمين الا القليل •• وليس لى اطماع ولا آمال •• لقد كنت ارى دائما ان اى مزيد من النجاح فى مهنتى – بالسلك القنصلى – لن يروق لى ، فضلا عن انه سيتطلب من الجهد فوق ما اشعر بالرغبة فى بذله •• وكان منصبى المتواضع يلائمنى كل الملائمة •• ثم اننى بطبيعتى اميل للخمول ،

– ان الخمول فى اداء بعض اعمال معينة ، قد يكون فضيلة كبرى • واظن ان تشانج قد شرح لك مبدانا فى الاعتدال •• اننا ياصاحبى لا نقوم بتجربة فارغة • ان لدينا حلما ورؤيا •• رؤيا تجلت لبيرو حين رقد فى انتظار الموت فى سنة ١٧٨٩ • لقد استعرض حياته السالفة ، فوجد ان اجمل الامور فانية ، وان الحرب والوحشية قد تمحوان من الدنيا كل ماهو جميل •• راى الامم تقوى ، لا فى الحكمة ، وانما فى الرغبة فى التدمير •• راى قوة اسلحتهم الآلية تتضاعف ، وادرك انهم اذا ما ملأوا الارض والبحر دمارا ، فسيصعدون الى الجو •• وقد تحقق هذا •• وراى ان سياتى وقت يعيث الانسان فيه فسادا حتى يغدو كل ثمين – كتابا كان او صورة او لحنا – معرضا لخطر الضياع •• صدقنى ، لسوف تتحقق رؤيا « بيرو » العجوز ، وهذا يابنى سر وجودى هنا ، ووجودك ، وسر اننا قد نرجو أن نعيش الى مابعد الدمار الذى يكتنف الدنيا من كل جانب •• قد يكون ثمة أمل – ولو كان واهيا – فى ان تسلم

(. شانجرى لا) من الدمار ، فنبقى بكتبنا ، وموسيقانا ، وافكارنا ، لنصون كنوز عصر منقرض .. فاذا ما التهم الأقوياء بعضهم بعضا ، آن للحلم ان يتحقق، فيرث الضعفاء المتواضعون الارض !»

واحس كونواى بجمال الصوت الهامس يستولى على حواسه .. وتخيل ظلمات تكتنف الدنيا ، كما لو كانت تقبع فى انتظار العاصفة .. ثم راى « اللاما الأكبر » يتحرك ، وينهض واقفا كانه طيف نصف متجسد . وهم بان يساعده ، ولكن شعورا غريبا استولى عليه ، وجعله يفعل ما لم يفعله قط من قبل امام اى مخلوق .. ركع ، ثم لم يدر ما بدر منه !

- ٩ -

◆ خيل لكونواى فى الصباح التالى ان كل ما جرى فى الليلة السابقة كان جزءا من حلم راوده فى اليقظة او فى المنام ، لولا ان انهالت عليه اسئلة رفاقه - اذ جلسوا للفطور - عما دار بينه وبين « اللاما الأكبر » .. وكان «مالينسون» اشد ما يكون لهفة لتعرف ما قاله اللاما عن الحمالين .. فلما اجاب بان ذكرهم لم يرد على لسانه ، حملق فيه الشاب غير مصدق وقال : « اننى لا افهمك يا كونواى .. لا أكاد أصدق انك نفس الرجل الذى عرفت فى (باسكول) .. كانما تحطمت روحك »

وخرج كونواى الى البهو ليتفادى التعرض لمزيد من الاسئلة . وبدا يحس انه بحاجة الى مزيد من هدوء الطباع كى يمارس الحياة المزدوجة التى كان مضطرا اليها . كان اذا وجد مع زملائه يعيش فى دنيا تتركز حول وصول الحمالين .. اما فى الاوقات الاخرى ، فكان يستسلم للأحلام . واصبح الوقت يفقد قيمته ، واسم « القمر الازرق » يكتسب معنى رمزيا ، كما لو كان المستقبل لا يحتمل ان يتحقق الا فى قمر ازرق فحسب !

واصبح « تشانج » يتحدث اليه دون ما تحفظ ، فعلم ان عليه ان يعيش السنوات الخمس الأولى فى الدير حياة عادية خالية من القيود ، ليتاقلم بدنه ، وليطرح عنه الهموم الذهنية والعاطفية ! .. وبعد تلك المدة ، تبدا عملية تاخير الكهولة ، فاذا افلحت ، عاش كونواى نصف قرن قبل ان يتخذ المظهر الذى يتخذه الانسان العادى فى سن الاربعين !

وذهل كونواى اذ تبين ان العمر الحقيقى لتشانج كان سبعا وتسعين سنة ، وانه اذا ما رسم كاهنا ، فقد يحتمل ان يعيش قرنا آخر ! .. وساءل نفسه فى دهشته : « وهب انك بارحت الوادى الآن ، فماذا يصيبك ؟ »

- الموت .. اذا مكثت بعيدا اكثر من بضعة ايام اخر .. فالجو ضرورى وليس ثمة سوى « وادى قمر ازرق » واحد !

- انها قصة كئيبة ، توحى الى المرء بان الوقت اشبه بوحش يتربص خارج

الوادى لينقض على اولئك الذين يرى انهم راغوا منه امدا اطول من سواهم !

والتقى كونواى خلال الأسبوع التالى – بعد زيارته للاما الاكبر – بعدد من زملاء حياته المقبلة .. وكان اكثرهم تاثيرا فى نفسه « الفونس برياك » الذى ذكر « اللاما الاكبر » انه تلميذ « شوبان » .. والذى لم يبد عليه رغم ذلك انه مكتهل .. وتكلم الفرنسى طويلا عن « شوبان » ، وعزف الحانه المعروفة ببراعة، وبدا انه كان يعرف عدة الحان لم يقدر لها قط ان تنشر . وقد عكف كونواى على حفظها .. كما ظل يقضى الشطر الاكبر من وقته يقرا فى المكتبة ، وكثيرا ما كان يستمرىء الانصات الى عزف « لو – تسن » الرقيق ، على القيثارة .. ولقد خطر له مرة ان يسال « تشانج » عن تاريخها ، فقال له انها من اميرات اسرة « مانشو » المالكة ، وقد زوجت من احد الامراء ، وفيمـــا كانت راحلة الى (قشقر) لتنضم اليه ، ضل مرافقوها الطريق ، وكادوا يهلكون جميعا ، لولا ان عثر عليهم كهنة الدير .. وكان ذلك فى سنة ١٨٨٤ .. وكانت «لو–تسن» اذ ذاك فى الثامنة عشرة من عمرها !

– ١٠ –

قبل ان ينقضى شهر على وصول كونواى الى (شانجرى لا) حظى بالمثول مرة ثانية بين يدى اللاما الاكبر ، مما ادهش « تشانج » ، اذ لم يكن فى حياة الدير سابقة لمثل هذا الايثار لشخص حديث عهد بالاقامة فيه !

على ان كونواى لم يشعر بعد الزيارة الرابعة للاما الاكبر بان الامر يدعو الى اى عجب .. كانا عقلين تقاربا وانسجما !.. ومع مرور الايام والأسابيع بدا يشعر بالقناعة والرضى يستوليان على جسده وعقله كمـــا هى حال « بيرو » و « هنشل » وغيرهما . كان قد بدا يستسلم لسحر « القمر الازرق » .. وكان اذا سمع انغام القيثارة عبر بحيرة اللوتس ، احس بها تهفو باحاسيسه ، ومالبث ان فطن الى انه يزداد ميلا الى « لو – تسن » ، دون ان يطمع فى شىء منها ، فقد كانت فى نظره رمزا للرقة والضعف

ومع ذلك فقد كان فى بعض الفترات يرتد الى الحياة الاخرى ، ليواجه ضيق « مالينسون » وقلقه !.. كان الامريكى قد ارتاح الى مقامهم ، فود ان يطيل البقاء بعض الوقت .. كما تمكنت من الآنسة « برنيكلاو » فكرة انها لم تفد الى (شانجرى لا) عبثا ، وانما بعثتها العناية الالهية لتهدى اهل الوادى .. اما « مالينسون » فقد بقى على قلقه ، يتعجل الوقت فى انتظار وصول الحمالين ..

وكان « تشانج » يرى ان هذا القلق لن يلبث ان يخمد ، ولكن كونواى كان يرتاب فى ذلك ، ويعتقد ان « مالينسون » ليس بالذى يستسلم للواقع بسهولة .

وفيما كانا يتذاكران هذا يوما ، قال « تشانج » :

– اننا لن نحاول ان نمنعه من الاتصال بالحمالين اذا ما جاءوا .. ولكنه لن

يلبث ان يكتشف بنفسه ان الحمالين يرفضون ان يصحبوا احدا فى العودة .. فاذا شاء ان يفر ، فالمر مفتوح فى اى وقت ، وليس لدينا حراس سوى الطبيعة نفسها .. ولقد حاول غيره من قبل ، ولكنهم كانوا يسعدون بالعودة بعد ان يجربوا قضاء ليلة واحدة على الهضبة بلا ماوى ولا ثياب كافية لتقيهم تقلبات الجو !.. اما الذين كانوا يصرون على العناد ، فكانوا ينطلقون الى غير عودة .. لا الى (تشانجرى لا) ، ولا الى العالم الخارجى !

* * *

◆ واخذت الحياة الدنيوية تبعد رويدا عن ذهن كونواى ازاء حياة (شانجرى لا) .. قط ما احس بمثل السعادة التى اخذ يستشعرها اذ ذاك .. واخذ يدرس حياة كهنة الدير ، فتبين ان الهدوء الذى كان يسود المكان ، كان يخفى وراءه نشاطا كذلك الذى يرى فى خلايا النحل .. كان لكل كاهن عمل ، بجانب دراساته وبحوثه ..

وازدادت مرات رؤيته للاما الاكبر .. وفى ذات يوم ، ساله « اللاما » عن « مالينسون » فقال : « لسوف يكون مشكلة » ، ودهش اذ اجابه اللاما : « اخشى انه سيكون مشكلة لك » ..

وتساءل فى عجب : « ولماذا .. لى ؟ »

وتريث « اللاما » حتى رفع الخادم اقداح الشاى الفارغة ، ثم اجاب ببساطة : « لأننى يا بنى .. ساموت ! .. أيذهلك هذا ؟ .. ثق ياصديقى اننا جميعا نسير الى الموت .. حتى فى (شانجرى لا) .. اننى ارى النهاية ، ولكن لابد لى من ان اهيىء نفسى لشعور غريب فى الساعات الاخيرة .. وقبل ذلك ، يجب ان افسح الوقت لأحقق امرا واحدا بقى امامى .. امرا يخصك يا بنى .. »

وكان قلق كونواى وفضوله يشتدان مع كل عبارة .. وطال الصمت ، ثم عاد « اللاما الاكبر » يقول : « لقد تبينت ولا شك ان ليست لدينا هنا قواعد نلتزم بها .. بل نحن نسترشد – الى حد ما – بامثلة الماضى ، ولكننا فى الغالب نسترشد بحكمتنا الحالية .. ومن هنا اجد ما يشجعنى على هذا العمل الأخير .. اننى اضع بين يديك يا بنى ميراث (شانجرى لا) ومصيرها » !!

وساد صمت لم يعكره سوى خفقات قلب كونواى .. وعاد « اللاما » يقول : « لقد اكتهل زملائى ، ولكنك ما زلت شابا ، كما انك عاقل حكيم .. وليس العبء الذى اعهد اليك به شاقا .. سيكون من اسباب المتعة لك ان تترفق بالمريض ، وتعنى بثراء العقول ، وتتزعم الحكمة اثناء هبوب العاصفة الجانحة .. العاصفة التى لم تر الدنيا لها مثيلا من قبل . لن يكون هناك امان وسلام بالسلاح ، ولن تجد الدنيا فى العلم نجاة .. ستحتدم العاصفة حتى تسحق كل زهرة من زهرات الثقافة ، وحتى تسلم الأمور البشرية كلها للفوضى

.. ولن يكون ثمة مهرب .. ولشانجرى لا ان تامل فى ان تكون هى وحدها المهرب والملاذ .. ان الطائرات التى تحمل الدمار الى المدن الكبرى ، لن تمر بطريقنا ، ولن ترى هذا الجزء من الدنيا اهلا لقنبلة واحدة » !

ولم يتكلم كونواى .. واستطرد « اللاما » قائلا : « ستصون انت تاريخنا وتضيف اليه .. ستكرم الغريب وتعلمه قواعد العمر والحكمة .. ان بصرى يضعف ، ولكنى ارى على البعد الشاسع عالما جديدا يتحرك بين الأطلال فى ضعف ولكن فى امل — يبحث عن كنوزه الضائعة .. وستكون هذه الكنوز يا بنى هنا ، وراء الجبال ، فى وادى « القمر الازرق » ، تصونها المعجزات كى تبعث نهضة جديدة .. »

وسكت « اللاما الاكبر » .. وطال سكوته .. وتامله « كونواى » فترة ، ثم تبين — وكانه فى حلم — ان « اللاما الاكبر » .. قد مات !!

ووقف مترددا على عتبة الردهة المظلمة .. وفى غمرة السكون الساجى ، احس بانه .. سيد (شانجرى لا) !.. ووقف طويلا يمد بصره فى الظلام .. ثم سار متعثرا الى ساحة الدير .. وكان القمر بدرا ، وراء قمة (كاراكال) .. وما لبث ان فطن الى « مالينسون » يمسك بذراعه ، ويقوده فى عجلة ، وهو يتكلم فى انفعال

— ١١ —

◆ اخيرا استطاع ان يفهم ان « مالينسون » كان ينبئه بان الحمالين قد وصلوا ، وانهم قد ضربوا خيامهم عند حافة الجبل ..

وكانا قد استقرا فى الغرفة التى اعتادوا ان يتناولوا فيها الطعام ، واخذ الشاب يناشد كونواى ان يستيقظ من الذهول الذى كان يرين عليه ، ليفهم انه قد دبر كل شىء واتفق مع الحمالين ، ودفع لهم الاجر الذى طلبوه مقدما .. وهتف : « حتى الثياب والمعدات اللازمة للرحلة معدة .. فهيا ، تحرك ! »

— ولكنى .. لا افهم .. من الذى رسم كل هذه الخطط ؟

— لو — تسن .. انها مع الحمالين الآن فى انتظارنا .. فسوف تاتى معنا ..

واذ ذكر اسم « لو — تسن » التقى العالمان اللذان كان كونواى تائها بينهما ، واندمجا فى ذهنه ، فصاح : « هراء !.. مستحيل !.. وكيف انباتك وهى لا تتكلم الانجليزية ؟ »

وانباه ان الآنسة « برنيكلاو » تفاهمت معها بلغة اهل التبت .. وان لها اصدقاء فى الصين ستلجا اليهم .

واخذ الشاب يستحثه ، ولكن كونواى ظل فى تخاذله الحائر .. ثم لم يلبث ان افضى اليه بكل شىء .. وبموت « اللاما الاكبر » وبخلافته اياه .. وهتف « مالينسون » اخيرا :

ـ لست ادرى ماذا اقول ، سوى ‥ انك ولابد قد جننت !
ـ اذن فانت تظننى مجنونا ؟
ـ لست ادرى يا كونواى اى عاقل يصدق كل هذا الهراء
ـ اذن فانت لا تزال متشبثا باننا ما جئنا الى هنا الا بمحض المصادفة ، وبتدبير طيار مجنون وضع خططه بحذق ليفر آلاف الأميال بطائرة ‥ لمجرد ارضاء نزوة ؟‥ لقد كان من الصعب على ان اصدق ـ مثلك ـ فى البداية ، ولكن ، فكر فى كل الغرائب التى رأتها عيناك ‥ واد تائه فى وسط جبال لم يرتدها احد ‥ ودير ، ومكتبة مليئة بالكتب الاوربية ‥‥
ـ وجهاز للتدفئة ، وشاى بعد الظهر ‥ صحيح ، كل هذا لغز غامض ، ولكن ‥ اسمع يا كونواى ، لقد اثر هذا المكان فى اعصابك ‥

ـ لست ارغب فى العودة ‥
واعيت الشاب الحيل فى اقناعه ، وفى حمله على الرجوع عن قراره ‥ فلما عجز قال له : « اذن ، فوداعا » ‥

وتصافحا ‥ وانصرف « مالينسون »
وجلس كونواى وحيدا فى ضوء المصباح الخافت ‥ واستغرق فى التفكير طويلا ، ثم نظر الى ساعته ، فاذا بها تشير الى التاسعة الا عشر دقائق ‥ وكان يدخن آخر سجائره حين عاد « مالينسون » الى الغرفة ، ووقف فى الظلام ، وكانه يستجمع حواسه !‥ وتكلم كونواى اخيرا يسأله عما دفعه الى العودة ، فتقدم الشاب وخلع الفراء الذى يلبسه ، فاذا وجهه مربد ، وجسده يرتعش ‥ وهتف اخيرا فى صوت باك : « لم اقو ‥ لقد بلغت حافة الجبل ، ولكننى لم اجسر على المضى ‥ اننى اخشى المرتفعات ‥ ثم ان ضوء القمر رهيب ‥ ان هذا المكان يستحق ان يدمر ‥ مجموعة من الكهول يكمنون هنا كالعناكب فى ارتقاب اى قادم يقترب ‥ من ذا الذى يريد ان يعيش الى مثل عمرهم ؟‥ أواه ، لم لا تاتى معى يا كونواى ؟ ‥ اننى أكره ان أتوسل اليك من اجل نفسى ، ولكنى شاب ، ولقد كنا صديقين حميمين ‥ أليس لحياتى قيمة لديك ، قدر ما لتلك الاكاذيب التى افضى اليك بها هؤلاء الاشخاص ؟ ‥ و «لو ـ تسن» ‥ الا اعتبار لها عندك ‥ انها شابة ‥ » ؟!
ـ لقد جاءت هنا فى سنة ١٨٨٤ ‥ ان جمالها تحت رحمة اولئك الذين لا يعرفون كيف يقدرون قيمته ‥ انها مخلوقة ضعيفة لا يمكن ان تعيش الا حيث يسود الضعف ، ولو اخذتها بعيدا عن الوادى ، لخبت وانطفأت !
فارسل « مالينسون » ضحكة خشنة وقال : « لست اخشى هذا ‥ اى دليل لديك على ما تقول؟‥ الم يخطر ببالك ان مثل هذه القصة تحتاج الى ما يعززها؟‥

من الحماقة ان ٠٠ ولكن، لست افهمك ٠٠
وان كنت اود ٠٠ أليس بوسعك ان تساعدنى يا كونواى ؟ »

وساد صمت طويل ، ثم قال كونواى: « هناك سؤال واحد ٠٠ اتسمح لى به ، وان كان شخصيا ؟ ٠٠ هل تحب لو ـ تسن ؟ »

وانحسر شحوب الشاب امام حمرة الخجل ، وقال : « اجل ٠٠ ستقول ان هذا عبث ، ولكنى لا اقوى على مغالبة مشاعرى »

ـ لا ٠٠ ليس عبثا ٠٠ ولكنك وهذه الفتاة كل من احفل بهم فى الدنيا !

وسار الى الشرفة واخذ يتامل الهالة الباهرة التى كانت تتوج (كاراكال) ٠٠ كان القمر يمخر عباب سماء هادئة صافية ٠٠ وخيل اليه انه فى حلم ينقشع ـ ككل الاشياء الجميلة ـ عندما يمس اول اطراف الحقيقة والواقع ٠٠ ولم يدر اكان مجنونا ثم ارتد اليه عقله ، او كان عاقلا ثم اصابه الجنون ٠٠ ولكنه حين تحول عن الشرفة ، كان رجلا آخر ٠٠

وصرخ مالينسون فرحا !

وكانت مغادرة الدير سهلة الى درجة مدهشة ٠٠ كانت رحيلا ، لا فرارا ٠٠ فلم يصادفا حائلا او عقبة ٠٠ ما كان اغرب ان ينتهى جدالهما الى هذه النهاية ، وان يقدم على نبذ هذا المأوى السرى الأمين ، شخص الفى فى رحابه الهناء !٠٠

وبلغا منعطفا فى الطريق ، فوقفا يلقيان نظرة اخيرة على (شانجرى لا) ٠٠ وابتسم كونواى ٠٠ كان هائما بين عالمين ، ولا بد له من ان يظل هائما ٠٠ ولكنه فى هذه اللحظة احس بانه احب « مالينسون » ، وانه يجب ان يساعده ، وان قضى عليه بان يفر من الحكمة ليكون ٠٠ بطلا !

وكان عليهما ان يجتازا هوة غائرة ، فاحس « مالينسون » بالخوف ، ولكن كونواى ربطه اليه بحبل على طريقة رواد الجبال ، حتى اذا نجحا فى عبورها ، قال الشاب : « يجب ان اعترف يا كونواى بان هذا كرم منك ٠٠ ليس بوسعى ان اصف لك غبطتى ٠٠ اننى مغتبط ، لا من اجل نفسى فحسب ، وانما ٠٠ من اجلك ايضا ٠٠ من الرائع ان اراك تعود الى نفسك »

وكانت « لو ـ تسن » فى انتظارهما ٠٠ وخيل لكونواى انها لم تبد اجمل

مما كانت اذ ذاك ، وهى تمنحه ابتسامة من افتن الابتسامات ، ولكن عينيهـا كانتا عالقتين بالشاب !

★ ★ ★

●فى (دلهى) ، التقيت برذرفورد ثانية ٠٠ وعرفت منـه انه بحث فى طول الصين وعرضها عن كونواى دون ان يهتدى الى اثر له !٠٠ واقسم لى ان كل ما ذكـــره فى الأوراق التى أعطانيها كان على لسان كونواى ، لم يضف اليه كلمة واحدة من عنده ٠٠ ولقد تحقق من ان ثمة مناطق فى (التبت) لم ترتد أبدا ، اذ أن أحدا لم يهتد الى المنافذ التى تحتويها جبالها

وسألته عن « مالينسون » وهل حاول ان يتبين ما جرى له وللفتاة الصينية ، فقال : « بالطبع ٠ ولكن اسوأ ما فى الامر ، كما قد تكون تبينت من الأوراق ، ان كونواى ختم قصته عند مبارحة الوادى مع الحمالين ٠٠ ولم يحدثنى ــ او لم يشأ ان يحدثنى ــ عما وقع بعد ذلك ٠ وقد لا يقدر لنا ان نعرف ٠٠ على ان من المؤكد ــ الى حد كبير ــ ان « مالينسون » لم يصل الى الصين ٠٠

وأمسك عن الكلام كما لو كان يرتقب تعقيبا ، ثم استطرد :

ــ بقيت نقطة يجب ان اذكرها ، ولعلها أغربها جميعـا ٠٠ فقد عدت أسأل واتحرى لدى البعثة التى وجدت كونواى فى مستشفاها ، اذ خطر لى ان ادقق فى معرفة كيف وصل كونواى ٠٠ هل تقدم بنفسه ، أو انه وجد مريضا ، وحمله شخص ما الى المستشفى ٠٠ ولم تستطع الراهبات ان يتذكرن، ولكن احداهن قالت فجأة ، وقد اوشكت ان ايأس : « **أظن الطبيب ذكر ان امرأة أحضرته** » ٠٠ وكان الطبيب قد نقل الى مستشفى اكبر فى (شنغهاى) ٠٠ فتجشمت عناء الذهاب اليه ٠٠ وكان هذا فى اعقاب غارة جوية يابانية شديدة ٠٠ وتلقانى الرجل فى احترام، وقال انه يذكر الرجل الانجليزى الذى كان فاقد الذاكرة ، **وان من الصحيح ان امرأة أحضرته الى المستشفى ٠٠ امرأة صينية ٠**

فلما سالته عما يتذكره عنها ، قال انه لا يذكر شيئا سوى انها كانت صريعة الحمى .. وانها ماتت فى الحال ، تقريبا !.. ولم أستطع ان امضى فى الحديث ، اذ وصلت دفعة من ضحايا الغارة، فازدحمت ردهات المستشفى .. ولم أحاول ان اشغل وقت الرجل ، لا سيما وان قصف المدافع نبهنى الى ان عملا مرهقا لا يزال فى انتظاره .. فلما هممت ان اودعه ، سألته سؤالا أخيرا عن المرأة الصينية .. هل كانت شابة ؟

ونفض « رذرفورد » رماد سيجاره فى انفعال ، ثم استأنف الحديث :

— وتطلع الى الطبيب الشاب لحظة فى وجوم ، ثم أجاب بتلك اللهجة الانجليزية المهذبة التى تسمعها من الصينيين المتعلمين :

« **اوه ، لا .. كانت جد طاعنة فى السن .. اكثر من رأيت فى حياتى كهولة !** »

المؤلف (١٩٠٠ ــ ١٩٥٥)

◆ **هذه هى القصة التى رفعت مؤلفها من كاتب ناشىء مغمور ، الى اديب من ادباء الصف الأول فى انجلترا ، بل فى العالم الناطق بالانجليزية فى شتى قارات الأرض . وقد كان « جيمس هيلتون » فى الثالثة والثلاثين يوم كتبها — عام ١٩٣٣ — فلم تكد تنشر حتى تهافت النقاد على تقريظها والاشادة بها ، ثم منحت فى نفس العام جائزة هوثورندن للقصة الطويلة ، فنفدت طبعاتها المتوالية وبيعت منها ملايين النسخ .. ثم لم تلبث ان مثلت فى فيلم سينمائى اضطلع ببطولته يومئذ الممثل القدير « رونالد كولمان » ..**

والقصة كما ترى من اللون الرمزى أو المجازى ، وقد أراد المؤلف ان يتخذ منها اداة للمقارنة بين حضارة الغرب « المادية » ، وحضارة الشرق « الروحية » ، فتوسل الى ذلك بنقل أبطال قصته من « مناطق نفوذ » كلا النقيضين — الشرق والغرب — ودبر لهم لقاء فى تلك البقعة النائية المنعزلة عن الحضارتين .. وفى ذلك الجو الذى يسوده الهدوء الشامل ، والبعد السحيق عن كل مدنية ، غربية او شرقية ، والارتفاع الشاهق عن الدنيا ودناياها .. فى ذلك الجو المجرد من شتى المؤثرات ، اجرى « مبارزته » الشائقة بين شخصيات الطرفين ، وتقاليد العالمين ، وذرى مع الرياح الاربع كل القيم المتعارف عليها لهذا العالم الوضيع :

فسخر من التكالب على جمع المال ٠٠ والتنافس على المناصب ٠٠ والتفانى فى عبادة الجسد وتوفير اسباب متعته ورفاهيته !٠٠ وعالج ذلك كله باسلوب اخاذ يمسك عليك انفاسك بحرارته ، و «اخلاصه» ، وتحليقه الى اسمى مجالات التفكير ، وتغلغله الى اعمق أعماق النفس البشرية ٠٠ كل ذلك فى رقة ، وعذوبة ، وبعد عن العنف ، وهى السمات التى تميز بها « جيمس هيلتون » فى كل مؤلفاته على وجه العموم ، برغم الاختلاف الهائل بين موضوعاتها ٠٠

وعلى ذكر هذه المؤلفات الاخرى ، يغلب على ظنى انك قدعشت فى جو واحد منها او اكثر ، على الستار الفضى ، فقد مثلت جميعها فى افلام سينمائية عالمية، ظفرت بمثل النجاح الذى ظفرت به القصص المطبوعة ذاتها ، وجند لها اشهر ممثلى هوليوود : فاضطلعت « مارلين ديتريش » ببطولة « فارس بغير درع » ٠٠ و « روبرت دونات » ببطولة « وداعا يا مستر تشيبس » ـ الذى يصور فى براعة منقطعة النظير ، وبلمسات انسانية ترهف الحس ، حياة مدرس رقيق الحال ، بسيط النفس ، مخلص لرسالته ، محب لتلاميذه ٠٠ كما تصور عواطفه وخلجات نفسه حين تتقدم به السن ، فينسحب من الحياة العامة الى ضباب الشيخوخة والنسيان !

اما قصة المؤلف الرابعة التى مثلت وعرضت على شاشة السينما فهى «حصاد المصادفة» RANDON HARVEST ، التى اسند دور البطولة فيها الى « رونالد كولمان » ايضا ـ بطل فيلم « الافق المفقود » ـ ومثل فيها شخصية الرجل الذى اصيب بفقد ذاكرته ، نتيجة حادث ، فعاش منقطع الصلة بماضيه الطويل وشخصيته الاولى ! ـ (وقد « مصرت » فكرة القصة على اثر عرض الفيلم المذكور ونسج على منوالها موضوع الفيلم المصرى الغنائى « الماضى المجهول »)

٠٠ ولو كان الأجل قد امتد بهذا المؤلف ذى الخيال الخصب ، لأنتج لنا روائع اخرى من مؤلفاته ٠٠ لكن أجله وافاه ، لسوء حظ الأدب ، منذ اشهر معدودة ٠٠ فرحل فى بداية سنة ١٩٥٥ من هذا العالم ، قبل ان يتحقق حلم « افقه المفقود » !

الخالدون

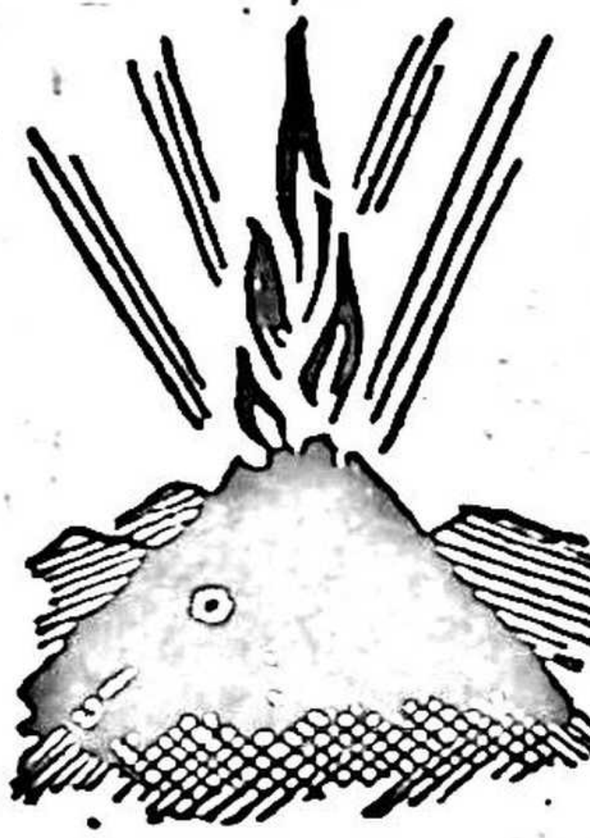

عظماء .. فى غير السياسة

عزيزى القارىء ..

فى الأعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : « ديفاليرا » .. و « غاريبالدى » .. و « لويس باستير » .. و « اميل زولا » .. و «ماركونى» .. و «تشايكوفسكى» .. « فمصطفى كمال » .. ثم «شوبان» .. و « جى دى موباسان » و «مختار» و « تشارلس ديكنز » و « بيتهوفن » و « موسولينى » و « شيللى » و «بلزاك» و «بودلير» و «دستويفسكى» و «موليير» واخيرا «كونفوشيوس» و «جيته» وبوذا .. وهم اولئك العظماء فى السياسة ، والطب ، والأدب ، والاختراع ، والموسيقى .. والفنون .. الخ

واليوم اقدم لك فيما يلى حياة اشهر كاتب ظهر فى فرنسا : « الكسندر ديماس » الأب !

وفى الأعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، براونتج ، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشة ، ارسطو .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، اديسون ، فورد .. والتر سكوت ، كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الأكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل انجلو ، رفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم

أعلام القصة :

الكسندر ديماس

مغامر في قصصه .. مغامر في حياته !

الصبى الذى أراد مبارزة .. «الله» !!

◆ من منا لم يقرأ « الفرسان الثلاثة » و « الكونت دى مونت كريستو » وغيرهما من قصص المغامرات الشائقة ؟ .. ومن منا لا تتوق نفسه الى معرفة طرف من حياة خالق هذه الروايات ، الذى يلمع اسمه فى ذاكرة كل صبى ، وشاب وشيخ : ألكسندر ديماس ؟

كان فى الرابعة من عمره حين مات والده .. فلما خرجت امه من غرفة الموت ، رأت الطفل يصعد السلالم الى سطح المنزل وهو يجر وراءه بندقية ثقيلة :

– الى أين أنت ذاهب يا بنى ؟
– ذاهب الى السماء !
– الى السماء ؟ .. لماذا ؟
– كى ابارز « الله » الذى قتل ابى !!

وهكذا – كما فى الفرسان الثلاثة – كان « الكسندر » منذ طفولته الباكرة محاربا متهورا ضد القوى المنيعة التى لا تغلب !

جدته .. زنجية !

◆ **ولد** من سلالة اشتهر رجالها بشغفهم بالحروب والمغامرات .. حتى لقد تناسى جده « داقى دى لابايترى » ارستقراطيته الموروثة ، وأطاع الحنين الذى يسرى فى دمه الى حياة المغامرة فأقلع بسفينة صغيرة من أحد موانىء مقاطعة (نورماندى) متجها الى جزيرة (سان دومينجو) .. حيث عاش أشبه ب «امبراطور» على الزنوج ، تحيط به رعية من العبيد السود ، كانت منهم « لويز ديماس » التى أنجبت له ابنا « مولدا » سماه أبوه « توماس ألكسندر »

وورث توماس طباع أبيه « الفوارة » فبادره حين بلغ أشده :

– أريد أن أتطوع فى الجيش ..

– حسنا .. ولكن يجب أن تسجل نفسك فيه باسم أمك ، فانه يشيننى أن يحمل جندى مولد اسمى النبيل !!

وهكذا انضم توماس الكسندر الى الجيش الفرنسى فى سنة ١٧٩٣ باسم « ديماس » ٠٠ وخلال سبعة أعوام ارتقى من جندى بسيط الى « جنرال » ! كان هذا « المولد » الارستقراطى ذو البشرة السمراء والشعر الكستنائى محاربا شجاعا ، ذكيا ، رقيقا ، محبوبا من الجميع ٠٠ اجتاح مرة جبال « البيرينيز » وأسر ألفين من جنود الأعداء ٠٠ ودافع بمفرده عن قنطرة ضد فرقة من النمسويين ٠٠ وكان يحارب دائما فى الصفوف الامامية من فرقته ٠٠ وذات مرة أغمى عليه بعد انتهاء المعركة ، فسأله أركان حربه فى انزعاج وهو يفيق من اغمائه :

– هل جرحت يا سيدى الجنرال ؟

– **كلا ٠٠ بل قتلت كثيرين ٠٠ كثيرين جدا !**

وحارب تحت قيادة نابليون كجمهورى ثائر ٠٠ وظل جمهوريا ثائرا حين صار نابليون امبراطورا طاغية ، فطرد من الجيش ملطخا بهذا العار !

وكان قد تزوج ، ورزق طفلا عملاقا وزنه تسعة أرطال وطوله ثمانية عشر بوصة ! ٠٠ ولحسن حظه جاء الطفل أبيض اللون ، ذا بشرة وردية وشعر فاتح وعينين زرقاوين ٠ ولم يكن فيه من سمات الزنوج والمولدين غير اكتناز شفتيه ! ٠٠ **ونشأ « الكسندر » منذ طفولته الباكرة قوى البنية والعقل والروح المعنوية ، ميالا الى التمرد ٠٠ حتى لقد قال يوما : « ان ذلك الرجل الشرير «نابليون» قد لوث شرف أبى ٠٠ ولسوف أحارب الرجال الاشرار طيلة حياتى ! »**

الغلام المتمرد ٠٠

◆ وشب الصبى كارها للمدرسة والتعليم ، فحاولت أمه تعليمه الموسيقى ، لكنه كان يكره الموسيقى أيضا ٠ وأخيرا فكرت فى أن توجهه الى تعلم الدين ليصير من رجاله ، فلما عرف نيتها هرب من البيت وظل مختفيا في الغابات عدة أيام ! ٠٠

واذ ذاك يئست الام من مستقبل ابنها وَقالت : « **انه لن يصلح الا ناسخا ، فان خطه جميل ٠٠ وان كان أغبى غبى يستطيع أن يكون كذلك » !**

لكن الكسندر كان أبعد ما يكون عن الغباء ٠٠ كان قوى الملاحظة ، ذا عين نافذة البصر ، وعقل راجح ، وقلب يعطف على الانسانية جمعاء ٠ ورغم كراهيته للدرس والتحصيل ، كان شغوفا بتتبع الاحداث الجارية ، وكانت تلك الحقبة من تاريخ فرنسا حافلة بالاحداث المثيرة ! ٠٠ ففى يونية سنة ١٨١٥ لمح الغلام ـ وكان فى الثالثة عشرة ـ عربة مقفلة تنهب الطريق الرئيسية فى بلدة (فييركوتريه) ، واستطاع أن يميز وراء الستار صورة جانبية لوجه رجل حازم القسمات، حاد النظرات، فهتف قائلا : « انه نابليون فى طريقه الى ووترلو » ٠٠ وبعد أيام رأى العربة ذاتها تنهب الطريق نفسها فى الاتجاه المضاد ، وخلف الستار نفس الوجه متهالكا على الوسادة ، محطما ٠٠ **فقال الغلام الذكى : « انه نابليون ٠٠ هاربا من ووترلو ٠٠ » !**

وعلى اثر هزيمة نابليـون حاولت أم ألـكسندر أن تستـرد ثروتها ومكانتها ، فخيرت ابنها بين أن يتخذ لنفسه اسم جده الارستقراطى القديم « دى لابايترى » أو أن يحتفظ باسـم « ديماس » المجهول المتواضع ، فصاح المتمرد الصغير :

ـ سوف أظل دائما « الكسندر ديماس » !

ولكن كيف يكسب الكسندر ديماس ـ حفيد العبد الزنجى ـ ما يقيم أوده هو وأمه ؟ ٠٠ لم يجد وسيلة غير تنفيذ فكرة أمه القديمة : استغلال خطه الجميل المنسق فى أعمال النسـخ ، فالتحق كناسخ بمكتب الاستاذ « جينيسون » موثق العقود ، وصديق العائلة !

ناسخ ٠٠ و «دون جوان» ٠٠ وكاتب مثابر !

◆ **وفى** المكتب المذكور صار الغـلام يقرأ أكثر مما يكتب ، رغم استياء صاحب العمل ، فقرأ مؤلفات فولتير وغيره من كتاب

الثورة .. ثم لم يلبث أن تنبه الى اغراء قوامه الفارع وابتسامته الجذابة – وكان قد بلغ السادسة عشرة – فوجه همه الى ايقاع فتاة تدعى « اديل دالفان » فى شباك غرامه .. فلما نجحت مغامرته بسهولة وبساطة ، بدأ يستغل «موهبته» الجديدة على نطاق واسع ، فلم يلبث أن صار « دون جوان » البلدة !

ثم اتسعت مطامعه .. لم يضيع مؤهلاته فى بلدة صغيرة مثل (فيير كوتريه) .. لم لا يذهب الى باريس ؟

ولكن كيف ؟ .. ان أمه فقيرة ، وايراده من عمله أضأل من أن يكفى لرحلة الى باريس ! .. لكن عزيمة الكسندر لم تكن تعترف بالصعاب ، فصار يستغل ساعات فراغه فى اتقان لعبة « البلياردو » حتى برع فيها . وذات مساء تحدى رواد الحانة التى يلعب فيها أن ينازلوه فى اللعبة . وعاد الى البيت فى تلك الليلة وفى جيبه نفقات السفر الى العاصمة !

ولم يكد يصل الى باريس حتى يمم وجهه شطر (المسرح الفرنسى) ، ثم دلف الى غرفة الممثل التراجيدى الشهير – فى ذلك الوقت – « تالما » ، اذ لم تكن ثمة عقبة تقف أمام هذا « الصاروخ » البشرى الخاطف ! .. وسر الممثل الشيخ بروح الفتى المغامر فسأله متلطفا :

– ما هو عملك يا صديقى ؟

– فى الوقت الحاضر أنا ناسخ عند موثق عقود ، يا سيدى .. لكنى أريد أن أكون كاتبا !

– ولم لا ؟ .. ان «كورنى» المؤلف المسرحى العظيم كان ايضا فى شبابه يعمل فى مكتب موثق عقود !

– شكرا يا سيدى .. ثم ، هل تتكرم بلمس جبهتى .. كى تجلب لى الحظ ؟

فضحك الممثل وأجاب وهو يضع كفه على جبهة الشاب :

– بكل سرور .. ها أنا أعمدك شاعرا باسم شكسبير وكورنى وشيللر !

وكان الممثل هازلا فى ضميره أكثر منه جادا بالطبع . لكن الأمر بالنسبة لديماس لم يكن هزلا .. « رباه .. شاعر باسم شكسبير وكورنى وشيللر ؟ ولم لا ؟ .. سوف أحقق النبوءة .. وسوف أثبتها لتالما وللعالم أجمع .. منذ هذه اللحظة ! »

ولم يكد يصل الى البيت حتى تناول الورق وشرع يقتبس مسرحية من رواية « والتر سكوت » الخالدة « ايفانهو » !

وحين أتمها طاف بها على الناشرين فلم يقبلها أحد . وأصاب المصير نفسه مسرحيته الثانية ، ثم الثالثة .. **ورغم هذا لم يتطرق الى قلبه اليأس فاستمر ينتج ، ويؤمل ، وينجب من صديقاته أطفالا غير شرعيين ! ويؤلف قصصا ومسرحيات ، محاولا أن يفرض مواهبه على سمع الناس وبصرهم فرضا ، وينتصر على عناد القراء والناشرين !** وحيثما كان ناشر أو صاحب صحيفة يرفض مقابلته ، كان يلتفت الى سكرتيرته ويقول : « شكرا يا مدموازيل .. ولكن همتى لا تثبط بسهولة .. سوف آتى مرة أخرى .. » !

شهامة ملك المسرح الباريسى !

◆ **وأخيرا** ، انتصر ، بفضل الحاحه الباسم ومثابرته المؤدبة .. فقبلت احدى مسرحياته المسماة « الملكة كريستينا » لتمثل على المسرح الفرنسى . **واختير الممثلون ، وبدأت البروفات ، وابتسم الحظ والمجد للمؤلف الشاب .. لكنه أضاع فرصته بيده فجأة ، حين سحب روايته ، كى يفسح المجال أمام مؤلف**

عجوز كان قد قضى حياته كلها فى محاولات فاشلة ، فى سبيل الظفر بتمثيل رواية من رواياته على المسرح .. وكان قد ألف آخر مسرحية يدور موضوعها حول حياة الملكة كريستيا أيضا .. فأشفق عليه ديماس وقال : « فلينعم الرجل بتحقيق حلمه مرة قبل أن يذهب الى القبر .. » !.. وسحب روايته هو !

وشرع ديماس على الفور فى وضع مسرحية جديدة عن «هنرى الثالث » ، وعثر على مخرج لها ، فبات يترقب الليلة الأولى لتمثيلها بصبر نافد . وفى ليلة ١١ فبراير سنة ١٨٢٨ أعد المؤلف ثياب السهرة مقدما ، وبدأ يرتديها فى الموعد المحدد كى لا يفوته من حفلة الافتتاح شىء ! .. وارتدى فعلا بنطلونه وقميصه وحذاءه .. وفجأة اكتشف أنه قد نسى أن يشترى الياقة المنشاة ، فاختطف مقصا وقص لنفسه ياقة من الورق المقوى ، ثم هرع الى المسرح ، وأطل من خلف الستار على الصالة فوجدها مكتظة بالنظارة .. **وظفرت الرواية بنجاح هائل .. ولم يكد يسدل الستار على الفصل الأخير منها ، حتى هزت المسرح عاصفة من التصفيق الشديد ، تحولت الى نوبة جنونية حين ظهر المؤلف الشاب فى مقصورته « برأسه المرفوع الى أعلى حتى لتكاد خصلة شعره الثائرة أن تشتعل بالنار من لمس النجوم » .. وهكذا صار الفتى « المولد » بياقته المصنوعة من الورق المقوى « ملك المسرح الباريسى » !!**

وتربع ديماس على عرش مملكته كأنما قد ولد ملكا .. فصار يوزع الابتسامات ، ويتقبل التحيات ، ويستنشق عبير النجاح فى جلال ومهابة الملوك !

وتتابعت المسرحيات ، والانتصارات ، ومن ثم .. العشيقات!

المحارب الثائر !

* ثم أتيحت له مغامرة من نوع جديد ..

كان « شارل العاشر » قد أصدر لائحة تحد من حرية الصحافة

أثارت ثائرة المثقفين فى باريس ، وانضم ديماس الى الثائرين المسلحين . ولكن الثورة تمخضت عن خيبة أمل .. فان الثوار لم ينجحوا الا فى استبدال حاكم أسوأ بحاكم سيىء.. فزهد ديماس فى السياسة ، وآثر العودة الى الميدان الآخر الذى نجح فيه : ميدان الادب .. فكتب مسرحية « انطونى » التى يدور موضوعها حول الثلاثى الخالد : امرأة ورجلين !.. **كلها لحبكتها ومواقفها « المكشوفة » التى تعالج الرذيلة بصراحة تامة .. وبلغت الحماسة بالمتفرجات فى الليلة الاولى حد تمزيق سترة المؤلف ، تحية واعجابا .. وهن يتهامسن : « أواه .. ياله من شاب جرىء رائع ! »** ١٧٣٢ فهتفت باريس

واستمر « المولد » الجرىء الرائع ، ذو السترة الزاهية والاسنان البراقة ، يدور فى ساقية الاقدار التى لاتدوم على حال .. يوم له ويوم عليه !.. يوم تظفر رواية له بالنجاح ، ويوم يولد له طفل ، ويوم يهجر عشيقته ، ويوم يصاب بالكوليرا وينجو منها !.. ثم رواية أخرى ناجحة ، ثم اشتراك فى ثورة أخرى فاشلة ، ثم فرار الى سويسرا للنجاة من أمر بالقبض عليه باعتباره « جمهوريا خطرا » .. **ثم نزوة طارئة توحى اليه بأن يصير من رجال الدين : « ولم لا ؟.. لقد خلقت مسرحا جديدا ، فلم لا أؤسس نظاما دينيا جديدا ؟»!!**

لكنه نبذ الفكرة بالسرعة نفسها التى اعتنقها بها .. فقد كانت طبيعته البركانية أحد من أن تطيق عزلة الدير ، وملذات الدنيا أمتع من أن يستبدل بها وعود الآخرة !.. **ففضل أن يظل دنيويا وثنيا .. وأن يدفع الثمن !**

وظل وثنيا مستهترا الى آخر حياته .. يسامر الرجال ، ويغوى زوجاتهم ، ويكتب مسرحياته ، ويستمتع بالمجد ، ويواجه فشله وانتصاراته بعدم مبالاة .. فيتلقى ثناء النقاد بهزة من الكتف ، وانتقاداتهم واهاناتهم .. بابتسامة !

الطير .. فى القفص !

• وفى ٦ فبراير سنة ١٨٣٢ ظهرت فتاة موهـــوبة من (مونبارناس) تدعى « ايدا فيرييه » لاول مرة على خشبة المسرح ، فى رواية ديماس المسماة « تيريز » .. فلما أسدلت الستار ، ارتمت الممثلة فى أحضان المؤلف تهتف فى جذل : « مسيو ديماس ، لقد كنت سبب شـــهرتى فكيف أرد لك الجميل ؟ »

فأجابها وهو يبتسم لها ابتسامته الخلابة : « هذا أمرسهل للغاية ! »

وظلت « ترد له جميله » ســـــنوات !.. وذات يوم فوجىء أصدقاؤهما بزواجهما . واستكان ديماس لحياة البيت والأسرة، ولكن الاغلال اتسعت حول رقبته القوية ، فصار يتحرر منها أحيانا كى يقوم بمغامرات غرامية فى الخارج !.. **وسمح لزوجته ان تبحث عن مغامراتها الخاصة فى داخل البيت ، فقد كان شعاره : « عش ودع غيرك يعيش » !!**

وهكذا عاش يبحث دائما عن ملذات جـــديدة ، وغراميات جديدة ، وهتافات جديدة من الجماهير .. لكنه بدأ يمل نجاحه كمؤلف للمسرح ، وكانت نيران الثورات قد أخمدت فى شتى البلاد ، فكان لا بد لنشاطه الخارق أن يجد لنفسه متنفســـا جديدا .. ولكن أين ؟.. وكيف ؟

واهتدى الى الميدان الجـــديد .. فكر أن يطرق باب تأليف القصص ذات المغامرات التاريخية .. انه سوف يبعث الماضى الميت الى الحياة مرة أخرى .. واذا كان «والتر سكوت» ملك المغامرات القصصية قد مات ، فليحى الملك الجديد « الكسندر ديماس » !

وعكف على روايته الأولى « الفرسان الثلاثة » يخلق وقائعها الشائقة ويمزج فيها التاريخ بالغرام مزجا رائعا ، مستعينـــا على تحقيق الوقائع التاريخية وتحرى حقائقها بشاب موهوب

تخصص فى الدراسات التاريخية يدعى « أوجست ماكيه » .. وكان مبدأ ديماس فى أبحاثه أن يتحرى الدقة فى احداث التاريخ الهامة دون وقائعه التافهة .. **واستباح « العدوان على حرمة التاريخ بشرط أن ينجب منه طفلا » .. على حد تعبيره !**

لا يتعب من التأليف .. والضيافة !

◆ **وظل** يعمل فى روايته بلا ملل أو تعب ، من السابعة صباحا الى السابعة مساء .. مرتديا قميصا مفتوحا عند الرقبة ، والى جواره صينية عليها طعام الغداء ، الذى كان ينشغل عنه أحيانا فلا يمسه !.. وحين يدخل عليه زائر يكتفى بتحيته بيده اليسرى بينما يده اليمنى ماضية فى الكتابة !

وكان دائما يكتب وهو حاضر الذهن ، فيسامر شخصيات روايته ، ويعيش معهم ، ويحدثهم ، ويضحك معهم !.. ودخل مرة زائر انجليزى ، فلما سمع ضحكة طويلة صادرة من غرفة المؤلف قال لخادمه معتذرا : « سوف أنتظر حتى يخرج الزائر الذى يجلس مع سيدك » !.. فأجابه الخادم : « ولكن سيدى بمفرده .. انه فقط يستمتع بنكتة لطيفة سمعها من احدى شخصيات روايته ! »

ورغم انشغاله طيلة النهار بالتأليف ، كان فى الليل يجالس أصدقاءه وصديقاته بنفس منتعشة وجسم نشيط .. وحين سأله بعضهم كيف يحتفظ هكذا بنشاطه بعد يوم شاق يقضيه فى شحذ ذهنه ، أجاب بأن الكتابة بالنسبة اليه ليست شحذ ذهن شاق كما يتصور الناس .. **« فانى لا أخلق رواياتى ، وانما هى التى تخلق نفسها فى أعماقى » !**

— وكيف ذلك ؟

— لا أعرف .. سلوا شجرة البرقوق كيف تنتج ثمارها ؟!

والواقع أنه كان يملك موهبة الخلق النادرة الغامضة ، الى جانب موهبة « الصداقة » الاشد ندرة وغموضا !.. كان بيته

وقلبه مفتوحين أبدا للناس .. وكانت فترة الغداء فى بيته تبدأ فى منتصف الثانية عشرة ، وتنتهى فى منتصف الخامسة !.. فقد كانت مائدته دائما تضم ضيوفا جددا يأتون على غير انتظار، فيبرح خدمه الى حانوت القصاب يبتاعون منه مزيدا من اللحم .. وحين كان رب البيت يجد فراغا لمسامرتهم ، كان يتنقل بينهم مرحبا فى بساطة وانشراح ، بالمدعوين منهم والذين أتوا منهم بغير دعوة على السواء !.. **وذات مرة سأله أحد ضيوفه أن يقدمه الى شخص من الحاضرين ، فأجابه معتذرا : «يؤسفنى انى لن أستطيع ذلك .. فان أحدا لم يقدمه الى حتى الآن ! » .. فقد كان المضيف لا يعرف ضيفه الطفيلى !**

وكان كرمه أشبه ببئر عميق لا قرار له يلقى فيه بكل ايراده .. فظل دائما غارقا فى الديون ، وكان المحضر من أكثر زواره انتظاما !.. سأله صديق له فى أحد الايام أن يساهم فى التبرع من أجل دفن أحد الموتى الفقراء ، فأخرج من جيبه خمسة عشر فرنكا وسأل صديقه :

- ومن يكون الفقيد المسكين ؟

- محضر ..

- اذا كان الامر كذلك فخذ خمسة عشر فرنكا أخرى وادفن محضرين !

مع الحرية .. فى كل مكان !

◆ **وبينما** كان « جيب » ديماس فارغا على الدوام ، كان مجده يرتفع بسرعة وانتظام . وبعد أن كان يخرج من التاريخ قصصا، صار يخلق من القصص تاريخا !.. ومنذ أصدر قصته الخالدة الحية بالشخصيات « الكونت دى مونت كريستو » ـ بمعاونة مساعده ماكيه ـ صار ادلاء مدينة (مرسيليا) يرشدون السياح الى البيوت التى عاش فيها « موريل » و « مرسيدس » .. والزنزانة التى قضى فيها « ادموند دانت » والأب « فاريا » سنوات طويلة من عمريهما ، فى سجن قصر (ايف) .. فقد

خلق ديماس من الضباب والبخار مبانى ومساكن صلبة وأشخاص أحياء !

وقد اتهمه أعداؤه بأنه كان يدير « فابريقة » للقصص !٠٠ والحقيقة انه كان يكلف ماكيه ومساعديه الآخرين بجمع الوقائع الجامدة لقصصه ، ثم يتناول الوقائع فينفخ فيها نار الخيال وأنفاس الحياة !٠

وهكذا عاش في غرفة مكتبه حتى مغرب حياته ، أشبه براوية القصص العربى الذى يسهر مع قبيلته تحت سماء الصحراء التى تضيئها النجوم ، كما وصف نفسه !٠٠ لكن كأس نجاحه امتزجت قرب النهاية بشىء من المرارة ٠٠ مرارة الحسد !٠٠ **لكن حسده لم يكن يخلو من فخر ، فان هدفه لم يكن غير ابنه « اسكندر ديماس الابن » ، الذى أصدر فى تلك الأثناء قصته الخالدة «غادة الكاميليا» ، فظفرت بنجاح ورواج فاقا أقصى ما حظى به الأب طيلة حياته ٠ ومنذ ذلك التاريخ، أخذ الأب والابن يتنافسان ، وكلاهما يحاول التفوق على الآخر ، وفى الوقت نفسه ، كلاهما يحب الآخر الى درجة العبادة !٠٠ قال الأب فى احدى المرات وهو يمزح : « لقد ربيت ولدا ٠٠ تكشف لى فى النهاية عن أفعى !» ٠٠ ورد الابن التحية قائلا : « وأنا ربيت أبا ٠٠ تكشف لى فى النهاية عن طفل !»**

وقد ظل « الطفل » حتى النهاية شغوفا بالمغامرات، والضحك، والجرأة التى لا تقف فى طريقها عقبة !٠٠ فبالرغم من تقدمه فى السن ، واكتناز جسمه باللحم ، بقى ذهنه ثائرا كالعهد به ، فلم يكن يسمع بثورة تنشب فى مكان حتى يلقى بنفسه فى دوامتها !٠٠ وفى سنة ١٨٤٨ أبدى استعداده لقيادة الحرس الوطنى الى باريس ، لكن الحرس الوطنى رفض أن يتبعه !٠٠ **وفى ١٨٥٩ انضم الى « غاريبالدى » ، ولم يكتف بالتنازل عن ثروته البالغة خمسين ألفا من الفرنكات لقضية تحرير ايطاليا، بل أبدى استعداده للتضحية بحياته فى سبيلها !**

وهكذا ظلت قوته الخارقة ونشاطه العجيب قابلين دائما لان يترجما الى حركة .. من أى نوع . لم يكن يستطيع أن يخلد للراحة . وعند عودته ذات يوم من زيارة ثورية لايطاليا - وكان فى سن الثالثة والستين - استقبله ابنه فى المحطة ، وكانت الساعة العاشرة مساء ، قائلا فى اشفاق :

- لا بد انك تعانى تعبا شديدا من رحلتك يا أبى .. دعنى أصحبك الى البيت ..

- كلا .. بل أريد أن أرى « جوتييه » قبل أن أنام

وقاد ابنه من يده الى عربة أوصلتهما الى منزل الصديق القديم فى « نوينى » فوجدا البيت مقفلا ، واذ ذاك رفع الاب عقيرته بالصياح حتى أيقظ جوتييه من نومه

- من هناك ؟

- دوماس الاب .. ودوماس الابن !

ولم يخرج الاثنان من بيت الصديق الا فى الساعة الرابعة صباحا .. وحين بلغا بيتهما قال الاب لابنه :

- أريد أن تأتى لى بمصباح ..

- لماذا ؟

- عندى عمل يجب أن أنجزه !

وترك الابن أباه جالسا الى مكتبه ومضى هو لينام !.. **وحين استيقظ بعد الفجر وجد فوق المكتب ثلاثة مقالات كاملة معدة لثلاث مجلات مختلفة .. ورأى أباه أمام المرآة يحلق لحيته وهو يغنى !**

– كيف حالك يا أبتاه ؟
– فى أتم نشاطى يا ابنى

ثم غمز له بعينه، واستطرد : «**اننا نحن الشبان ، لا نتعب سريعا مثلكم ٠٠ أيها الشيوخ ! »**

الغرام الاخير !

◆ **وأخيرا** ، حطم «الشاب» قلمه فى سن الثامنة والستين وأخلد للراحة ٠٠ لا لأنه تعب من مغامراته ، بل لأنه كان يبحث عن تجربة جديدة ! ٠٠ وكان قد فرغ من مغامرة غرامية مع ممثلة أمريكية تدعى «ادا منكن» ، وكان غرامها أشبه بعاصفة قصيرة، عنيفة ، مكتسحة ، انتهت بمأساة ، حين سقطت المرأة عن جوادها فماتت لساعتها ٠٠ وعلى اثر ذلك توجه ديماس الى منزل ابنه

– **لقد جئت اليك يا ابنى ٠٠ كى أموت !**

ومنذ تلك اللحظة لاذ بالصمت !٠٠ وكلما كان أصدقاؤه يهزون رؤوسهم فى أسى ويقولون ان ديماس قد انهار وأصابه الانحلال ٠٠ كان ابنه يجيبهم :

– **ان عقلا مثل عقل ابى لا يمكن أن يصاب بالانحلال ٠٠ولئن رفض أن يكلمنا بلغة الدنيا ، فلأن ذهنه مشغول بتعلم لغة الآخرة ٠٠ لغة الأبدية !**

بنك مصر
اسس شركاته الكبرى التى وطف بها خصائص البلاد
واستغل مرافقها فإذا بها الدعائم التى قام عليها
التصنيع القومى فى البلاد وكانت السياج المنيع للتحرر
الاقتصادى منذ ٣٣ عامًا فدل على الكفاية المصرية
وتفوق العقل المصرى فى مضمار الحياة العملية

ترقب .. حوالى منتصف نوفمبر الحالى

باكورة المختارات الجديدة من شوامخ الكتب العالمية ، التى تقدمها لك بنصها « الكامل » ، فى ترجمة أمينة دقيقة ، السلسلة الشقيقة لكتابى :

مطبوعات كتابى

بعد ان تمت العدة لاصـــدارها بانتظام ، استجابة لالحاح القراء الاعزاء طوال العامين الماضيين .. (اقرأ التفصيلات فى افتتاحية هذا العدد)

وقد اختار « كتابى » لاستهلال مطبوعاته فى عهدها الجديد ، القصة الرائعة :

الخطيئة الأولى

لأديب ايطاليا المعاصر « ألبرتو مورافيا »

.. الكاتب الذى يحـــلل لك ، فى أصرح وأروع اسلوب ، أعمق خلجات النفس الانسانية التى لم ينفذ الى اغوارها كاتب آخر من قبل

احجز نسختك من الآن

نحن في ركب الأدب

ظهر في المكتبة العربية

عزيزى القارىء ...

هذا باب جديد احسبه قد طاف بخيالك منذ زمن .. ففى كل شهر تخرج المكتبة العربية عشرات من الكتب، لعشرات المؤلفين ، فى شتى الموضوعات .. وانت حائر لاتدرى ايها تقرا وايها تدع ـ فان وقتك لن يتسع لقراءتها جميعا ولا شك ، ومن العسير عليك ان نعرف ما يوافق ذوقك من المطبوعات من مجرد معرفة اسم الكتاب واسم كاتبه .. بل ان تصفح الكتاب بين يديك فى المكتبة التى تبيعه لن يكفى كى تعرف عنه ماتود معرفته من ابوابه وجزئياته..

لذلك رايت ان افتح لك فى «كتابى» هذا الباب الذى يقدم اليك ـ على فترات متفاوتة ـ ملخصا لأهم كتاب ظهر خلال الفترة المنصرمة ، فى اسلوب يكاد يكون هو اسلوب كاتبه ، وبعبارات اكثرها عباراته ذاتها ـ او على حد التعبير الانجليزى In the author's own words ـ كيما تلم المامة وجيزة بالكتاب ، فتقتنيه اذا راقتك مادته ووافقت هواك ، او تقنع بهذه الخلاصة اذا آثرت عليه كتابا آخر .. وهكذا يستطيع كل قارىء ان يقتنى اقرب الكتب الى ميوله ومزاجه

وسبق أن قدمت لك فى هذا الباب :

ابو نواس : للعقاد

الهوى والشباب : بشارة الخورى

هذا أو الطوفان : خالد محمد خالد

هؤلاء علمونى : سلامة موسى

واليوم اقدملك هذا الكتاب الرائع ، للمفكر الالمانى الكبير « باول ارنست »

حوار
العباقرة
سقراط
الاسكندر المقدوني
حوار العباقرة!
للمفكر الألماني المعاصر: پاول إرنست
تعريب الأديب العراقي: الدكتور محمد بديع الشريف
هوميروس
زرادشت
ديوجين

١٧٤٢

هذا الكتاب ..

◆ كان من أهداف (كتابى) دائما ، تبسيط الفلسفة والعلوم الجافة ، وتيسيرها للقارىء بحيث يستسيغها ويهضمها فى غير عناء ، جهد الطاقة .. والكتاب الذى اقدمه اليك فيما يلى وضعه المفكر الالمانى المعاصر « باول ارنست » فى غضون عشر سنوات - بين سنتى ١٩١٢ و ١٩٢٢ - واطلق عليه « الحوار المبتدع » ، وقد أجرى فيه حوارا فلسفيا رائعا على السنة عدد من أعظم عباقرة العالم فى الفلسفة والادب والاصلاح الاجتماعى ، بعد أن أضفى عليـــه من المسحة القصصية ما يشوق القارىء ويعينه على هضم آراء هؤلاء الخالدين ، الذين من بينهم : هوميروس ، وسقراط ، وديوجين ، والاسكندر المقدونى ، وزرادشت ، وبوذا ، وليوناردو دافنتشى ، والفردوسى .. وغيرهم ..

ويدين قراء العربية بفضل اطلاعهم على هذا الكتاب القيم الى الاديب العراقى « الدكتور محمد بديع الشريف » ، الذى ترجمه الى العربية واطلق عليه « حوار العباقرة » ، وعن ترجمته اعددت لك هذا التلخيص لبعض فصول الكتاب الشائقة . والدكتور بديع اديب متمكن ، حصل على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة ، ثم على الدكتوراه فى التربية والآداب ، والدكتوراه فى الحقوق ، من جامعات سويسرا والمانيا . وقد شغل من قبل منصب الملحق الثقافى بسفارة العراق فى مصر ، ومنها نقل الى منصبه الحالى كمدير للمعارف العامة ببغداد .. و « كتابى » يحيى فيه - نيابة عن قراء العربية - الجهد الذى بذله فى تعريب هذا السفر الجامع

القــوة

◆ فى الحوار الاول ، يدور حديث بين شاعر اليونان الذائع الصيت « هوميروس » ، واحد رعاة الغنم ، يظهر آراء صـــاحب « الالياذة » و « الاوديسا » فى الانسان الكامل ، وفى أن التربية لا تكون بالعنف، وانما بتفهم الميول النفسية !

هوميروس : قبل ستين عاما ، وقفت فى هذا المكان حين كنت حديدى البصر .. أما الآن ، فان تلك المشاهد تمر أمامى مرور الخيال ..

الراعى : ألست شقيا أيها الأعمى ؟

هوميروس : ما أنقص العمى منى شيئا .. فقد رأيت كل شىء استطعت أن أراه ، وحفظت ذلك سالما من المصائب التى القتها على الأيام ، بل لقد زاده الحفظ جمالا .. على أن فقدان البصر قد زاد بقية الحواس قوة على قوتها !

الراعى : أتستطيع أن تخبرنى من هو الانسان الكامل ؟

هوميروس : انك ترعى غنمك فوق هذه الأرض المجدبة التى كانت قبلا تنبت أشجار الزيتون ، وتموج بحقـــول القمح ، وحولها بيوت العاملين المجدين .. ومن حول ذلك مساكن الوجهاء ، وقصور الاثرياء ، التى كانت مراتع للهو ، ومواطن للمجد ، ثم اقفرت وأجدبت .. غيرت معالمها حرب دامت سنين طوالا ، كان فيها قتل لا يعرف رحمة ولا يرعى ذمة : سلب ونهب وحريق وتدمير ..

الراعى : لو عرفت قصيدة هوميروس ، ماكنت اتهمت ذلك العصر المجيد ، فان الآلهة وأولاد الآلهة كانوا يجولون فى هذه البطاح ، ويكافحون لجلب الخير وطرد الشر !

هوميروس : وا أسفاه ، ان هذه الآلهة كانت مزعومة ، وكذلك الأبطال .. انا هوميروس نفسه الذى تخيلهم .. أنظر الى السماء ، فانك لن تجد الا فضاء فارغا ، وانظر الى الشمس فانك لن ترى الا كرة ملتهبة ، ثم مد بصرك الى البحر فلن ترى سوى أمواج متلاطمة .. لقد خلقت لك آلهتك من الماء المتموج ، والهواء الفارغ ، ثم أصبح كل ذلك حقيقة لا غبار عليها فى نظر الناس ، ولو ان ما قيل فى ذلك كان جهالة جهلاء ، وضلالة عمياء !

الراعى : انك أعمى فقير .. ولكن حدثنى عن هذه القوة التى تعيش بها بين الناس !

هوميروس : اذا احتفل أولو الفضل والسعة وأولموا ، جئت القوم فغنيتهم بأمجاد السلف ، وأعمالهم ، وعاداتهم ، فأنتقل بهم الى عالم مملوء بالأعمال المجيدة ، فتنشرح صـــدورهم ،

١٧٤٤

وتتفتح نفوسهم ، وتدر أيديهم ، فينفحوننى الدراهم ،ويقدمون لى الطعام ..

الراعى : انها حرفة نافعة .. وقد لا تعرف أى أثر تترك أغانيك ، وكيف تغير كثيرا من الآراء والعقائد والعادات .. لقد بحثت كثيرا عن هذا الرجل الذى يمثل هذه القوة التى تعرفها .. انك تعلم اننى من الدهماء الرعاع ، وان السيد اذا أمر أحدنا بعمل ، قمنا به على أتمه مادام السيد موجودا ، فاذا غاب ، وأردنا أن نهمل ذلك .. فعلنا !.. ولكن أمثال هذا المغنى هم الذين ينفذون الى قرارة نفوسنا ، ويعرفون أى طريق يسلكون اليها ويلقون فيها بما يريدون ، فيخلبونها ، ونقبل عليهم طائعين ، ونصغى الى تعاليمهم فننجزها بسرور لا مزيد عليه ، ثم يظل ذلك الأثر باقيا حتى بعد مماتهم !

العاقل

◆ **كان سقراط من عظماء مفكرى اليونان ، وكان يعلم الناس حقيقة الحياة العملية ، ويلقنهم الفضائل مما يتداولونه فى هذه الحياة ، حتى اتهم بافساد عقائد الفتيان ، واجبر على تناول السم !.. وكان فى حياته شقيا بزوجته « كسانتيب » .. التى يبدأ بها هذا الحوار بينه وبين شخص ابتدعه خيال المؤلف واسماه السيبياد !**

سقراط : أتعتقد أن سقراط تزوج كسانتيب، ولم تتزوج كسانتيب سقراط ؟.. وماتظن فيها ؟.. هل فكرت فى أمرى حين تزوجتنى ؟

السيبياد (ضاحكا) : ظنت انها تزوجت رجلا مجدا ، يكسب رزقه ويحمل اليها الدراهم لتعيش فى ظله مع أولادها .. أما اليوم ، فهاهى ذى قد أعلمت الناس جميعا انك رجل عاطل ، تقضى نهارك فى حوار ومرح مع الفتيان ، بدلا من أن .. تعكف

على عملك . وما أراها على حق ، ولكن لها أن تقول انها امرأة نقيرة تريد رجلا يعمل ويكسب ، لارجلا يتفلسف ..

سقراط : لعلها تريد قصابا أو خبازا .. ألا تراني على حق حين أقول انها امرأة غبية ، حمقاء !

السيبياد : لا .. لكن لك أن تقول : اننى رجل تأمل ، فرأى نفسه محتاجة الى زوج هادئة ، مرحة ، راضية ، اذ فى ظل هذه المرأة يمكن للمرء أن يفكر

واقبلا على السوق ، فاذا فلاحة عرفت بانها تربى الدجاج ، وتبيع البيض ، وتفخر بانتاجها !

سقراط : أتدرى بماذا أوحت هذه المرأة الى « ارسطوفان »؟ (شاعر عرف بشعره التمثيلى الهزلى) .. قال : دعونا نذهب الى دار هذه المرأة ثم نسأل دجاجها لنرى ماذا يقول .. اننى لا أشك فى انه يقول : « اننا بين يدى امرأة صالحة ، تنثر لنا الشعير المقشور فى وقت محدود عند الصباح وفى الظهيرة ، وتخلطه بحبوب البقول اللذيذة .. واذا قدمت لنا الماء قدمته عذبا صافيا ، وفى كل عام تطلى بيتنا بالكلس مرة أو مرتين !.. وخلاصة القول اننا راضون عن هذه المرأة ، ولا نريد امرأة كسلى لا تحب النظام ، لاننا ما تعودنا الاهمال والفوضى » !.. هكذا كان ينشد « أرسطوفان » فى شعره ، فكلكم ضحك به ، وسخر منه ، لانه استطاع ان يعبر عن أفكار الدجاج ..

وتبين سقراط ان المراة تعرض دجاجا مذبوحا ، فتقدم يسالها هل الأنفع لها ان تبيع الدجاج مذبوحا ، او ان تعنى به لتحصل على بيضه وتبيعه فى السوق ؟!

الفلاحة : واحسرتاه ! .. ان هذا الدجاج الخائن كاد يقضى على من الحقد والموجدة . فقد غرقأت احداهن (أى باضت بيضة لم يتكامل قشرها) فأكل الدجاج غرقأتها واستذوقها، وأخذ ، كلما باضت دجاجة ، ينقر البيضة ليأكلها .. فما حصلت بعد هذا على واحدة . لهذا ذبحته !

وابتعدا ، فسال سقراط صاحبه عما يعتقد فى الدجاج ان يقول لو انه تكلم ساعة ذبحته المراة

ألسيبياد : انه يقول : « ان هذه المرأة الخائنة قد ذبحتنا .. انها سفاكة .. كان علينا ان نعرف نياتها من قبل » !

سقراط : ماذا تظن .. هل تغير الدجاج .. أم تغيرت المرأة ؟

ألسيبياد : ان الدجاج هو الدجاج ، والمرأة هى هى ، ولكن كل من فى هذه الحياة يعتقد أنه هو الموجود الاهم .. وليس هذا فحسب ، بل على غيره ان يشاركه هذا الاعتقاد .. على ان غيره هذا يعتقد كما يعتقد الأول : يعتقد ان الدجاج كان صالحا عند المرأة لانه كان ينتج لها البيض ، فلما احتفظ الدجاج ببيضه لنفسه ، أصبح خائنا !.. وكانت المرأة صالحة حين كانت تقدم للدجاج الطعام ، فلما ذبحته عادت سفاكة خائنة !

سقراط : قسما ، ان الأمر يجرى هنا كما يجرى بينى وبين زوجتى كسانتيب !

ألسيبياد : ألا يحتمل ان تنشأ العداوة والبغضاء بين الناس ، كما نشأت بين الدجاجة والمرأة .. بل مثل ما بين سقراط وكسانتيب أيضا ؟

سقراط : ربما يكون الامر كذلك

السيبياد : لكن ، أيترك الرجل العاقل الناس يشتمون ، ثم يعمل ما هو الواجب ؟

سقراط : هذا ما أعتقد !

الحرب

◆ **وهذا حوار جميل بين الاسكندر المقدونى ، و «ديوجينيس» ، الفيلسوف الاغريقى الزاهد ، يظهر لنا معنى الحرب لدى الملك الطامح ، ومعناها لدى الفيلسوف القانع**

الاسكندر : اننى مثلك قانع اذا نظرت الى نفسى فقط .. فأنا اكتسى بالجلد ، وأنام على الحشايا ، وأجلس على موائد الجنود .. ولكنك تعلم ان فى النفس حاجات يتمنى المرء ان يحققها .. انى أحب الانسان الجميل ، وأحب الزهر ، وأحب الحرير والذهب والتماثيل ، وأشياء اخرى لها تأثير ينسى المرء نفسه عند مشاهدتها .. ان فى النفس حاجات بعيدة كل البعد عن نفس الفيلسوف

ديوجينيس : ما الانسان الحقيقى الا فيلسوفا !

الاسكندر : صدقنى يا ديوجينيس انه لا يوجد مجد يفوق مجد الحرب ! .. لن أرى الحرب قتلا للرجال أو قهرا للعباد .. اننى كلما تصورت تعبئة الجيش .. وأنا أتقدمه رافع الرأس ، عالى الصدر ، أخذتنى هزة الطرب للمجد . أتظن اننى أريد بعد ذلك ان أسفك دما أو أقهر انسانا ؟.. كلا ! انما أريد ان يستقبل صدرى سهام الرماة وسيوف الكماة ورماح الفرسان !

ديوجينيس : هذا هو الجنون أيها الملك . ان فى كل كائن حى غريزة تبعث فيه حب الحياة والدفاع عنها

الاسكندر : ان قولك حق ، ولكنى لا أعرف مكمن هـــذا الباعث الذى يحبب الى هذا الامر . ان الحرب ثرثرة ، ولكنها

١٧٤٨

ثرثرة يعقبها مجد ! .. انى زاحف الآن على بلاد العجم .. وسأفتح الممالك .. انني أريد ان أفتح الممالك المملوءة بالذهب ، والعاج ، والابنية الشاهقة .. التى لا ترى أمثالها فى بلاد الاغريق .. ستسمع اذناى مالم تكن سمعت، وترى عيناى مالم تكن رأت .. أليس هذا مغريا ؟ .. أليست السعادة فى مثل هذا ؟ .. تمن يا ديوجينيس

ديوجينيس : لا أتمنى شيئا !.. انما اريد ان تتحول عنى قليلا لتترك لى شعاعا من أشعة الشمس !

الحرية

◆ ولد « ايبا » مؤسس مصنع زايس بالمانيا سنة ١٨٤٠ ، وتوفى سنة ١٩٠٥ .. وكان استاذا بجامعة « ينا » ، وكان لبحوثه اثر عظيم فى تقدم صناعة العدسات . وقد جعل لعمال المصنع نصيبا فى ارباحه ، جعلهم يعملون على تقدمه . وهذا حوار بينه وبين كاهن فى ساعة احتضاره .. فى منتصف الليل

ايبا : ان الخط الذى يمثل وقوع الجرائم يمتد موازيا للخط الذى يمثل أسعار مواد العيش .. (يسمع صوت غناء فى الشارع من ثملين) انهما عاملان من عمالى يغنيان .. انك ترى كيف يتصرفان بوقتهما كما يفعل التلاميذ . لقد زدت أجر العمال كى يتمكنوا من تقليد الطلاب !

الكاهن : ان أبناء الطبقات الفقيرة يقلدون دوما أبناء الطبقات الغنية !

ايبا : نعم .. ولذلك عشت كما ترى .. ودبرت منزلى مع اسرتى كما يدبر منزله رجل من عامة الناس ، وصرفت معظم دخلى لحماية العلم ، ولم أوص فى وصيتى لأولادى الا بالنزر القليل ، ووقفت معظم مالى على المصنع لخير العمال والعلم . لقد أردت أن يعيش العمال كلهم مثل معيشتى ، وظننت ان العلم يحرر بنى الانسان . كذلك ظننت انى

حررت نفسى ، ولكننى ما كنت حرا ‥ لقد كنت عاملا يربح ربحا عظيما ‥ ومع ذلك كنت فخورا بالفضيلة ٠ اما الآن ، فقد وضح عندى ـ وأنا على فراش الموت ـ ان العلم يكون به بنو الانسان حياتهم الخارجية ، وهذا لا يمكن ان يكون تحررا ٠ ان الأمر منوط بالناس أنفسهم ‥ ماذا يريدون ان يفعلوا بالحياة الحرة ؟ ‥ الواقع ان أكثرهم ينغمس فى العبودية !

الكاهن : هل أردت ان تكون حـرا ؟‥ ان المرء هو الذى يقيد نفسه ٠ ان من يريد ان يكون حرا فعليه ان يحرر نفسه من « ذاته » ٠ انك عرفت ذلك ورغبت عن كثير من حاجاتك ، ثم قمعت نوازل الاطماع فى نفسك ، ورسمت لها وضـعا تعيش فى دائرته وتعتقد انه فضيلة ‥ ان المرء يستطيع ان يحرر نفسه من « ذاته » فقط ، ولكن ، ما الذات ؟ ‥ انها مجهولة لدينا ٠ اننا لا نرى الحبال التى أوثقتنا بها ٠ الحيوان الاعجم هو الذى لا يعرف العبودية أو الحرية ‥ أما نحن البشر فقد جعلت لنا الحرية « وظيفة » يراد منا حلها وفهمها ‥ هذا هو معنى حياتنا ‥ ان نحل هذه الوظيفة !

ايبا : ان لها حـلولا كثيرة ، ولكل انسان حل واحـد فقط ‥ أما أنا فلم أجد الحل لوظيفتى بعد ٠ أيكون يأسى حلا؟

الكاهن : فلتنس انك أردت أن تفعل الخير !‥ وفكر فى روحك التى وجب عليها أن تسلك طريقا تلائمها ٠ لقد أودع الله فى الانسان كل شىء : أودع الخير والشر ، والصواب والخطأ٠ فاذا قدر لك الله محلا فى الحياة فانك لا تستطيع أن تخرج منه٠ انك لن تسير الا فى طريقك الذى رسم لك !

المجد

◆ **كان « فردريك هيبل » من فحول شعراء الالمان فى القرن التاسع عشر ، وكان يعنى بالميول النفسية ، ويجعل لها المحل الاول فى قطعه**

المسرحية ، ويوحى الى ابطال قصصه بروحية الانسان الكامل . وفى هذا الحوار — بينه وبين فتى ثرى وآخر فقير — يتحدث عن المجد !

هيبل (للفتى الثرى) : قص علينا حكيم صينى مثلا عن فنان ابتكر عملا بديعا ، فأجمع الناس على أنه من صنع الشيطان. وقد سأله القيصر عن سر الابداع فيه ، فأجابه : « حين عزمت على العمل ، منعت نفسى من أن ينفذ اليها ضعف يحول دون استثمار قواها ، وجمعت قواى حتى أستطيع أن أهيىء لفكرى فضاء هادئا يستريح فيه .. وبعد ثلاثة أيام نسيت كل شىء يتعلق بما يمكن أن أناله من أجر .. وبعد خمسة أيام نسيت كل مجد يمكن أن يصيبنى من وراء ذلك .. وبعد سبعة أيام نسيت هيكلى وأطرافى . وهكذا تحرر فنى من جميع العوارض، ثم ذهبت الى الغابة العليا ، وشرعت أتأمل هياكل الأشجار فيها، حتى اذا وقع نظرى على شجرة معتدلة القوام تراءى لى فنى فى هذا الجمال فبدأت عملى . هذا هو السر الذى ظن الناس أنه من صنع الشيطان !

وشكا اليه الفتى الفقير مايقاسيه من الزمان .. فهو مدرس يعانى من الرؤساء ، وتهفو نفسه الى مجتمع يلائمه ، فيطرى «هيبل» قصائد الفتى ، وينبهه الى انه تعوزه التجارب فى اظهار مايريد ، ثم يسفه له مجالس الامراء وعلية القوم

هيبل : اننى أتصور ان مجالسهم لا تختلف عن مجالس الدهماء !.. وقد يترفعون عن اتيان الرذائل ، الا أنهم مع ذلك مأفونون .. انهم تابعون لرؤسائهم الذين يسيئون اليهم ، ومع كل هذا لا يفهم هؤلاء القوم شيئا من عملهم . اننى تابع لقوم لا يفهمون شيئا مما يعملون : هم أصحاب دور التمثيل ومحررو الصحف . انهم يقفون منى موقفا لا يقفه الموظف من خادمه . اننى أعيش من كد زوجتى التى تحترف التمثيل كما تعلم . ولو لم تعمل زوجتى لكسب عيشى لاضطررت الى أن أضحى بوقتى فأكتب فى جريدة من الجرائد . أما أنت ، فاننى

لا أظنك تطلب شيئا لا ينال ٠ انك تريد الحرية ، وهذه لا ينالها الا الفنان ٠ ان الحرية شيء لا وجود له فى الخارج ٠٠ انها تكمن فى المرء نفسه ٠ والحر هو الذى يريد أن يكون حرا !

الفتى الثرى (ممتعضا) : لكن ايها الطبيب ٠٠ والمجد ٠٠؟

هيبل : المجد ؟٠٠ اذا مضى على موتى خمسون عاما فسوف أناله !٠٠ المجد ! ان المجد لا يكلل الا من لا يستحقه ٠ أما الذى يحتقر المجد فهو الذى يستحقه ! ٠٠ لما كنت شابا مثلكما ،كان المجد يتراءى لى شيئا محبوبا ٠٠ انك تسألنى دوما عن المجد ، وقد قلت لك مرارا : ان المجد حماقة اذا كان فى وسام أو لقب، أو اذا كان الأغرار البلداء يمدحون عملى ويثنون عليه ٠وبعبارة أوضح ٠٠ ان يقرأنى فتى غر مولع بكتابتى ولا يفهمنى !٠٠ان فكرة المجد تستقر فى ناحية واحدة ، تلك هى : أن يجد المرء مجتمعا يلائمه ويفهمه ، وألا يعيش بمعزل عن الناس كماكان قبلا ، وان يصل بعد عمل حى طويل الى السعادة التى ينشدها ٠٠ تلك هى ان يحيا فى نفس كل فرد من بنى وطنه ٠ لقد كان لى فى الماضى مجتمع ، وسوف يكون لى فى المستقبل مجتمع آخر !

الخلود

◆ كان «زرادشت» مصلحا دينيا ايرانيا ، قيل انه عاش حوالى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد ٠ وكانت عقيدته مبنية على : النور ، والظلام !٠٠فاله النور واله الظلام فى صراع دائم ، ومن آمن باله النور وعمل صالحا ،فانه يخلد ويعيش حياة رضية ٠ ومن آمن باله الظلام ، نزل الى الدرك الأسفل وبقى معذبا متالما ٠ وفى هذا الحوار عرض لآراء زرادشت عن الخلود !

زرادشت : كنت ذات ليلة سائرا فى سهل مترامى الارجاء ، فسمعت همسا ، فأصغيت ، فاذا هى الأرض تقول : « اننى أنبت العشب فترعاه الأنعام ، وأنبت الأشجار فيقطعها الانسان ويتخذها وقودا ، فأسكت دوما على مايفعلون ٠ ان

الكائنات الحية ترى الساكت جمادا ، وماكان جمادا فهو مباح يأخذه من يشاء . فلماذا خلقتنى ياربى وأوجبت على أن أتجمل بالصبر ؟ » !.. وسمعت وحى الاله ينزل الى فؤادى مجيبـا سؤال الارض : « هكذا خلقتك ، وعليك أن تتجملى بالصبر والسكوت كى تأكل الأنعام عشبك ، ويقطع الانسان أشجارك »! .. فقالت الأرض : « ربى ، اذا كنت خلقتنى لهذا ، فلك الحمد على ماصنعت ، ولك منى الصبر والسكوت »

فيستاسبا (أمير) : لقد قلت كلاما كثيرا ، لم يعرفه أحد من قبل أن تقوله . أما الآن فقد عرفه الناس، وسوف يرددونه. ان كلماتك سوف يحفظها الناس ولا ينسونها . واذا مرت عليهم آلاف السنين فسوف يعرفونها ويرددونها أيضا . ولكنهم اذا طال بهم الامد فلن يعلموا انها كانت من كلماتك .. فبماذا تنفع هذه الذكرى اذا لم يعرف الناس ان قائل تلك الكلمات زرادشت .. وبماذا تنفع الذكرى اذا انهارت سلطتى عندانطفاء حياتى ؟!

زرادشت : ان السلطة تنهار عندما تنطفىء الحياة ، لأن السلطة لا تقوم الا فى الوجود الحقيقى .. ان كلماتى حقيقية مثل سلطتك ، غير انك قلت ان كلماتى لن تنسى . وقد يحدث انها تنسى ، أو تحرف ، أو لا تفهم . ولكنها لم تكن الشىء المهم .. فالمهم هو ذلك الشىء الآخر الذى لم يكن حقيقة ، والذى لا يمكن ان أقول عنه أكثر من انه ليس حقيقة !

فيستاسبا : وانت تعنى بهذا الشىء الآخر انه فيك ، أو أنت هو ؟

زرادشت : حين كنت أمشى تلك الليلة فى ذلك السهل ، وسمعت ماهمست به الارض ، وما أوحاه الله الى فؤادى فى جوابه اليها ، لم أكن أنا الذى سمع ذلك .. ومن نقل اليك ذلك الكلام ومن يتكلم الآن هو أنا !.. ان ذلك السامع ماكان الا وعاء صب فيه شىء ما .. شىء لم يكن حقيقيا ، لأن الحقيقة

ان الأرض لم تتكلم ، وان الله لم يلهم قلوبنا • فاسأل الناس هل سمعوا مثلما سمعت ؟•• انهم سيضحكون ويقولون : « ان زرادشت فيلسوف تأمل ثم ابتدع فكرة جديدة فسلكها فى خيال شعرى ، أو انه احس بها فنظمها من فوره شعرا »•• ويقولون : « ان الارض فيها نواة ملتهبة ، ولها قشرة صخرية يابسة ، غير المطر والهواء وجهها فنشأت صفحة الأرض التى أنبتت العشب والأشجار » • هذه هى الحقيقة التى ينطق بها هؤلاء الناس ، وانهم على حق فيما يقولون

فيستاسبا : انك تقول : « ان هذه هى الحقيقة » •• فاذا كان الامر كذلك ، أفلا يجب أن يظهر تأثيرها ؟•• ان سلطتى تتلاشى بعد موتى ، وربما يختفى اسمى أيضا •• وكذلك الأمر بالنسبة لك ، فكيف ؟•• ان كل مؤثر لابد أن يستمر تأثيره •• فالقوة لا تتلاشى •• ان سلطتى تتلاشى اذا مت •• وكذلك اسمى ، ولكن مافعلته هو الخالد ، لأن كل مؤثر جديد يحدث دائما عن مؤثر جديد آخر !

زرادشت : انك على حق ، فان كل شىء حقيقى يكون حقيقة ، وكل علة تكون لها نتيجة ، ثم ان هذه النتيجة تكون علةلنتيجة أخرى جديدة • ولكن تأمل فى نفسك ماقلته ، تجد انه لم يكن ماكنت تعنيه حين كلمتنى بصوت شجى ، وحين كنت تحن الى الخلود دون أن تلفظ هذه الكلمة • أى عندما قلت هذه الكلمة شعرت بها وقصدت أن زرادشت خالد •• ان زرادشت خالد مادام هو تلك الأرض الساكنة ، ومادام هو القمر الهادىء ، والحيوان الأعجم ، ثم هو بعد : الانسان !

المحبة

◆ كان « سيربيرو دافنتشى » ـ والد الفنان الايطالى الموهوب « ليوناردو دافنتشى » ـ كاتب عدل فى (ميلانو) ، فى اواسط القرن الخامس عشر • وقد ترك « ليوناردو » تحفا فنية تفصح عن عبقرية نادرة • وفى

هذا الحوار الذى يصور العلاقة بين الاب والابن ، يروى « سيربيرو » لابنه كيف وقع فى هوى الفتاة التى صارت فيما بعد اما للفنان ، وكيف انهما فى رعونة الهوى انجبا احد الخالدين !

سيربيرو : ان الجانب الواضح لفعلتى كان رعونة ، ولعله لم يكن واضحا . والحقيقة فى ذلك انه كان غراما يسير فى ليلة ظلماء ، لا يهدف الى غرض . وكان يدفعنى الى السير فى ذلك الطريق الموحش — الذى التقيت فيـــه بالفتاة — نداء روح تريد أن تستقبل هذا الوجود .. هى روحك يابنى !.. وذلك الحب الذى كان يغمر قلب « كاترين » فأجلسها على تلك الصخرة تنتظرنى ، وهى تضطرب بالخوف وتسعد بالأمل ، ماهو الا حب الأم للولد الذى تنتظره .. اليوم تحقق لى أن طيشى فى أيام الشباب وحب « كاترين » الذى ساعد هذا الطيش ، أمر من عند الله لكى تولد روحك ..

ليوناردو : اننى أقبل يديك ياأبت ، فاننى الى اليوم لم أعرف معنى هذا كله !

سيربيرو : انك سوف تعرف ذلك حين تصير أبا !.. ستغرف كيف يرى الأب نفسه مطبوعة فى ولده ، وكيف يعرف نفسه فيه ، ثم يتأكد نجاحه فى صورته التى أظهرتها الطبيعـة فى طفله ، وكيف يتطور هذا الكائن الجديد الذى يستقبله وقلبه يخفق ، لأنه لا يعرف مايكمن فى هذا الجنين ، ولا يستطيع أن يسأل الغيب عما ستؤول اليه هذه النبتة ، ثم يقف على التل ويبتعد رويدا عن الحياة غير مكترث بنفسه ، ناظرا اليها ليرى كيف تتلاشى وكيف ينمو طفله .. اننى لا أموت وأنا انسان هنا الآن ! ولكننى باتحادى بك ، أتلاشى من حيث تنمو أنت !

ليوناردو : أيكون حب الاب لولده غير حب الأم لولدها ؟

سيربيرو : كل منهما يحب فى ولده ما له فيه : الاب يحب الروح ، أما الأم فتحب كل ماعدا ذلك ، ولذلك كان للأب الحق فى أن يحكم على ولده بالموت !

موت الفردوسى

◆ كان ابو القاسم منصور الفردوسى ، اكبر شعراء الفرس فى القرن العاشر ٠ وقد كتب « الشاهنامة » ـ وتتالف من ستين الف بيت من الشعر ـ بامر من الشاه محمود ، على ان يوهب عن كل بيت قطعة من العملة الذهبية ٠ وقد قضى فى تاليف كتابه ٣٧ عاما ، فلما اتمه ، ارسل اليه الشاه قطعا من العملة الفضية بدلا من الذهبية ، وكان قد فرغ من الاستحمام والساقية تقدم له النبيذ ، حين وصلت اليه منحة الشاه ، فغضب وقسم المال بين الساقية وصاحب الحمام ، وهجر المدينة هائما ينظم القصائد فى هجاء الشاه ٠ ثم عاد الى مسقط راسه (طوس) ، وعاش فيها حتى مات ٠ وفى ذات يوم ، كان الشاعر جالسا فى احدى الحانات ، تنادمه ساقية جميلة فى الثامنة عشرة من عمرها ، وتحكى له عن رؤيا تواتيها بين الحين والآخر ، ويخيل اليها فيها ان رجلا بشعا يراودها فترده ٠٠

الساقية : اننى فتاة حرة ٠٠ أليس كذلك ؟ لست ملكا لأحد ؟٠ اننى أستطيع ان أتصرف فى شئونى تصرف الأحرار

الفردوسى : عجيب !٠٠انها بغى وتتصرف فى أمرها كما تريد ٠ كيف ؟ أكانت حياتى حلما ؟ هل تصرفت فى حياتى مثلما أردت ؟٠٠ ان هذه البغى تفعل ما تشاء ، وأبصار الرجال تشخص اليها اذا تبخترت فى الأسواق ، فاذا امتدت اليها يد لا تريدها ثم أكرهت على ذلك ، أفاقت من حلمها ٠ هكذا تعيش حرة ٠٠ لقد كنت أفعل ما أشاء ، وما أجبرت على

شيء فى حياتى غير مرة واحدة ، ذلك حين أرسل الى الشاه محمود بستين ألف « تومان » فضى وما استطعت قتله .. وربما أردت هجوه ولم أرد قتله • لقد هجوته وسيبقى عاره الى الأبد ، حين يصبح اسمه طبلا فارغا .. ولو قتلته لاستيقظت من حلمى كما استيقظت هذه البغى !

الساقية : ان مجلسك اليوم ممل يا فردوسى

الفردوسى : كلما فكرت فى محمود صعد الدم الى رأسى ، واحمرت عيناى من الغضب .. فانه لم يعامل شاعرا مثل هذه المعاملة الشائنة التى عوملت بها .. ولم أستطع ان اثأر !

الساقية (تقف ثم تهرب) : انى أخافك يا فردوسى

طفل يمشى فى الشارع يتغنى بهجاء الفردوسى لمحمود :

واذا ابصرت ذا العرش الحكيم ... اشعث الهامة مغبرا سقيم
ادعوه : ربى اصله نار الجحيم ... واضىء قلبى بالنور العظيم

الفردوسى : ماذا أصابنى ؟ هل أفقت من حلمى ؟ هل هذا هو الموت ؟ (ثم اغمى عليه ووجهه يتهلل بشرا .. واسلم الروح !) .

الثراء .. والفقر

◆ كان بوذا اميرا ، ترك ملكه وجاهه وهو فى التاسعة والعشرين، وانطلق متقشفا ينشد المعرفة • واستطاع ان ينشىء مذهبا يدعو الى انكار الذات والترفع عن الشهوات والملذات ، واستهجان الفوارق بين الطبقات ، والحث على محبة الناس • وفى هذا الفصل ، تخيل المؤلف ان فقيرا جاء الى بوذا يطلب منه ان يسمح له بالانضمام الى تلاميذه .. وكان حطابا ، عثر زميل له على جرة مملوءة بالذهب تحت شجرة فاثرى ، اما هو فلم يواته الحظ !.. ومع ان زميله ساعده ليصبح تاجرا ، الا انه لم يوفق ، فعاد الى زميله ينشد عونه ، ولكن هذا انباه بان القدر لم يكتب له السعادة ، فعليه ان يعود حطابا ، اذ لا بد للمجتمع من حطابين يوفرون للناس الوقود !

بوذا : لم يكن صاحبك على باطل
الفقير : نعم ، ولكننى أسأل نفسى : لم يكون صاحبى تاجرا غنيا ، واكون أنا حطابا فقيرا ؟ أهذه عدالة ؟
بوذا : لا ، ليست هذه عدالة ..
الفقير : قلت لنفسى : ألم يكن باطلا ان يكون صديقى ثريا وأكون أنا فقيرا ؟ .. اذن العالم كله يستند الى الباطل. ان هذا غير ممكن ، ولا بد من وجود مساواة !.. ولكن بعد ان فكرت مليا ، وجدت ان صديقى ينوء بالهموم من جراء ثروته ، وهو يخشى خداع تاجر ، أو سطو سارق .. ثم عليه ان يتصنع الطلاقة للناس الذين لا يهمونه ، لكى يجتذبهم اليه .. وفضلا عن ذلك فليس عنده وقت كاف ليهتم بأسرته وتربية أطفاله .. والناس ينظرون اليه طامعين فى دراهمه ، فهو على حذر منهم جميعا ، مما يجعله سىء الظن ، ويتبع هذا كثير من الامور ! .. وأخيرا وجدت العالم لا يستند الى باطل .. اعنى ان الثراء له ضرر يعدل غيره ، وانني لذلك راض بفقرى !
بوذا : يحكى عن الثعلب انه عندما رأى ان العنب ليس فى متناوله ، قال : « اننى لا أريد العنب لان العنب حامض» !.. ألى باطل يستند العالم أم الى حق ؟.. انها مسألة فجة . ان الدجاجة تلتقط الدودة ، والثعلب يفترس الدجاجة . هذا هو الذى يجب ان يكون ، لان الدجاج يعيش على الديدان، والثعلب يعيش على الدجاج . ولكن الطبيعى ان الدجاجة لا ترضى ان يفترسها الثعلب ، كما ان الدودة لا ترضى ان تلتقطها الدجاجة ! .. ولو استطاعا الكلام لقالت الدودة ان الدجاجة ظالمة ، ولقالت الدجاجة ان الثعلب ظالم .. ولكن هذا هو رأى الدجاجة والدودة ، اذ ان الثعلب لا يعتقد ان الدجاجة ظالمة فى التقاطها الدودة .. وكذلك أنت .. فقد أردت ان تكون ثريا .. وقلت على المرء ان يقسم ثروته ،

١٧٥٨

ولما رأيت ان محاولة ذلك كانت عبثا .. عزيت نفسك
بقولك : انه لا يمكن ان اكون غنيا ، لانه متى كان المرء غنيا
أصابه ضرر كبير ، فمن الأفضل ان أظل فقيرا ، ولذلك
كذبت نفسك . ومهما يكن من شيء فانك توصلت الى الراحة
التى هى خير لأمثالك !

الفقير : ألم تر أيضا ان الحياة الدنيا متاع الغرور ؟

بوذا : اننى كنت ابن ملك ، وقد انتصرت فى احدى
الحروب ، ودخلت عاصمة ملكى .. وخلفى جيش يطيعنى ..
وبنات المعبد يرقصن فى الشوارع ، وزوجتى المخلصة
تنتظرنى .. الأثرياء وضعوا ثرواتهم بين يدى ، فكان كل
شيء أمامى ، وقلت لنفسى انه لم يبق لى رغبة لم تتحقق ..
ومع ذلك نزلت عن جوادى المطهم بالذهب ، ونزعت حلل
الديباج ، ولبست ثياب الوبر .. وتركت المدينة الى
الغابة بعد ان تخليت عن كل شيء .. أما أنت فلم تضح
بشيء . هذا هو الفارق بينى وبينك . ان العالم متاع
غرور لرجل مثلى ، لانى كنت أهدف الى شيء من وراء هذا
العالم أريد أن أصل اليه ، ووجدت ان كل شيء دنيوى
يقف فى طريقى . أما أنت فقد قلت انك وجدت لك سلوى
.. أتعنى انك تستطيع ان تصير بوذا ، لانك قلت ان
العنب حامض ؟!

حب النساء

◆ كان كازانوفا ـ فى شيخوخته ـ مفلسا ، بينما خليلته
« فرانشيسكا » فى البندقية تحسب الدقائق فى انتظار عودته حتى
تتمكن من دفع اجرة الدار ! .. وكان يجلس الى الدوقة العجوز
« اليزابيث ريكه » وهو مشتت الفكر لا ينصت الى حديثها ، ويتمنى
فى الوقت نفسه لو استطاع ان يقترض منها اربعة (دوكاتن)

الدوقة : أتأذن لى ان أزورك بين الفينة والفينة .. سوف

لا أزعجك مطلقا ، ولكن ما أحلاها ساعة أكون فيها بين يديك ، صديقة لطيفة ترعاك ، وتخفف عنك آلامك ، وتعنى بك فى أواخر أيامك !

كازانوفا : لقد قال همستر هويس (فيلسوف هولندى) : « أليس كافيا ان نعرف اننا نستطيع ان نبدأ شوطا آخر فى هذه الحياة ، وان الموت بدلا من أن يقطع هذا الشوط يحثنا على اتمامه ، لان الأمر منـــوط بقوة ارادتنا التى لا تنثنى ؟! »

وتدلف الى الغرفة فتاة تدعى « كلرشن » .. سنها لا تزيد على الثامنة عشرة .. جميلة لعوب .. وتقول ان اباها ـ الذى يعنى بحديقة قصر الدوقة ـ وضع الورد الذى اوصى به كازانوفا فى عربة الدوقة ، وامرها ان لا تعود بدون ثمنه .. فيصيح فيها كازانوفا مغضبا ، فتبكى

الدوقة : أيها الصديق العزيز .. انك فى حيرة ، هـــذه الساعة .. شعورك النبيل .. وآراء همستر هويس .. ان حقيقة حالى لا تختلف عما أنت عليه (تضع أربعة دوكاتن على المكتب وتنصرف مسرعة)

كلرشن (فى استحياء) : أيها الســـيد .. ان أبى قد هددنى وسيضربنى ان لم أعد اليه بثمن الورد

كازانوفا : أيضربك ! أيتها الطفلة المسكينة ! .. (يمسح خديها بيده ويضمها الى صدره ويجلسها فى حجره)

كلرشن : أيها السيد كازانوفا .. ماذا نصنع لو رآتنا أعين الرقباء ! .. هذا عجيب ! .. اننى أرى عنـــدك مالا وفيرا .. فان عينى لم تقع بعد على مثــــل هذا . ولكن لا اكذبك .. عندى (دوكاتن) واحد أدخره ..

كازانوفا : أتريدين هذه الأربعـــة ؟ .. هاهى ذى .. خذيها ودعينى أقطف من هذا الجمال قبلة !

كازانوفا (بعد ان تخرج الفتاة) : ما أبدعها من طبيعة !..

١٧٦٠

(يتناول رسالة فرانشيسكا المؤثرة) : « .. لقد ألصقنى العوز بالتراب ، وعيناى لا تنظران الى أحد سواك » .. أجل .. ان فرانشيسكا مسكينة ! .. ألا يحتمل ان تكون كلرشن قد أحبتنى أكثر منها ؟!

ولكن كلرشن عادت مع خطيبها يشكرانه ، فان الدراهم التى حرم منها فرانشيسكا ليهبها للفتاة ، اجتذابا لقلبها ، أكملت ما كان ينقصهما كى .. يتزوجا !

الفوضى

◆ **يدور الحوار التالى بين « كريشنا » ـ الذى كان اميرا هنديا بلغ من صلاحه ان اتخذه قومه الها ـ و «ارجونا» ، احد ابطال الأساطير .. انهما يمثلان الاله والانسان ، اللذين يبقيان على مر العصور والأجيال والأحداث !.. وفى نفس الانسان شك لا يلبث الاله ان يحمله على ان يصارحه به**

أرجونا : اذا ولد اله من آلهتنا فى السماء ونزل الى الأرض وعاش بين البشر ، فانه يطلع على أكاذيبهم ، ولكنه لا بد ان يعاملهم كأنه يثق بهم ، لانه يعيش بينهم .. ما أصعبها حياة تلك التى يحياها اله بين البشر !.. انه يتركهم يخدعون بعضهم بعضا ثم يمر بهم مبتسما ، غاضا بصره عما يفعلون !

كريشنا : أجل ! .. هذا خلق الهى !

أرجونا : اننى سأحدثك عن سيرة رجل من أبناء هذا العصر اسمه « ألكسندر دوماس » ـ يقصد أديب فرنسا فى القرن التاسع عشر ـ انه من أبلغ كتاب الروايات ، بيد ان فى أعماق نفسى شعورا قويا يجنح بى الى احتقار هذا الانسان ، دون ان أعرف لذلك سببا .. اذ اننى كلما أمعنت النظر فى حياته وجدت فيه خلقا ساميا من أخلاق الآلهة !

ويروى « ارجونا » كيف ان « دوماس » وصل الى باريس فقيرا ، لا يملك غير عشرين فرنكا ، فاستطاع بمواهبه ان يكسب الكثير ، ولكنه بسط يده كل البسط ، ولم يرد طالب حاجة ، حتى انه لم يكن يملك ـ حين ادركه الموت ـ سوى عشرين فرنكا ٠٠ فضحك وقال : لقد جئت لا املك سوى عشرين فرنكا ، وهاهى ذى باقية كما هى ، والناس يلومونني ويزعمون اننى مبذر ٠ أليس هذا خلقا الهيا ٠٠ ان اترك الدنيا بمثل هذه النكتة ؟!

كريشنا : كان دوماس يستصغر النـــاس ، ويحبهم لانه يستصغرهم ٠٠ وللمرء ان يسمى مثل هذا الرجل الذى يموت ميتة كهذه ، وتنتهى حياته بمثل هذه النكتة : « مصحصحا » ، لا يكترث للحياة ٠٠ (والمصحصح هو الرجل المهرج)

أرجونا : ما زلت فى شك من أمر ديماس ٠٠ ان دوماس ليس شاعرا ، وانما هو كاتب له مواهب شاعر ٠ وكثيرا ما فكرت فى ان له روح الشاعر أيضا ٠ ولكن أين يكمن النقص فيه ؟

كريشنا : لقد ضرب المسيح يوما مثلا برجل أعطى عبــده دينارا لكى يصير العبد مرابيا ٠ وانك لتقول ان لدوماس مواهب الشاعر ، فهل رابى بهذا الدينار ؟

أرجونا : كلا ! ٠٠ لقد بسط يده فقعد ملوما محسورا ٠٠ لو ان هذا الرجل جمع مواهبه وضم بعضها الى بعض لأتى بشىء بديع ، ولقد أخطأ لانه لم يفعل !

كريشنا : هل هذا الخطأ ذنب ؟ أيستطيع المرء بعده ان يحترمه ؟ ٠٠ اذا نزل الاله على الارض ورأيت الناس يكذبونه وهو يبتسم ، فاعلم انه راض عنهم ، وانه يفعل ما تقتضيه وظيفته ! ٠٠ ان الشاعر الحق هو الذى يصور فى شعره حال القوم الذين نشأ منهم وبينهم ، فيكون شـــعره قطعة من طبيعته ٠٠ أما دوماس ، فانه لم ينظم شعرا ينبع من طبيعته ! ٠٠ لقد لقنتك ان : « اكمل واجبك ولو خذلتك فيه قوتك ٠٠ اذا أديت واجبك كما تتطلبه حرفتك فقد أبرأت ذمتك ٠٠

لا تتركن واجبك الذى تفرضه عليك حرفتك ، ولو كانت هذه الحرفة خاطئة ·· ان الخطأ يغطى كل فعلة كما يغطى الدخان لهيب الشعلة ! »

أرجونا : قولك الحق ! ·· واننى لأعتقد ان هذا الرجل صورة أصيلة لعصره ·· فمن أين صيغت قواعد أخلاق هذا العصر ؟

كريشنا : أتريد أن تعرف موطن العلة ؟ ·· لقد عميت أعين الناس وصاروا لا يرون واجبهم فى تنظيم حياة الفرد فى نوعه ، ومواهبه ، وثروته ، وطبقته · واستبدلوا الفوضى بالنظام والنواميس ، وشاعت هذه الفوضى بين العامة فأفسدت خلقهم ، وأغرت الخاصة فانغمروا ·· وهكذا تحطمت الجهتان، فان الدهماء يعتقدون ان هذه الفوضى صارت نواميس تنفع الانسانية ، واختفى لذلك منهم التواضع ·· أما الخاصة فقد شق عليهم العمل ، وأغضوا عن اتباع الاغراء الذى يجذبهم الى الترفع ، وأخذوا يبذلون شطرا من طاقتهم ليحافظوا على بقائهم فى بحران هذه الفوضى !!

كتاب البحث الطبى

فى الأمراض البولية والتناسلية المستعصية وتضخم البروستاتا التى هى سبب العلل فى جسم الانسان ·· وطريقة علاجها بجهاز فهجر الذى لا يستعمله الا مخترعه مؤلف هذا الكتاب الدكتور فهمي جرس ٧٨ شارع الجمهورية (ابراهيم باشا سابقا) ، ت ٥٦٢٠٤
ويطلب من المؤلف (٥٠ مليما)

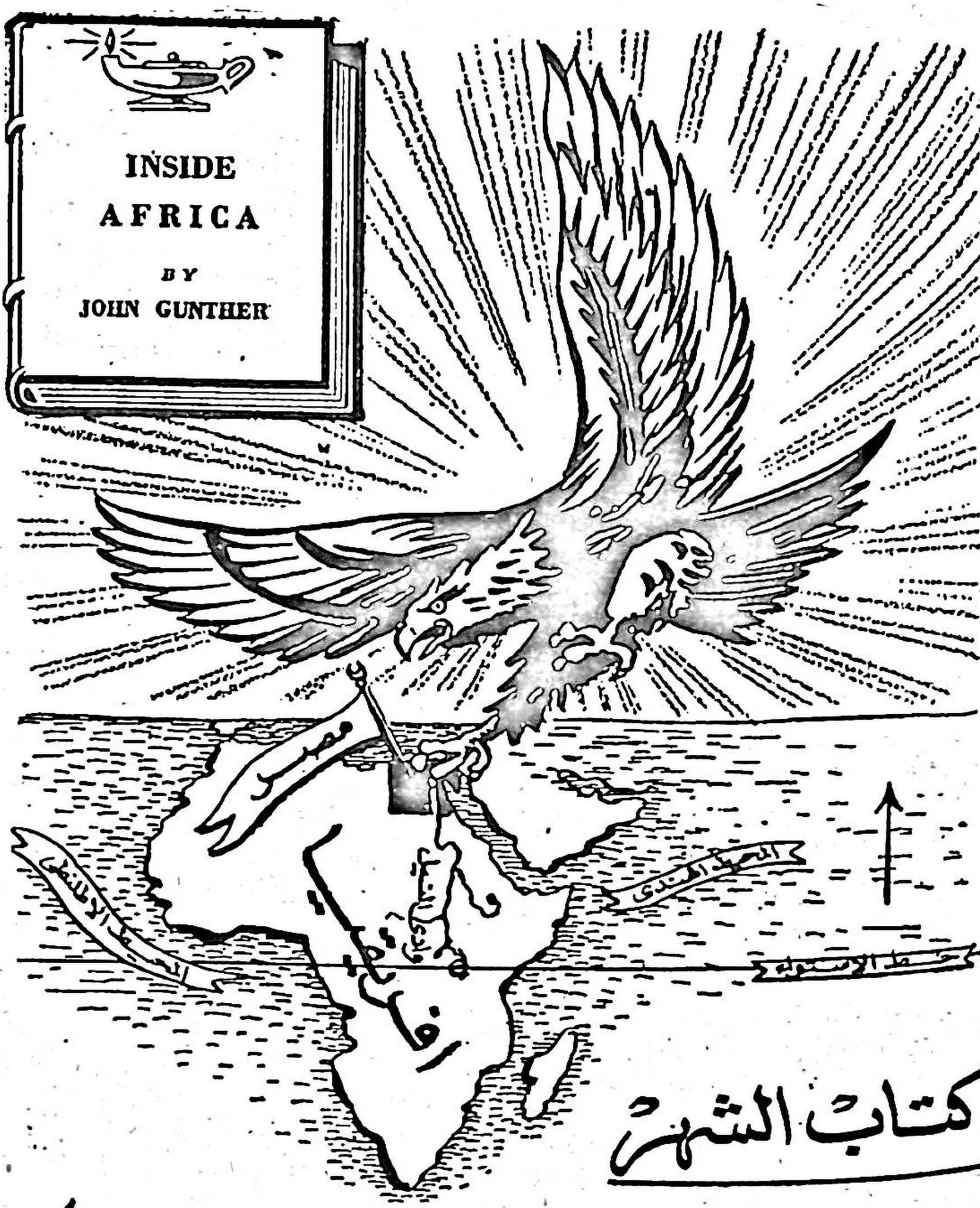

كتاب الشهر

فى داخل إفريقيا

(نهضة مصر فى عهد الثورة)

للكاتب الأمريكى الكبير "چون جنثر"

الكتاب الذى يقرأه العالم هذا الشهر

◆ استطاع « كتابى » فى الساعات الاخيرة قبيل مثوله للطبع ، ان يحصل على نسخة من هذا الكتاب الجديد الذى صدر فى امريكا منذ نحو اسبوعين ، ونقلت البرقيات مقتطفات منه نشرت فى ابرز مكان من الصفحات الاولى لأكبر صحف العالم ، نظرا لما يتمتع به مؤلفه من مكانة سياسية وصحفية « عالمية » احرزها منذ اكثر من خمسة عشر عاما حين بدا يصدر سلسلة كتبه المشهورة عن كل قارة من القارات ، ودولها ، وشعوبها ، وزعمائها ، واحوالها السياسية والاجتماعية .. الخ .. وقد كان الكتاب الاول من هذه السلسلة بعنوان : « فى داخل اوربا » ، ثم تلاه اشقاؤه : « فى داخل آسيا » ، و « فى داخل امريكا اللاتينية » ، و « فى داخل الولايات المتحدة »

.. واليوم جاء دور قارتنا الشاسعة « افريقيا » ، فصدر عنها هذا الكتاب الجديد الذى هو اضخم كتب السلسلة جميعا – اذ تبلغ صفحاته ٩٥٠ صفحة – وقد بلغت فيه عبقرية « جنتر » الذروة ، اذ استطاع ان يلم باحوال كل ركن من اركان القارة الكبيرة – التى تربو مساحتها على اربعة امثال مساحة الولايات المتحدة الامريكية – وان يرتاد مجاهلها ، ويكشف غوامضها ، فقطع فى زيارته لأرجائها نحو ٤٠٫٠٠٠ ميل ، زار خلالها ١٠٥ من بقاعها ، وتحدث الى اكثر من ١٥٠٠ شخص ، فى مختلف دولها ! .. تحدث الى ملوك ، وحكام ، وثوار ، ووطنيين ، وغاصبين ، وعبيد ، واحرار ، من البيض والسود !

.. دخل « جنتر » افريقيا من (مراكش) ، فكان كفاح المراكشيين البواسل فى سبيل حريتهم ، خير عنوان – خط بالدماء – لانتفاضة القارة الكبيرة .. القارة التى شاء لها الاستعمار ان تعيش قرونا فى الظلام ، فنهض ابناؤها اليوم يشقون الحجب الى النور .. ورآهم « جنتر » بعينيه فى شمال افريقيا ، وفى مصر ، وفى كينيا ، وفى الكونغو ، وفى كل مكان .. فعاد يصف كفاحهم المجيد ، ويسجل ما سمعه منهم عن مخازى الاستعمار ، دون ان يستغرقه الماضى فينسيه الحاضر .. ودون ان يستأثر باهتمامه التاريخ وتسجيل الأحداث ، فيلهيه عن وصف الطبيعة والتضاريس والجو والثروات .. كل ذلك فى اسلوب قصصى ممتاز ، جذاب . وقد زار جنتر اجزاء من افريقيا فى رحلاته الاربع الاولى اليها ، فى أعوام ١٩٢٦ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٣ .. فلما حل عام ١٩٥٣ زار القارة باكملها زيارة تفصيلية استغرقت عدة شهور ..

ولقد اخترت لك فى هذه المرة من فصول الكتاب الستة والاربعين ، الفصلين اللذين تحدث فيهما عن مصر ، ونهضتها الجديدة بعد الثورة – (على ان

اوافيك باهم فصول الكتاب الأخرى تباعا فى الأعداد القادمة) - ولا شك انه مما يثلج صدر كل مصرى ، وكل عربى ، ان يقرا العالم اجمع - سواء فى الطبعة الانجليزية او ترجمتها الى شتى اللغات الحية - هذا التمجيد الرائع لثورة مصر وقائدها العصامى الباسل ، الذى علم الدول الكبرى كيف تحترم بلادنا وارادتنا ، وتحسب حسابا للسياسة الرشيدة المستقلة التى تنتهجها حكومتنا ، سواء فيما يتصل بمشكلاتنا الخاصة ، او مشكلات العرب المشتركة ، او مشكلات السلم العالمى على وجه العموم !

المؤلف

◆ وقد ولد « جون جنتر » فى مدينة (شيكاغو) بامريكا ، وتخرج من جامعتها ، ثم احترف الصحافة . ولم يلبث ان عين مراسلا اوربيا لجريدة « شيكاغو ديلى نيوز » ، فطاف بانحاء اوربا وتولى الاشراف على مكاتب الصحيفة المذكورة فى جميع العواصم الكبرى على التعاقب . وقد خرج من جولته تلك بمادة كتابه الأول « فى داخل اوربا » ، الذى اصدره عام ١٩٣٦ فلم يلبث ان صار « اشهر واروج كتاب فى بابه ، فى تاريخ الطباعة والنشر ! » .. وقد شجع نجاحه الهائل « جنتر » على كتابة مؤلفاته التالية من نفس السلسلة ، عن قارات : آسيا ، وامريكا اللاتينية ، ثم عن الولايات المتحدة . ولكى يجمع مادة كتبه هذه ، زار اكثر بقاع العالم ، والتقى باشهر ساستها ، وحقق ماضى وحاضر كل بلد منها .. وخلال الحرب العالمية الثانية ، اشتغل مراسلا لشركة الاذاعة الأهلية ، ومجلة « ريدرز دايجست » ، واتحاد صحف امريكا الشمالية .. ومن مؤلفاته الاخرى ، غير السلسلة السابق ذكرها : لغز ماك ارثر ، ايزنهاور ، روزفلت ، وراء الستار ، يوم الغزو ، نصف الليل المضطرب ، ايها الموت لا تتباهى !.. كما انه كتب عددا من القصص الطويلة الشائقة . وهو يلقب اليوم : « اشهر مخبر صحفى سياسى فى العالم ! » .. فتعال معى نقرا ما كتبه عن مصر :

- ١ -

**« لقـــد كان اكثر الأمور الخاصـة
بافريقيا ظلاما ، هو جهلنا بهـــا »
« جورج كيمبل »**

« كل منا قادر ـ بطريقته الخاصة ـ على أن يأتى بمعجزة »
الرئيس جمال عبد الناصر

◆ وقع أهم حدث فى تاريخ مصر الحديثة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، حين استولى عـــلى أزمة الحكم حفنة من الشباب العسكريين المتحمســـين ٠ ومنذ ذلك الحين أخـذت الأحداث تتدفق فى سرعة عظيمة ٠ ويتلخص الموقف الحاضر فى ان هؤلاء العسكريين لا يزالون يحكمون البلاد ، ويحسنون حكمها

**ولقد ظل الصراع على الحكم ثلاثين عاما ـ أو تزيد ـ محصورا
بين ثلاثة أطـــراف : البريطانيين ، والقصر ، والوفد ٠ ولكن
انقلاب ١٩٥٢ قضى على هذه المحاور التقليدية الثلاثة للقوى ،
فأصبح على مصر أن تهيىء نفسها لوضع جديد لتوازن القوى ٠
فلقد طردت الثورة الملك « البدين » ، وألغت الالقاب ، وأعلنت
الجمهورية ، وحلت الأحـزاب السياسية القـــديمة ، وانشـات
هيئـــة التحرير ، وحـاربت الاقطـــــاع ، ووضعت
قانونا للاصلاح الزراعى أخذت فى تنفيذه ، وسعت لمعـــاقبة
المسئولين عن الفساد ٠٠ وقصارى القول ، ان الثورة فتحت
صفحة جديدة فى التاريخ المصرى ، كلها نشاط وعمل ٠٠**

ان الآمال عظيمة ، والحكم حازم ، رغم ان الثـــورة كانت
مضطـــرة الى أن تحـــارب ســادة الاقطاع والارستقراطية
القديمـــه ، ولقـد وجدت الســـند الاكبـر فى الجيش

و « الشـــارع » ـ أى السواد الأعظم من الشعب !٠٠ ولكن الشعب كان جائعا ، فكان على « عبد الناصر » أن يمـده بالقـوت ٠ وكانت الشيوعية تتسلل الى « الشارع » ، وكذلك غيرها من مثيرى الفتن ٠٠ بل لقد تسرب الشيوعيون الى صفوف الاخوان المسلمين ٠٠

مدبر الثورة ٠٠ ومنفذها

♦ **ولقد** انبعثت الفكرة الاصلية للثورة ، ونمت ، ونفذت ، على يدى ثائر من أبرز قادة الثورات المعاصرين ، هو جمال عبد الناصر ، الذى يحكم مصر اليوم ، مع انه لم يعد ان يكون شابا فى السابعة والثلاثين من العمر ٠ وتزداد الحكومة الجديدة ثباتا ورسوخا شهرا بعد آخر ٠٠ والمنبع الاول الذى يستمد منه عبد الناصر سلطانه ، هو أنه يصـــدر فى أعماله عن غاية وهدف : تحرير عامة الشعب (الجمهور) وتقدمه ٠ انه يتيح للشعب ما لم ينله من قبل الا فيما ندر ، وأعنى به : الامل ٠ فلا عجب فى أن المصريين يسمون حركته « الثورة المباركة » ٠

لقد ظل البريطانيون يسيطرون على حكم مصر سيطرة كاملة ـ أو انهم حاولوا ذلك على الاقل ـ زمنا طويلا ٠ ثم جاءت فترة رأوا فيها من مصلحتهم أن تقوم حكومات مصرية ، تكون لينـة ومطواعة فى أيديهم بقدر الامكان ٠ فكان أى خلاف بين المصريين من صنع أيديهم ! على ان كل هذا انتهى ، فان أهم ما أذاع صيت الثورة حتى الآن ، هو ان بريطانيا لم تعد ذات سلطان مباشر فى مصر على الاطلاق

وقد وقع ـ منذ تولى العسكريون الحكم ـ حدثان لهما أهمية دولية فائقة ، هما : اتفاقية ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ التى أتاحت الحكم الذاتى للسودان ، والاتفاقية التى تلتها فى ١٩ أكتـوبر

سنة ١٩٥٤ ، والتى تعهد فيها البريطانيون بالجلاء عن قنـــاة السويس

وهكذا أصبحت مصر سيدة نفسها ٠٠٠ أخيرا !

مصر تتحرر ٠٠ بعد ٢٥ قرنا من العبودية !

◆ ان مصر جد معروفة ، حتى اننا لا نجد حاجة الى الافاضة فى الحديث عنها ٠ فالمصريون ينتمون الى اعرق حضارة عرفها الجنس البشرى ، ولهم اطول تاريخ قديم ، ترجع سجلاته الى ستة آلاف عام او اكثر ! على انهم خلال اغلب هذا التاريخ ، كانوا يخضعون لسلطان غزاة من الخارج : اثيوبيين ، وفرس ، ويونانيين ، وروماني ، وعرب ، واتراك ، ومماليك ٠٠ وهكذا ظلت البلاد تحت حكم الاجانب منـــذ سنة ٥٢٥ قبل الميـــلاد ، حتى سنة ١٩٣٦ ، حين منحها البريطانيون استقلالها ٠٠ بل ان الطبقة الحاكمة « المصرية » خلال الـ ١٥٠ سنة الاخيرة – حتى عام ١٩٥٢ – كانت اجنبية الى حد كبير ٠٠

وهناك قول ماثور ، بان « الاقـــوام التى تعيش فى دلتا الانهار ، تكون فى العادة رخوة ، لينة » ٠٠ وقد سمعت ان هذا القول انطبق على المصريين فى عدة مرات ٠ فهم قوم وديعـــون للغاية ، او انهم – عـلى الاقل – كانوا كذلك حتى ايقظتهم القومية الحديثة ٠ ولقد قال لى مسئول بريطانى : « هؤلاء اسهل شعوب الارض قيادا وخضوعا للحكم ، لو وجد من يعرف كيف يحكمهم ! » ٠ على ان عالما عربيا مبرزا وصفهم لى بهذا القول : « اننا كالنيل ، فنحن لسنا اهل عنف، ولكننا شديدو الثبات والاتزان ٠ ولقد تنتابنا الفورات احيانا ، ولكننا لا نلبث ان نعود الى حياتنا العادية ٠ ان حياتنا مستمدة من النيل ، فنحن نشعر باننا جزء من مجرى ثابت ، قوى ، مستمر ٠٠ فالنيل يتدفق بيننا فيهبنا القـــوة والصبر ٠ ولو ان سياسيا مصريا اشتط فى غـــروره ، فاننا نسقطه من الحكم بضحكنا ، اذ ننسج حوله بعض نكات ، فلا يلبث ان يجد نفســـه فى عـــزلة تامة ٠ ان الطريق الوحيد الذى يوصلك الى المصرى هو قلبه ! »

ويبدو ان المصريين لم يتغيروا كثيرا على مر القرون ٠ وانك لتستطيع ان ترى فى كل مكان – سيما فى الوجه القبلى – اناسا هم صور حية لرمسيس ونفرتيتى ٠٠ على ان من المدهش ان المصريين لا يعتزون كثيرا بميراثهم الفرعونى – وان كان التعليم المصرى يوجه عناية كبرى اليوم للتاريخ القديم للبلاد ، محاولا ان يثير فخر القوم به – ومع ان مصر رات غزاة كثيرين يتقلبون عليها ، الا ان اهلها ظلوا على طول المدى متشابهين ، متجانسين الى درجة تبعث على العجب ٠

ويتكلم المصريون اللغة العربية ، فمصر هى « عاصمة » العالم العربى ، بيد ان المصريين ليسوا عربا ٠٠ ان لهم صفات عربية قوية ، كما ان القـــاهرة هى

المركز الخصيب للثقافة العربية فى العالم ، ومع ذلك فان أهلها شعب فذ ، قائم بذاته .. والاغلبية الساحقة من المصريين مسلمون بطبيعة الحال ، ولكن فى مصر طائفة من اهم الطوائف المسيحية ، هم الاقباط ، الذين ينتمون الى كنيسة من اعرق الكنائس المسيحية فى الدنيا . وهم مفـرطو التحفظ ، والنشاط فى الاعمال وفى الوظائف الحكومية . وكثيرا ما يوصفون بانهم « اقدم » المصريين ، بحكم انهم سلالة الذين لم تختلط انسابهم بالعرب بعد الفتح الاسلامى لمصر . (وقد كانت احدى زوجات النبى محمد قبطية) . وما زال هذا التقليد ساريا الى اليوم ، اذ يحدث بين وقت وآخر ان تتزوج قبطية من رجل مسلم . وقـد اتخذت الثورة خطوات فذة لتعزيز الرابطة المتينة بين الاقباط والمسلمين .. كما فعلت المثل مع اليهود المصريين .. ومن الشعارات التى اتخذتها : « الدين لله والوطن للجميع »

لمصر ماض مجيد ... وحاضر مجيد !

♦ على ان مصر ليست ذات ماض فحسب ، بل ان لها حاضرا . فهى بـلاد مشبوبة الحيوية ، والتفوق ، تتفجر بالواقعية المعاصرة . ففيها شبكة حديثـة للسكك الحديدية ، والطرق الجيدة ، ولها تجارة مزدهرة مطردة الاتساع . وقد بلغ دخلها القومى مستوى عاليا بالنسبة لافريقيا .. كما ان لها صحافة واذاعة ذاتا صوت مسموع ..

والقاهرة هى أكبر المـدن قاطبة فى افريقيا ، ولعلها اغناها وارقاها . وقـد ارتفع عدد سكانها من حوالى مليون نسمة ـ منذ عشرين سنة ـ الى أكثر من مليونين ونصف مليون اليوم . كما انها أكبر مدينة فى العالم الاسلامى ، وتبلغ مساحتها ضعف مساحة باريس ! وليس فى افريقيا سوى مدينتين يربو سكان كل منهما على مليون نسـمة ، وهما مصريتان : القـاهرة ، والاسكندرية التى انشاها الاسكندر الاكبر سنة ٣٣١ قبل الميـلاد . وفى القاهرة اكبر معهـد اسلامى للعلم فى العالم : الجامعة الازهرية .. وبها شوارع تبدو كانها انتقلت اليها من شيكاغو .. كما ان بها شوارع يحف بها نخيل ينهض على جذوع نحيلة الى حوالى مائة قدم ، ثم تنتشر فروعه كمظلات خضراء .. واعظم ما بهر بصرى فى حياتى ، من تحف الفن ، تلك الحلى والاوعية الذهبيـة التى استخرجت من مقبرة « توت عنخ آمون » ، والتى تعرض الآن فى مكان بارز بالمتحف المصرى. ويتحتم على عاملات التليفون فى فنادق القاهرة ان يعـرفن خمس لغات ، وفى بعض الاحيان ستا !

ولقد تغيرت القاهرة عما رايتها ـ منذ حوالى عشرين سنة ـ تغيرا يفوق كل ما يصدقه العقل ! ولا يقتصر هذا التغير على مجرد ادخال اضـواء « النيون » وتكييف الهواء ـ وهو جد نادر فى معظم افريقيا ـ والبنايات الحديثة الشاهقة

على ضفاف النهر .. بل ان الامر يتعدى ذلك الى الكثير من المظاهر الاخرى للمدن الحديثة . ولقد كانت الاحياء الراقية من القاهرة حتى نهاية الحرب الاخيرة على نسق المدن البريطانية ، كما كانت هناك كل اشكال الوشى والزخارف الشرقية ، فكان الشرق والغرب يلتقيان فى مزيج تسوده الروح الدولية ، ولكن الأساس كان بريطانيا .. اما اليوم ، فلم يعد للاشياء البريطانية وجود يذكر . وقد اخليت الثكنات البريطانية منذ عهد طويل ، ولم يقدر لمندوب سام بريطانى ان يجوس خلال طرقات القاهرة بموكب مصفح منذ سنة ١٩٣٦ . واصبحت المقاهى والمشارب تحفل بالمصريين لا بالانجليز !

بقيت كلمة عن الاهرامات .. فالهرم هو ابعد الاشكال المعمارية عن الانهيار، ويتالف الهرم الاكبر من ٢ر٥ مليون حجر ، ويقدر وزنه بحوالى اربعة ملايين و ٨٨٣ الفا من الاطنان !

(.. ثم يمضى المؤلف فيتحدث بعد ذلك عن كيف تسنى بناء الهرم ، وعن ايمان المصريين الاقدمين بالحياة الاخرى ، وحرصهم على ان تكون قبورهم منيعة ، وفنهم فى التحنيط .. الخ)

مشروعات « عظيمة » و « جليلة »

◆ والعماد الأكبر لحياة مصر هو القطن .. فبدون القطن (والنيل) تلوى البلاد . وتنتج مصر ارقى انواع القطن الطويل التيلة فى العالم ، ومنه تجنى ما لا يقل عن اربعة اخماس عملاتها الاجنبية ، وبالتالى وارداتها . وقل بين الدول من اوتيت بنيانا اقتصاديا اوهى من هذا ! .. واذا تعذر على « لنكشاير » ابتياع القطن من امريكا ، فان صناعةالنسيج البريطانية تولى وجهها شطر مصر ، ومن ثم اتخذت بريطانيا من القطنالمصرى اداة لألاعيبها السياسية سنين عدة .. وظل بوسعها - الى عهدقريب - ان تتحكم فى البلاد ، بالحد من مشترياتها من القطن ! ولكن حكومةالثورة تسعى - جهد طاقتها - لتوسيع القاعدة التى يقوم عليها صرح الاقتصادالمصرى ، بالتخفيف من استناده واعتماده على محصول واحد للتصدير . ومن امثلةما يتخذ فى هذا الصدد ، القيام بابحاث واسعة عن البترول ، تساهم فيها عدة شركات امريكية . ويعتبر السماح بهذا ، دليلا على تحول ملموس فى سياسة القاهرة ، فان عبد الناصر يبغى - فوق كل شىء - ان يسد الهوة السحيقة بين الغنى والفقر فى مصر ، ومن ثم فان حكومته لا تستطيع ان توزع الثراء على نطاق واسع ، ما لم تخلق ثروة جديدة

ومشروعات عبد الناصر - فى هذا الصدد - واسعة الطموح ، بل عظيمة جليلة . ومع ان تعزيز النظام السياسى مقدم على ما عداه ، الا ان عبد الناصر وزملاءه لا يكفون قط عن التفكير فى التقدم الاقتصادى الطويل الاجل للمستقبل،

١٧٧١

حتى يتسنى رفع مستوى المعيشة لعامة الشعب باسره • ولقد سالت اربعة من المصريين - متباينى النشاة والتفكير الى حد بعيد - عن اشد ما تحتاج اليـه البلاد ، فاجابوا جميعا بكلمة واحدة : « الانتاج » • وبين المشروعات ، مشروع هائل سيتكلف اكثر من ٥٠٠ دولار ، ويستغرق بناؤه عشر سنوات ، هو مشروع السد العالى ••

(وهنا اسهب «جنتر» فى الحديث عن النتائج الصناعية والزراعية للمشروع ، بما هو معروف لكل مصرى)

تركة مثقلة بالمشكلات !

♦ وتعانى مصر من الجهل والمرض • فمن المحتمل ان ثلاثة ارباع السكان لا يعرفون القراءة والكتابة ! بيد ان هذا التقدير مضلل ، والواقع ان نسبة الامية بين الذكور وحدهم تبلغ ٥٠ فى المائة تقريبا • ومع ذلك فمن الواضح ان من المتعذر الى اقصى درجة ان تستطيع حكومة دستورية اتقان عملهـا - بل ان تستطيع العمل اطلاقا - ما لم يتسن زيادة هذه النسبة • فالتعليم (فى جميع الدول الافريقية) هو اهم المشكلات التى تواجه الحكومات وتتطلب حلولا عاجلة• ولقد كانت ميزانية التعليم فى سنة ١٩٢٠ - تحت الحكم البريطانى - لا تكاد تبلغ مليونا من الجنيهات ، اما اليوم فقد تجاوزت ٢٠ مليونا ! بل اننى سمعت كثيرا من المصريين - المتحمسين للتقدم - يتخوفون من السرعة الهائلة التى يمضى بها التوسع فى التعليم ، سيما المرحلة الجامعية منه ، خشية ان لا يجد الجامعيون اعمالا كافية تستوعبهم •

ان كثيرا من الدول الشرقية تمر بفترات - طويلة كانت او قصيرة - قد تحتاج فيها الى حكم الفرد •• على ان اكبر مبرر لعبد الناصر فى نظام حـكمه هو انه انما يعمل كوكيل او مندوب للشعب حتى يتم تعليمه الى الدرجة التى تمكن افراده من تولى مسئوليات الحكم •• وانى اعتقد ان عبد الناصر رجل اوتى اسسا قوية من حسن النية والذكاء ، والوطنية ، بحيث لا يحتمل ان يقع فى الاخطاء الـتى كثيرا ما يرتكبها الحكام الذين يتحملون مسئولية الحكم بمفردهم

(ثم تحدث «جنتر» بعد ذلك عن تفشى الامراض المتوطنة فى مصر .. وانتقل الى وصف طبيعة ارض مصر ، ودلتا النيل ، وواديه ، والواحات ، واعتماد الزراعة على الرى ، والنسبة الكبيرة المطردة التى يتزايد بها السكان ، حتى اصبحت نسبة كثافتهم فى وادى النيل أعلى نسبة فى العالم - اذ بلغت ١٦٠٠ نسمة للميل المربع الواحد ! - ومن ثم لم يعد من حل للمشكلة سوى توسيع رقعة الارض الصالحة للزراعة ، او تقليل عدد السكان ، وكلا الحلين ليس سهلا، بيد ان ثمة علاجا محتمل النجاح تتجه اليه آمال عبد الناصر ، هو : التصنيع)

فساد الحكم السابق فى مصر

◆ ومضى المؤلف يتحدث عما كان فى مصر من سوء توزيع للملكية الزراعية ، اذ كان ٣٦ فى المائة من جميع الاراضى الصالحة للزراعة فى أيدى نصف فى المائة من السكان !.. الى ان قال :

ولم يكن « باشوات » مصر - الى عهد قريب - اغنى طبقة من نوعها فى العالم - بالنسبة لبقية الشعب - فحسب ، وانما كانوا أكثرها فسادا ايضا ! ولقد كان القول الشائع - حين زرت مصر اثناء الحرب - هو ان اربعين مليونيرا كانوا يظهرون فى كل شهر ، وكانوا يدينون بهذا الثراء الى الغش والفساد . وكان الملك السابق هو أكبر ملاك الارض طرا . ولقد ظهر من احد الاحصاءات ان ٥٠ فى المائة - تماما - من الدخل القومى كان يؤول الى ١٫٥ فى المائة من السكان ! .. ومن العوامل « المثيرة » ان ملاك الارض من أبناء الطبقة الراقية لم يكن لديهم فى الواقع اى اهتمام بالبلاد ، اللهم الا فيما يتعلق بابتزاز مالها ، اذ كانوا ينحدرون من أصل تركى ، وكانوا يانفون من ان يعتبروا انفسهم مصريين !

وعلى النقيض من ذلك ، كانت الملايين المغمورة من الفلاحين فى حال من التعاسة تجل عن الوصف .. فما ان استولت الثورة على ازمة الحكم ، حتى بادرت الى وضع نظام « الاصلاح الزراعى » . ولقد بلغ الغباء ببعض الناس ان همسوا فى تظاهر بالحزن : « انها الشيوعية ! » . والواقع ان ليس من مهد كان يصلح لان تفرخ فيه الفتن الشيوعية اكثر من المجتمع المصرى قبل ان يتداركه الاصلاح .. كما ان خير دفاع ممكن ضد اى زحف شيوعى مقبل ، هو مشروعات الاصلاح المختلفة ، التى يسعى البكباشى عبد الناصر لتنفيذها . وهذا ما يتضح لاصحاب « النوايا السليمة » بجلاء ..

حفنة من التواريخ

◆ ١٨٠٥ - ١٨٤٩ : يبدأ تاريخ مصر الحديث بالحاكم المستبد العاتى محمد على ، مؤسس الاسرة التى بقيت الى ان طردت الثورة

فاروق الحقير • وقد كان محمد على يذهب الى درجة الوحشية فى بعض تصرفاته احيانا ـ ولعل مذبحة المماليك الغادرة اشهر الادلة على ذلك !

وقد اصدرت الحكومة المصرية فى سنة ١٩٥٣ قانونا بمصادرة ثروة جميع احفاد محمد على ، بعد أن قررت قبل ذلك انهاء حكمهم واعلان الجمهورية

◆ ١٨٨٢ : بدأ الاحتلال البريطانى لمصر ، وقد دام ٥٤ سنة

(وهنا اورد « جنتر » تاريخ الاحتلال) ـ وقد اعلن اللورد « جرانفيل » عقب الاحتلال مباشرة ، فى سنة ١٨٨٣ ، ان بريطانيا تعتزم سحب قواتها من مصر « بمجرد أن تسمح حالة البلاد بذلك » •

وقد كتب البكباشى عبد الناصر فى صحيفة « السياسة الخارجية » فى يناير سنة ١٩٥٥ : « عمد البريطانيون منذ البداية الى امتصاص قوة مصر ومعنوياتها • وسيطرت الشركات الاجنبية بسهولة على الطبقة التجارية الناشئة فى مصر ، اذ كانت تعمل متحررة من كافة الضرائب تحت نظام الامتيازات الاجنبية » •• ثم قال : « كانوا ـ اى البريطانيين ـ يقولون دائما انهم يعتزمون الجلاء ، وكانوا دائما يجدون عذرا للبقاء : فزعموا اولا انهم انما يبقون فى مصر ليحموا الاجانب من المصريين ، وان كان الاجانب لم يطلبوا حمايتهم قط• ثم زعموا انهم مضطرون للبقاء لحماية الاقليات المسيحية واليهودية من المسلمين ، متجاهلين ان المسيحيين واليهود انضموا الى المسلمين فى المطالبة بانسحاب القوات البريطانية من مصر ••• »

◆ ١٩١٤ : ما ان نشبت الحرب العالمية الاولى حتى وضعت بريطانيا مصر « تحت الحماية » ، فقطعت بذلك ارتباطها بتركيا نهائيا ••

◆ ١٩١٨ : ظهر الى الوجود اول الاحزاب الوطنية الكبرى فى افريقيا الحديثة ـ وهو الوفد ـ تحت زعامة سعد زغلول الذى لم يكن يمل او يهدأ فى عدائه للانجليز ••

◆ ١٩٢٢ : اضطر الانجليز الى ان يمنحوا مصر اتفاقية تتيح للبلاد استقلالا محدودا ، وانتهت بذلك الحماية •• ووضع الدستور ••

◆ ١٩٣٦ : وقعت معاهدة مصرية انجليزية تنهى فترة طويلة من التوتر ، والتآمر ، والتمرد المشبوب •

◆ ١٩٤٢ : ظلت مصر محايدة ـ من ناحية المظهر القانونى ـ وان كان البريطانيون ، والامريكيون ، قد استخدموا القاهرة كقاعدة اهلية لعملياتهم فى كل مكان فى الشرق الاوسط • وكان مما يخدم غرض الحلفاء ان تظل مصر فى الوضع الذى يطلقون عليه : « حليفة غير محاربة » • وفى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ حدثت المناورة المتهوسة ، وحاصر البريطانيون قصر عابدين بالدبابات !

◆ ١٩٥١ : الغت مصر معاهدة ١٩٣٦ ، وان ظل البريطانيون يحتجون بان الغاءها عمل « غير قانونى » !

◆ ١٩٥٢ : فى ٢٦ يناير احرق الغوغاء جزءا من القاهرة ، وجرت حوادث سلب ونهب • ولا يعلم احد حتى اليوم عن يقين من الذى دبر هذه الحركة ..
◆ ١٩٥٢ : فى ٢٣ يوليو ، قامت الثورة الحالية

- ٢ -

« .. كان العالم العربى قد عرف ما الذى يبغى ان يتخلص منه ، ولكنه لم يكن قد عرف بعد ما الذى يعتزم ان يقيمه ويشيده .. لقد كانت المشكلة مشكلة اعادة الكرامة الانسانية لمصر .. »

جمال عبد الناصر

رجل من جليد .. ونار !

◆ ولد جمال عبد الناصر فى ٥ يناير سنة ١٩١٨ ، ونشأ نشأة بسيطة ..
وقد بدت ميوله الثورية القومية مذ بلغ السابعة عشرة ، فقبض عليه عدة مرات لاشتراكه فى مظاهرات الطلبة • وقد التحق بكلية الحقوق فترة ، ثم قرر ان يكرس حياته للجيش ، فتخرج فى الكلية الحربية فى سنة ١٩٣٨ • وبعد ذلك خدم زمنا فى السودان ، ثم حارب اليهود فى فلسطين .. وهو يذكر انه خلال حملة فلسطين كان يدرك تماما ان المعركة « الحقيقية » يجب ان تكون فى مصر ذاتها ..

وهو مسلم تقى ، لا يقرب الخمر قط • وله اهتمام شديد بالمسائل السياسية فى كافة ارجاء العالم — (حتى انه يعتبر السياسى الافريقى الوحيد ، وواحد من الساسة القلائل فى العالم ، الذين يشتركون بانتظام فى مجلات السياسة الدولية ، ومنها مجلة FOREIGN AFFAIRS التى يحرص على ان تصله اعدادها بالبريد الجوى فور صدورها !)

وهو لا يحفل بنفسه ، أو بحياته ، اذ يوجه كل اهتمامه الى حياة مصر .. ويصفه عارفوه بانه رجل من .. جليد .. ونار ! .. ولقد ذكر فى كتابه « فلسفة الثورة المصرية » ، انه وزملاءه اقتنعوا فى فترة من الزمن بان مصر لن تنقذ الا ب « العمل الايجابى » ، الذى تمثل لهم اذ ذاك فى الاغتيال السياسى .. ولكن شد ما كان ارتياحه حين تبين فشل هجومهم الاول ، فبدا يفكر :

، اننا نحلم بمجد الوطن . ولكن ايهما اهم : ان نقضى على هؤلاء الذين يجب القضاء عليهم ، او ان ندفع الى الامام اولئك الذين يجب ان يتقـدموا ؟ » .. وكان لا يكف عن التفكير فى ضعف بلاده ، ومهانتهـا ، وذلها . كان لابد من انقاذ مصر ، لا من البريطانيين وحدهم ، بل ومن نفسها ايضا .. كان يجب أن تقوى ، وتتحد ، وتتحرر ، بروح جديدة نظيفة .. بمحو الانانية والفساد .. ولكن كيف ؟

وانتهى عبد الناصر الى تزعم هيئة الضباط الاحرار ، التى كانت تتالف من حوالى ٤٠٠ شاب ، معظمهم من صغار الضباط .. « ولم يكن الجيش هو الذى حدد دوره فى الاحداث التى جرت ، بل ان العكس اقرب الى الصواب .. فان الاحداث وما ترتب عليها هى التى حددت دور الجيش فى الصراع الاكبر لتحرير الوطن » .. ويمضى عبد الناصر ـ فى كتابه ـ فى تحليل المهيئات والحوافز التى دلعته الى تدبير الثورة .. وهو فى هذا يعتقد ان بذور الثورة كانت منبثة فى نفسه منذ الطفولة ، ويذكر بصدد ذلك انه كان اذا ما راى طائرة فى السماء ـ وهو طفل ـ ينطلق صائحا : « يا عزيز ، يا عزيز ، داهية تاخد الانجليز » !

(ويمضى « جنتر » فى سرد قصة قيام الثورة وخلع فاروق وطرده ، مما هو معروف لكل قراء العربية ، ومما سبق ان قراوه مسجلا بقلم الرئيس جمال عبد الناصر . ثم يستطرد قائلا :)

بقى شىء واحد يمكن ان يقال عن فاروق بثقة تامة ويقين ، وهو ان ما من نفس فى مصر اسفت لرحيله .. ومن المحتمل ان ليس ثمة نفس حية ترجـو عودته !

فعل فى عامين ، أكثر مما فعلوا فى ١٥٠ عاما !

♦ ولقد اشاع اعداء الثورة فى البداية ، ان ٩٠ فى المائة من اعضاء الثورة فاشيون ، و ١٠ فى المائة شيوعيون . وكان هذا تجنيا مبالغا فيـه ، اذ ان الحكومة اذا كانت قد اتخذت اجراءات بدت شديدة ضد الراسمالية ، فانما كان ذلك لان الراسمالية الخاصة كفت عن ان تكون عاملة مثمـرة .. والواقع ان الثورة كانت اقل استبدادا وتطرفا من اولئك الذين عارضوها . ومن الجائز ان تكون اساليبها استبدادية ، ولكن هذا ليس هدفها الاساسى . فالانضمام لهيئة التحرير ـ عند ما تالفت ـ كان اختياريا ، وليس اجباريا .. ولم تكن ثمة دعوة للقوة حبا فى القوة ، بل ان كل جهد وجه فورا لانشاء نظام الاصلاح الدستورى ، وتمهيد الطريق لانتخابات حرة ، واعادة الحكم النيابى .. لقد كان الجيش حاميا للشعب ، وكانت الثورة باسـم الشعب . (وهنـا اوضح « جنتر » كيف وفقت الثورة فى القضاء على اعدائها ، وفى التغلب على الصعاب التى صادفتها . وبين كيف ذهب انكار الذات بجمال عبد الناصر الى الدرجة التى

جعلته يتوارى في اوائل الثورة ، فلم يبد للملأ قبل ١٨ يوليو سنة ١٩٥٣ ، حين غدا نائبا لرئيس الوزراء ، ووزيرا للداخلية .. ثم استطرد المؤلف :)

ان اشد ما يحتاج اليه عبد الناصر هو الوقت ، والهدوء السياسى ، وليس من سبيل الى الاول الا بالثانى ! وهناك شيء واحد يمكن ان يقال عنــه دون ما جدال : ذلك هو انه فعل لمصر فى عامين اكثر مما فعلت الاسرة المالكة فى مائة وخمسين عاما ! بل ان مجرد تفانيه وامانته ظاهرة تذهل الطـراز القديم من المصريين ، حتى انهم يعجزون عن ان « يفهموه » ! ..

سياسة مصر الخارجية فى عهد الثورة

◆ ان الذى يجعل مصر من اهم الدول فى العالم - لا فى افريقيا وحدها - هو موقعها الجغرافى كجسر بين القارات .. فهى تسيطر على الجزء الشرقى من البحر الابيض المتوسط ، وتشرف على الطريق البحرى القصير بين اوربا وكل من جزر الهند الشرقية والصين . فضلا عن انهـا ذات موقع حيـوى بالنسبة للدفاع عن الشرق الاوسط . بل ان البكباشى عبد الناصر يعتبرها جـزءا من آسيا الجنوبية الغربية . وفى الواقع انه لا يفصلها عن آسيا غير البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء .

وللسياسة الخارجية المصرية عدة نواح واهداف ، الى جانب اخراج الانجليز من السودان ومن السويس :

◆ الجامعة العربية : وتعتبر مصر اهم عضو فيها . وهى نـوع من التكتل لتوحيد سياسة العرب ، وتشجيع القومية العربية . وترجـو مصر ان تحقق اقصى ما يمكن من الترابط بين الدول العربية فى الشرقين الادنى والاوسط ..

وتتمتع مصر بنفوذ كبير فى الامم المتحـدة وفى كل مكان آخر ، اذ تتبنى القضية العربية على اوسع نطاق - بغض النظر عن تفكك الدول العربية فيما بينها - وقد داب المصريون على مؤازرة الامانى القـومية فى مراكش وتونس ، مما اوجد توترا شديدا بين مصر وفرنسا . ولقد اتفقت مصر والمملكة السعودية فى صيف سنة ١٩٥٤ على « توحيد مواردهما فى الصناعات العسكرية ، والتسلح والدفاع ، والتدريب العسكرى » .. ولقد حج البكباشى عبد الناصر الى مكة فى اغسطس سنة ١٩٥٤ واعلن ان على المسلمين فى جميع ارجاء العالم ان يجعلوا من الحج اداة قوية للوحدة السياسية .. وهو تصريح لم يسبقه مثيل فى التاريخ الاسلامى ..

المؤلف « الامريكى » ينصف مصر بصدد الاسلحة !

◆ الحياد والولايات المتحدة والدفاع عن الشرق الاوسط : رفضت مصر ان

يكون لها اى شان بما اقترحته الدول الغربية من انشـــاء حلف دفاعى للشرق الاوسط ، فاهمل المشروع ، اذ انه بدون مصر يغدو عديم القيمة • وقد شرح عبد الناصر الأمر مرة قائلا : « على مواثيق الدفاع المشترك ، بين العالم العربى والدول الغربية ، أن تنتظر ، حتى يتغلب العرب على الشك المتأصل فى نفوسهم ازاء نوايا الغرب الاستعمارية »

وقال لنا استاذ كبير بجامعة القاهرة : « لماذا يابى الامريكيون فهم الحقائق ؟ •• اننا نعرف انكم فى الاحوال الدولية الراهنة ترون من واجبكم ان تكونوا مع البريطانيين • ولكننا لا نستطيع ان نثق فى البريطانيين بعـــد ، ومن ثم فلن نستطيع أن نثق بكم • ثم انكم فى الوقت ذاته ترتكبون فى كل مكان عين الخطا الذى ارتكبتموه فى مراكش • انكم تجمعون بين التصريحات الافلاطونية المعربة عن تاييدكم للامانى القومية الاسلامية ، وبين المساعدة العسكرية المباشرة للذين يفرضون على القومية الاسلامية ربقتهم ! •• انكم يجب ان تتبينوا أن من الخير لاغراضكم عمليا ان تكسبونا احرارا ، لاننا اذ ذاك نكون اقوى وافضل ، والا فما قيمـــة مراكش لكم الآن ؟ •• اما لو انكم فاوضـــتم السلطان بدلا من مفاوضتكم لفرنسا ، لكانت مراكش قد غدت صديقة شاكرة ، مخلصة لكم »

ومما زاد المـــوقف تعقيدا فى مصر ، ان البريطانيين لم يوافقوا علـى تدفق الاسلحة الامريكية الى مصر أثناء المفاوضات بصدد الجلاء عن السويس • ويضيف أهل القاهرة الى هذا ان المعونة الاقتصادية الامريكية منعت عمدا عن مصر لحمل المصريين على قبـــول الحلف الدفاعى للشرق الأوسط • واشتدت الأزمة عندما حاول عبد الناصر ان يبتاع اسلحة قيمتهـــا ثلاثة ملايين ونصف مليـــون من الدولارات ، من اسبانيا ، فاوقف الضغط البريطانى على مدريد هذه الصفقة ! •• وفى الوقت ذاته ، اتجهت الولايات المتحدة نحو الشمال والشرق ، فاتاحت أسلحة للباكستان ، ووقعت هذه حلفا هاما مع تركيا •• ثم جاء البيان الخاص بتوقيع العراق حلفا للدفاع المشترك مع تركيا ـ ومعناه خرق لحياد الجامعـــة العـــربية ـ وما لبث الاتفاق الانجليزى المصرى التاريخى بشأن الســـويس أن تحقق ، فبدات القاهرة ـ نتيجة لذلك ـ تبدى ودا نحو الغرب •• ولكنها اعلنت قبولها للمعونة العسكرية « اذا كانت غير مقيدة بشروط »

مصر وسياستها تجاه روسيا

◆ الاتحاد السوفييتى والشيوعية : بين القاهرة وموسكو علاقات «مضبوطة» كما يقول الديبلوماسيون •• اى العلاقات الصحيحة المناسبة • وقـد صرحت مصر بانها على استعداد لأن تتعاون مع كل الدول التى على جانبى الســـتار

الحديدى ، ما دامت تعضد اهدافها ، وما دامت لا تقيد حريتها وكرامتها ! ولقد قال لى احد القاهريين المبرزين : « ان مصر تخشى كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، على السواء ، فى الحرب الباردة القائمة .. »

اما فى الميدان الداخلى ، فان مصر ضد الشيوعية على خط مستقيم ، وفى اصرار حازم . وقد حرصت الحكومة على ان تخمد كل نشاط شيوعى مستتر . وقد ذكر البكباشى عبد الناصر فى مقاله فى مجلة « الشئون الخارجية » - الذى اشرنا اليه من قبل - : ان الشيوعية لن تستطيع التسلل الى اى جزء فى الشرق الاوسط وافريقيا ، لو ان امريكا انتهجت سياسة جريئة فعضدت اولئك الذين يتوقون للخلاص من السيطرة والاستغلال الاجنبيين .. وان « الاستقلال الحقيقى هو اعظم دفاع ضد الشيوعية او اى نوع آخر من التسلل او العدوان »

مصر « أب وأم » للحركات الوطنية فى افريقيا

◆ مسلك مصر نحو افريقيا السوداء : ولهذا المسلك ناحيتان : اولاهما ان مصر قوة عظيمة تكمن وراء انتشار الاسلام فى العالم ، وهى - بطبيعة الحال - ترجو ان ترى اكبر شطر ممكن من افريقيا السوداء يتحول الى الاسلام

اما الناحية الثانية ، فهى ان مصر تعتبر نفسها اما وابا للحركات الوطنية فى اى مكان فى افريقيا .. ولقد كتب البكباشى عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » يقول : « ليس بوسعنا ان نقف جامدين - مهما تكن الظروف - ازاء الصراع الدموى الرهيب الذى يدور فى افريقيا اليوم بين خمسة ملايين من البيض و ٢٠٠ مليون من الافريقيين .. ولسوف تظل شعوب افريقيا تتطلع الينا ، نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة ، والذين نمثل همزة الوصل بينهم وبين العالم الخارجى .. »

(وتناول « جنتر » بعد ذلك قناة السويس وتاريخها ، والقاعدة البريطانية فيها ، والنزاع الذى دار بين مصر وبريطانيا بشأنها حتى تم توقيع اتفاقية الجلاء ، وكيف ان الولايات المتحدة حرصت على تفادى وصول هذا النزاع الى ساحة الامم المتحدة حتى لا يعد سابقة تبيح للامم المتحدة ان تتدخل بشأن « قناة بناما » ! .. وانتهى فى ختام الفصل الذى خصصه من كتابه للحديث عن مصر .. الى القول :)

.. وهكذا ، وللمرة الاولى - منذ سنة ١٨٨٢ - لن تجد مصر على ارضها فى سنة ١٩٥٦ حامية بريطانية .. وللمرة الاولى منذ حوالى ٢٥٠٠ سنة ، ستظفر بالسيادة القومية الكاملة !

« وفى الاعداد القادمة ، أقدم لك بعون الله فصولا اخرى من هذا الكتاب الشائق »

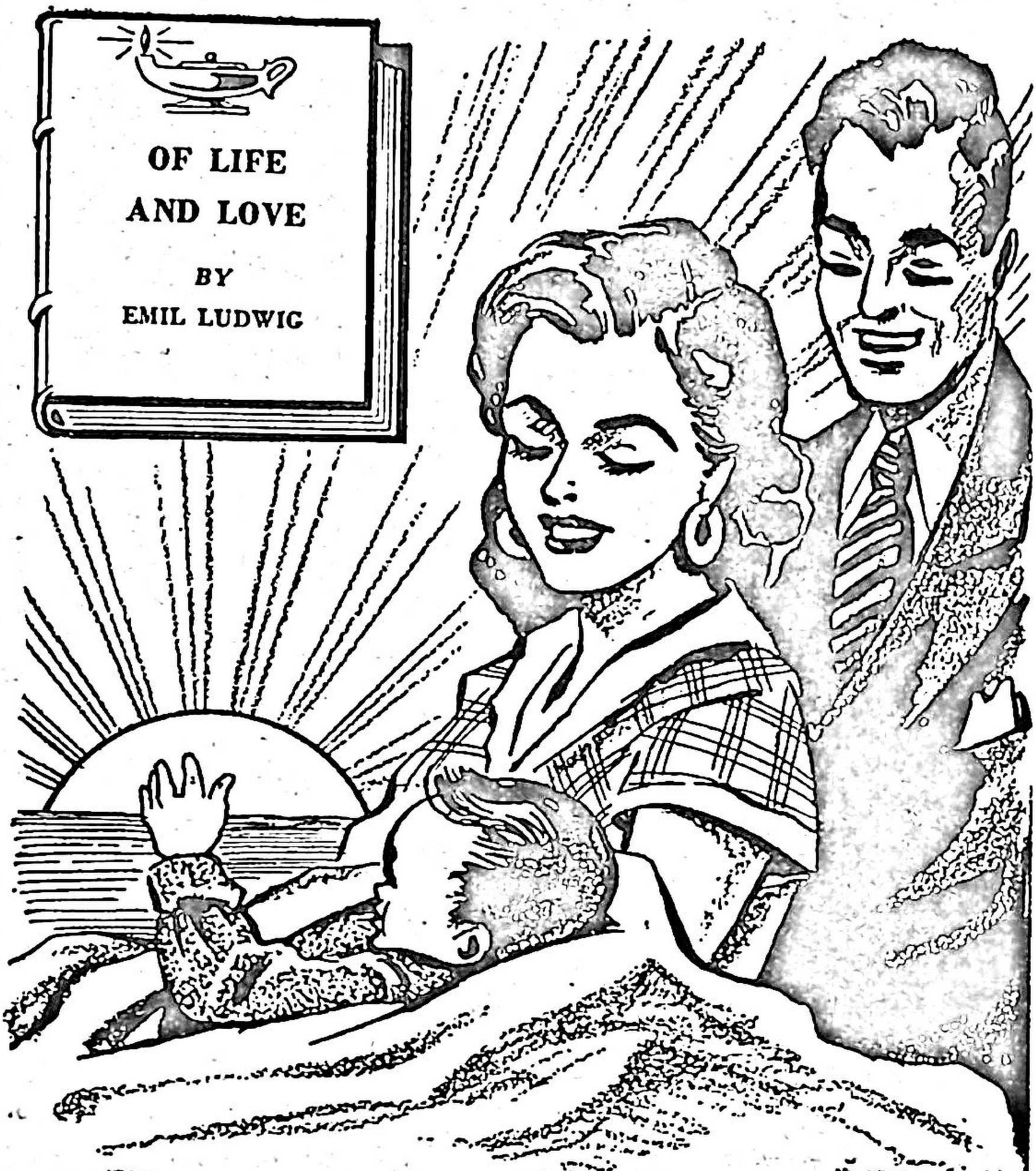

دنيا الحب .. والسعادة!

للكاتب الألماني الأشهر "اميل لودفيج"

تلخيص : عبد المنعم محمد الزيادى

نحو « دائرة معارف » ، للحب والسعادة !

◆ فى اعداد سابقة من « كتابى » ، لخصت لك فى هذا الباب كتابين قيمين ، هما : « فن الحياة » للمفكر « الفرنسى » اندريه موروا ، ثم « غزو السعادة » للمفكر « الانجليزى » برتراند رسل .. وقد عالج كلاهما الموضوع من زاويته الخاصة ، حسبما أملى عليه تفكيره وآراؤه .. واليوم اقدم لك كتابا للمفكر « الالمانى » الاشهر اميل لودفيج ، ادلى فيه بدلوه بين الدلاء ، وساهم بآرائه الناضجة وفلسفته الخاصة فى دراسة هذا الموضوع الحيوى الهام الذى يلمس العصب الحساس فى حياة كل فرد . وقد قسم لودفيج كتابه الى اربعة ابواب ، هى حسب الترتيب الذى وضعه لها : (١) – فى الحب . (٢) – فى السعادة . (٣) فى العظمة .. واخيرا جعل للباب الرابع عنوانا غامضا هو : « ذات يوم » !

وفيما يلى اقدم لك الفصول الاولى من هذا الكتاب الشائق ، على ان اتبعها ببقية الفصول فى العددين القادمين .. كيما تكتمل لك – الى جانب الكتابين السابقين – دائرة معارف وافية للحب والسعادة

مقدمة المؤلف

◆ فى اللوحات التى رسمها كبار الفنانين ، تلمس دائما اثرا لشخصية الفنان . فالتصوير « الموضوعى » البحت لا وجود له ، واذا وجد فلا بهجة له ! والفنان – سواء كان وسيطه خرقة وفرشاة ، او قلما وقرطاسا – انما يسكب جزءا من نفسه فى العمل الذى يبدعه . والملاحظ المدقق يسعه ان يستشف شخصية الفنان من طابع رسمه او كتابته ..

ولا بد أن قراء « لوحات » التراجم التى صورت فيها – فى بعض كتبى السابقة – حياة عدد من العباقرة ، قد استشفوا فلسفتى الخاصة من مناصرتى شخصيات معينة ووقوفى موقف العداء من أخرى ، ومن اهتمامى بشرح آراء معينة وتحويرى وتبديلى فى أخرى ! .. ولقد انقضت خمس عشرة سنة منذ محاولتى الاخيرة أن أكون كاتب تراجم ، وها أنذا أعود اليوم فى صورة أدبية مختلفة .. فبعد أن صورت الكثير من الشخصيات فى القصص والتراجم ، اصور فى هذه المرة « نماذج » من نظراتى الى الحياة .. وهى نظرات أقرب الى الأحاسيس والانفعالات منها الى المبادىء الفلسفية او المنطقية ..

وقد انتقيت هذه الاحاسيس والانفعالات من بين تجاربى ، وصورتها تصويرا رمزيا ، لاعتقادى ان التصوير الرمزى هو امثل السبل لتحليل المشكلات !.. وهكذا سيرى القارىء فى الصفحات التالية تلميذا مخلصا لأبيقور ، ذلك الفليسوف الذى اساء الناس فهمه ، والذى احس انه اقرب الى من سائر فلاسفة الاغريق !.. وسيشهد القارىء دنيا فرد مشتط فى الايمان بالفردية ، يحاول ان ينتقل من دراسة القلب الانسانى الى دراسة الطبيعة جميعا !.. وانها لدنيا لا إثر للمأساة فيها ! .. وسيجد القارىء ايضا ان الذى يبدى هذه الآراء ، ويصور تلك الأحاسيس ، انما هو رجل اوربى ، يستهدف سعادة الفرد اكثر مما يستهدف سعادة المجموع .. رجل لا يهتم بالكبح والقمع ، بقدر ما يهتم بالاقدام ، وبالعاطفة ..

فالمثل العليا الثلاثة التى يدور حولها وجودى : الحب ، والسعادة ، والعظمة ، قد فصلت هنا فى أضيق نطاق ممكن ، كصور منتقاة من شريط الحياة .. وفى ختام كتابى رسمت لوحة ليوم من تلك الايام الناعمة التى قضيتها فى بيتى بين العمل واللهو .. ومن يدرى ؟ فربما خرج امرؤ من هذا الكتاب بدرس قيم فى وسيلة اصابة المثل العليا التى اسلفتها ، لابالجرى وراء باطل اللهو ، وانما بالعمل المجدى ، وبالنأى عن زخرف الحياة !

وعلى أى حال ، ها أنا أدعوك الى زورقى حيث أتأهب لمد الشراع كى يذهب يتهادى ، لا فى خضم المحيط ــ كما قد تظن ! ــ وانما على صفحة بحيرة منعزلة من بحيرات سويسرا !.. نعم ، سيقلع زورقى فى صبيحة يوم من أيام الصيف ، يحدوه النسيم العليل ، فيمضى يختال على مرأى من التلال ، والأحراش ، والقرى الصغيرة ، وربما ظللته أحيانا سحابات الصيف البيضاء

اميل لودفيج ــ كاليفورنيا

الباب الاول

فى الحب

١ - كيف نقع فى الحب ؟!

• فى خلال فترة الاستراحة باحدى المسارح ، نهض من مقعده رجل لا يشف مظهره عن سنه .. لقد أوشكت أعضاؤه أن تتجمد فنهض يخفف من توترها .. ذلك انه حين انتقل به مشهد الممثلة الاولى - البريمادونا - المتدفق بالحيوية الى عالم آخر ، وملأ حفيف ثوبها الفضفاض سمعه وبصره .. وعندما تأرجحت نغمات الكمان بين الصعود والهبوط ، أحس كأن جسمه قد من رصاص !.. غير أن تألق الأنوار فى جنبات المسرح ، ودوى التصفيق ، عادا به رويدا الى نفسه ، فقام تاركا مكانه ، محركا رجليه ، مصلحا من شأن سترته ورباط عنقه !

.. لكنه لم يلبث أن عاد وشيكا الى مقعده ، وتناول منظاره المكبر - وهو فى حال من التوتر النفسي لا يريد أن يسلم بها - ورفعه الى عينيه وجعل ينظر من خلاله حواليه .. لم يكن يبحث عن شخص بعينه ، وانما كان ولا ريب يسعى الى استبقاء المشاعر التي تملكته . الى استبقاء ما رأى وما سمع . كان كيانه متأهبا منتظرا ، على أتم استعداد لتلبية أول حافز ..

وفجأة كف عن التلفت ! .. فقد ارتسم فى عدستى منظاره رأس امرأة ، كانت تميل قليلا الى الوراء ، وقد توجها شعر كستنائى ، وأضاء شعاع جانبى نصف محياها !.. وكانت تريح احدى ذراعيها على حافة المقصورة ، بينما غيبت الأخرى فى طيات ردائها المخملى الاحمر ، الذى يحاكى لون النبيذ ، وبدا فى عنقها المائل شريان نافر ! .. وكان وضع رأسها ينسجم تماما مع روح اللحظة ، فقد قربت ما بين رأسها وكتفها ، مع

انثناءة خفيفة ، كما لو كانت تستمع الى صوت يأتى من خلفها .. وما كان خلفها أحد ، بل كان « اللوج » خاليا الا منها ، فقد تركه رفقاؤها الى الممشى الخارجى . لقد أحس كل انسان عند ما اضيئت أنوار المسرح ، برغبة فى أن يقول شيئا ، ومضى يشبع رغبته .. غير أن وحدة الرجل وصمته هنــا ، ووحدة المرأة وصمتها هناك ، صنعت أول قنطرة خفية بينهما !

لقد اكتملت الأحلام التى أثارتها الموسيقى فى نفس الرجل بوقوعه على هذا المشهد . غير أنه لا الحلى ، ولا الكبرياء ، ولا الابتسامة ، بل ولا مايسمونه عادة بالجمال ، هو الذى أسره ! شىء واحد فقط أخذ بمجامع قلبه : هو روحها التى شفت عنهـا انثناءة رأسها ، فلاقت من روحه استجابة ! أحس بالرابطــة تجمعهما - على بعد المسافة بينهما ، وأحس كأن قلبه صحا بل صار اتم ما يكون صحوا ..

لقد قدر لقصة غرام أن تبدأ ، ما فى ذلك ريب !

ثم فتحت الابواب فى الطابق العلوى ، وعاد النــاس الى اماكنهم فى المقصورة ، وحركوا المقاعد وفرقوا بينها .. وارتدت المرأة سريعا الى نفسها ، وكأنها أفاقت لتوها من سحر الموسيقى ، فوقفت .. ورسم المنظار المكبر شكلها جميعا ! .. لم تكن أنحف من السيدة التى بجوارها ، لكنها وهى تسوى ثنايا ردائهــا المخملى ، وتمر بأصابعها فى رشاقة عليه ، حركت صور الحب ، الدائبة التغير فى مخيلة الرجل . أحس لكل حركة من حركاتها اثارة جنسية ينتظمها الاحساس العام بالحب الذى تملكه ! .. ثم أخلت هيئة الجد المرتسمة عليها السبيل الى ابتسامة ، عندما التقطت لها السيدة التى بجانبها وشــاحها الذى سقط على الارض عفوا ، وهنالك جرى فيض جديد من الأحاسيس والعواطف ، فى قلب الرجل ، كفيض النهر ! ولم تلبث الأنوار أن تخافتت ، وعلا صوت الموسيقى ، وطواه الفصل الثالث فى ضباب وردى جذاب .. وفى مكان مغنية « الأوبرا » ، أو على

الأصح أمامها ، ارتسمت له صورة المرأة المجهولة ، صامتة كالطيف ٠٠ وفى نهاية المنظر ، عنـدما جلست البطلة على الأريكة ، انثنى رأس المرأة جانبا ، وكأنما أمالته وراء الانشودة الذاهبة ، وبدا كأنها ترتوى من الموسيقى ومن حظها فى الحياة معا !

وسرعان ما تحولت الصور المضطربة فى رأس الرجل الى صورة واحدة واضحة : لقد قرر أن يهرع الى مدخل المقصورة عندما تنتهى « الأوبرا » ٠٠ وهناك وقف بقلب واجف ، كقلب شاب أوشك فى يقظته أن يحقق رؤيا تمثلها فى حلمـه ! ٠٠ لا بد انها ستمر به ، وينبغى أن يكون ذلك فى مكان يغمره النور ٠ أما أنها لن تكون متعجلة ، فقد أدرك ذلك من نموذج سلوكها ٠٠

٠٠ وبالفعل كانت آخر من ترك المقصورة ، ولكنها لم تحس حتى بوجوده ! ـ وكان واقفا فى مكانه وقد أذهلته الطريقة « الزجعية » التى أصلحت بها من شأن أسفل ردائها ، اذ رفعته الى مافوق ركبتها بقليل ! ـ ولكن شكرا لله ، لقد نسيت وراءها « البروجرام » !٠٠ وخطـا الى جانبها ، ثم سـبقها بقليل حتى أصبح فى مواجهتهـا ، وتدلت احـدى يديه الى جانبه ممسكة بقبعته ، وامتدت يده الأخـرى اليها بالكتيب ! ٠٠ وسد أمامها الطـريق ، وخوطبت فى صمت فكفت عن المسير ٠ وفى أعـلا سترة قصـيرة مفتوحة الأزرار رأت رأسا نبت فيه شعر قصير، يضرب لونه الى لون الرماد ٠٠ كما رأت شفتين جميلتين ركبتا

فى وجه تبدو فيه الحنكة والتجـــربة ، وعينين صافيتين تشفان عما وراءهما ولا تحجبان شيئا ٠٠

ووقف الغريبان لحظة أحدهما تجاه الآخر ، يربط بينهما ذلك الكتيب الذى امتدت به يد الرجل اليها ٠ ولما كان الرجل لم يقل شيئا ، فلم تحتج هى الى أكثر من أن تنحنى بأدب ٠٠ ثم مضت !

لقد قررت تلك اللحظات التى انقضت مصير شخصين لم ير احدهما الآخر من قبل ٠٠ وقضت عليهما ـ لفرط العجب!ـ بأن يذكرا احدهما الآخر ٠٠ وبسبب نظرة واحدة ، ولحظة عابرة ، انشغلت منافذ حياة كل منهما بصاحبه ! ٠٠ لقد كان الاثنان ، الى لحظات مضت ، غريبين احدهما عن الآخر ٠٠ أما الآن ، فقد طبع كل منهما شخصية صاحبه بطابعه !!٠٠أكانت الموسيقى هى الرباط الذى ربط بينهما ؟ كلا ! بل لقد استأثرت الوحدة بهذين القلبين برغم كل ما سلف فى حياتهمـــا من تجارب ٠ استأثرت بهما فى هذا الوقت بالذات من تاريخ حياتهما ، وفى هذا المساء بالذات دون سائر الأمسيات ، فخفقا بالأمل وبالحسرة ٠٠ ولأنهما خفقا معا فى توافق وانسجام فقد جمع الحب بينهما !

٢ ـ الحب « معركة » بين جسدين !

• **فالحب** اذن ظاهرة «جسمانية » فى كل الأزمنة ، وفى ظل كل الأجواء ، وعلى مر جميع مراحل العمر !٠٠ والحب قد يقع بغير تمهيد نفسانى ـ بل هـــو كذلك فى آلاف من الحالات ـ ولكنه لا يقع قط بغير تمهيد جسمانى ! ٠٠ حتى بطلة أشد حالات الحب روحانية ، حتى « بياتريس » ، لم تخلد الا بسبب مظهرها الجسمانى : فعندما رآها « دانتى » الشاب فوق الجسر وأسره منظرها ، جعل من هذه الرؤيا شغل حياته الشاغل ٠ ومن المحقق أن اعوجاجا بسيطا فى عظمة الأنف ، أو صدرا هابطا منبسطا ، أو حتى رداء منفرا ، كان ولا ريب

كفيلا بأن يصد الشاعر العظيم فى تلك اللحظة الحاسمة ،ويعوق انطلاق خياله !٠٠ ومن المحقق أيضا أن روح « بياتريس » شعت من ناظريها ، وتبدت فى لمحات بصرها ، ولكن أنوثتها هى التى حركت « دانتى » ، وهى التى كان يضمها فى خياله ويعانقها فى أحلامه عندما رفعها الى السماء ملاكا طاهرا ، بينما كانت تلد الطفل تلو الطفل لرجل آخر !!

وبين هوى « بياتريس » الطاهر العذرى ، وبين « سيدة الاناشيد » التى وصف شيكسبير قصة هواها ، ومثلت على المسرح ٠٠ بين هذين الطرفين الأقصى والأدنى ، اللذين قد يميل الهوى بينهما الى هذا الجانب أو ذاك ، تقع دنيا بأسرها ! ٠٠ ومع هذا فالطرفان يجتمعان تحت لواء حقيقة واحدة ، هى أن المظهر الجسدى لامرأة قد جذب اليه رجلا ، وأيقظ فيه شاعرا نائما ٠٠ تماما كما فعل رأس المرأة المائل فى دار الأوبرا !

وليس ثمة حب بغير احساس بالفوز فى حلبة سباق ! ٠٠ ويتمثل هذا الفوز فى تقارب الاثنين ، وامتلاكهما أحدهما الآخر فى النهاية ، ويبدو هذا الفوز واضحا جليا فى أبسط صوره ، وأدناها الى الطبيعة ، فى «لعبة الحب» عند الحيوان ٠٠

هو سباق ، نعم ٠٠ ولكنه ليس سباقا بين روحين ، أيهما أقوى وأغنى وأسمى ، بل هو فى واقع الامر سباق يوشك أن يكون صراعا بين جسدين ٠٠ والذى ينكر ، أو يسعى جاهدا الى اجتناب الحب على هذه الصورة ، لن يفهم الحب قط !

وبينما الرجل يعترك فى الحب ويلهو معا ، اذا هو يصل من الحياة الى أرقى مراتبها ، بل انه ليقترب هنالك من الآلهة !

فالاختيار اذن ، واحراز قصب السباق ، هما عنصرا الحب الأساسيان ٠٠ أما الاحساس بأننا فى حلبة سباق ، وهو الاحساس الذى نستشعره فى كافة مخاطراتنا ومغامراتنا ، فهو عامل مميز للروح الانسانية فى كل حالاتها ، ومنها « حالة »

الحب .. واذا كان القديس ، والفيلسوف ، والبحاثة ،والأب، والصديق ، يرفعهم احساسهم بالتسابق ، الى مصاف الروح المجردة ، حتى أنهم قد لا يعزفون من مواقع الانتصار غير الموت، نجد أن العاشق هو وحده الذى يلتزم حدود العالم الجسدى ؛ ولهذا فهو وحده الذى يدرك النهاية التى يحق له عندها أن ينعم ويهنأ .. النهاية التى لا يصل اليها فى أى سباق آخر ! **فكل معركة بين شخصين لابد أن تنتهى بانهزام أحدهما ، الا المعركة بين الحبيبين فهى تنتهى بانتصارهما كليهما !**

وان هذه المعركة لتبدأ بنظرة !.. فالشىء الذى أسرع بهذين الشخصين ، فى دار الأوبرا ، أحدهما الى رحاب الآخر ،وجعل من غريبين مثلهما شخصين لن يلبثا حتى يشكلا حياتيهما من جديد ويؤثران أحدهما فى حياة الآخر ، لم يكن فى البداية سوى نظرة ، أو قل نظرتين التقتا فقالت احداهما للأخرى : « أحبك » !

وانها العين التى تجرى الاختيار أولا . ويستوى أن ترى العين الشخص حقيقة ، أو ترى « نموذج » روحه ، وطابع شخصيته .. فالعين ولا شك رسول « التجاذب » بنوعيه : « الروحى » ، بين النفوس ، و « المادى » بين الاجساد .. وتنفرد العين بهذه الخاصة دون سائر الحواس الاخرى ..فانه لا يحدث الا فى القليل النادر أن يجتذب صوت يشدو أو يتردد فى أسلاك التليفون أو على أمواج الأثير ، شخصا آخر الى صاحب الصوت !.. يقول «جيته» : « **ليت شعرى : لم هذه الحواس جميعا ؟! انهـــا لا تجدى السعادة الا اضطرابا وتعقيدا ! .. عندما أراك أود لو فقـــدت السمع .. واذا ســمعتك وددت لو فقدت البصر !** »

ويعبر « كازانوفا » فى أحد آرائه المتعمقة ، التى رفعته — رغما عنه — الى مصاف فلاسفة الحب .. يقول عن أهمية « النظرة » ، والمقدرة على التعبير بها : « **ان امرأة مجردة من**

الثياب ، مستلقية امامنا وهى مغطاة الوجه ، لن تثير فينــا اهتياجا .. ولكن امرأة كاملة الثياب ، سافرة الوجه ، قد تثير فينا ذلك الاحساس الجنسى الخفى الذى يبدأ عنده كل حب !..
فالرجل الذى يقبل أن يمتلك امرأة محجبة الوجه ، ولا يستطيع أن يمتلكها الا ووجهها مغطى ، قد يفقد عقله لمجرد التفكير فى انه لا يعرف لمن وهب نفسه !.. ولا ريب أن كل رجل قد جرب ، ولو مرة ، السحر الذى يفيض من عينى امرأة كاملة الثياب أو من ابتسامتها ..

ومن ناحية أخرى ، فان جسد شاب قوى مكتمل النمومستلق على أريكة ، تلتقطه عينا المرأة ووجهه مغطى بمنديل يقيه حرارة الشمس ، يفتن المرأة أقل بكثير مما تفتنها ابتسامة وجه معبر لشاب مكتمل النمو يمر بها فى اللحظة عينها ! »

ذلك أن للحركة فى هذا المجال أهمية عظمى ، فمنظر الشخص النائم يستدعى الاحترام ، تماما كما يستدعيه منظر الميت ، ولهذا السبب كان آلهة الاغريق اذا هبطوا على فتيات عرايا نائمات ، لا يجرؤون على أكثر من تقبيلهن .. فالحب أشبه بمعركة مستعرة الأوار ، كل حركة فيها تثير أعصاب الشخص الذى جمحت به الرغبة .. أما السكون ، فيسير بالرغبة الى التضاؤل والانحلال !

والحركة تولد بدورها الحركة ، فان اثنين يترجلان عن جواديهما ، بعد وقت أمضياه فى الركض ، خليقان بأن يشدا جواديهما الى جـــذع شجرة ، ثم يهويان الى الأرض المكسوة بالحشائش ويحتويان احدهما الآخر ، وكأنهما يتابعان ماكانا عليه من حركة رتيبة منظمة ..

٣ - هل نحب من يشبهنا ، أم من يخالفنا ؟

• ولكن ، اين يا ترى أودع سر الاختيار ؟! .. ما الذى يجتذبنا بعضنا الى بعض ؟ أهو التشابه ، ام التناقض ؟ .. هل نحن نحب لأننا نريد أن

نفير ما بانفسنا ، ام نحب لأننا وقعنا على شريك تلائم ميوله ميولنا ؟
كلا الاحتمالين جائز ، وكلاهما يوصل الى نتيجة .. فكثيرا ما نصادق شخصا قد قرب اليه صديقين ظلا دائما غريبين احدهما عن الآخر : فهو قد قرب احدهما اليه لتشابه ما بينهما ، وقرب الآخر لتناقض ما بينهما ! .. فالرجل الاسمر يبحث عادة عن فتاة بيضاء أو شقراء ، ولكنه يجد نفسه ، ولو مرة - للرط دهشته - منجذبا الى سمراء يخالها الناس اختا له !

وكما ان الصداقة بين شخصين متشابهين فى الشكل والخلق تكون فى العادة امنا واوثق من الصداقة بين شخصين متناقضين ، فكذلك الحب بين انموذجين متناقضين ، غالبا ما يكون اقصر اجلا ، وان كان أكثر شدة وعنفا ! .. وعلى هذا فالزواج الناجح بين نقيضين جائز فى حالة ما اذا نما الشخصان معا ، واذا ضحى كل منهما بشىء من نفسه فى سبيل الاتفاق والوئام .. فى حين انهما فى البداية ، عند ما استحوذ الواحد منهما على فؤاد الآخر ، كان تناقضهما هو مصدر هذا التجاذب بينهما ! .. ذلك ان اجتماع طبيعتين متناقضتين ينجم عنه حتما تطاير شرر العاطفة وشبوب نار الحب ، وهناك يختلط الأمر عليهما فلا يدرى احدهما أهو « التيار الموجب » ام هو « التيار السالب » !

انظر الى هذا الطاووس الذهبى وانثاه .. انه يندفع وراءها رافعا تاجه فوق راسه ، ولكنها تناوئه وتصده ، ثم تنفلت منه وتنطلق تسابق الريح ، فيندفع وراءها ، حتى يتمكن اخيرا من ان يضيق عليها الخناق فى ركن صخرى .. وهناك يحك ريشه العلوى الذهبى بريشه السفلى الأزرق ، وفجاة يطلق صرخة الفائز المسرور ، ويحتويها فى نشوة وحماسة .. فتنزعج هى ، ويكاد يغشى عليها ، ولكنها مع ذلك تستشعر السحر والنشوة ! .. مثل هذه المناظر الرائعة ليس لها شبيه عند الانسان .. والواقع ان عمل الحيوان لا يبدو احقر وادنا من عمل الانسان الا عندما يمسك الحيوان بانثاه ، ويعتليها ، ويهزها ، ثم يتزاوج معها .. اما الانسان ، فهو وحده الذى تزود لكل الاحتمالات بسيل لا ينقطع من الاحلام والافكار ، ولذا فانه وحده الذى يسعه أن يرقى بهذه الغريزة الى اقصى مراتب النشوة النفسية ..

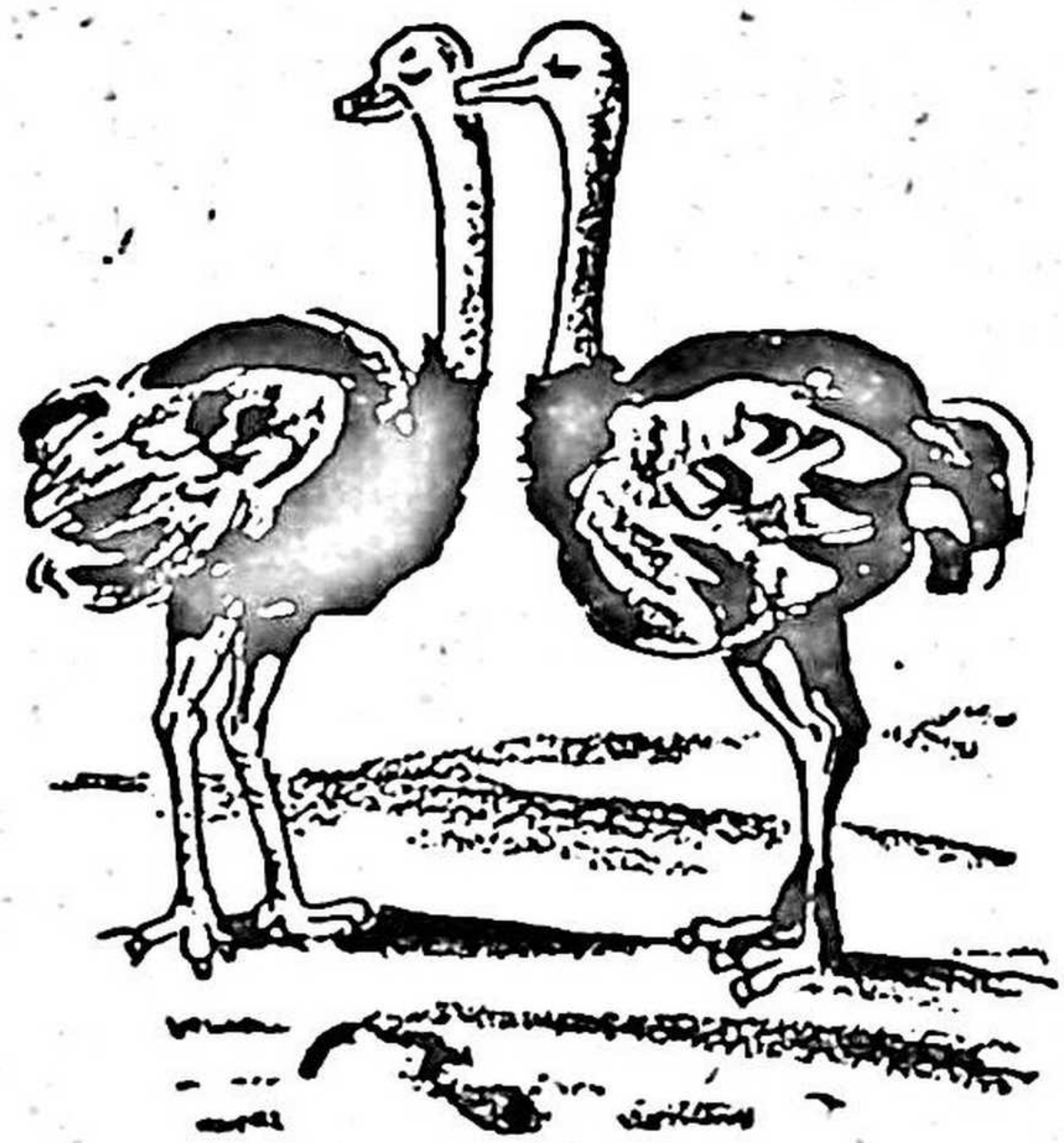

شرراة الحب قد تتولد من مجرد التقاء العيون !

◆ ومع هذا كله ، فعندما تشب نار العاطفة ، تكون كلها حسية مادية ! فمنذ اللحظة التى تدفع فيها قوة غريبة مجهولة بشخصين احدهما فى اتجاه الآخر ، عن طريق التقاء الأعين ، يجد كل من الاثنين نفسه غارقا - رغما عنه - فى لجة من المشاعر الحسية .. فالشىء الذى يسر الفتى ، ويسعده ، يدفعه إلى الرغبة القوية فى ادخال السرور على فتاته وازجاء السعادة لها ، ومحاولة ان يكون عند حسن ظنها به فى كل كلمة يقولها او حركة ياتيها !.. وهذا الاحساس البسيط الأول غالبا ما يتعقد فى حضور الغرباء او بسبب العادات والعقائد والتقاليد التى انشاها المجتمع . فاللحظة التى يتعارف فيها اثنان بواسطة ثالث ، فيحنى كل منهما راسه للآخر - وقد لا يصافحه ! - هذه اللحظة الخاطفة تكون حافلة بمخبئات الاقدار ، فان روحين سابحتين فى مداريهما قد يلتئم شملهما فى تلك اللحظة نفسها فتصبحان روحا واحدة ! .. وقد تتقرر عندئذ ليالى بل سنين من الهناءة والسرور .. وقد يقدر لأطفال واجيال ان تولد وتنسل !

واذا اختار كل منهما الآخر حبيبا ورفيقا ، صارا عندما يتحدثان معا - سواء عن الحرب او الموسيقى - تجيش فى نفسيهما احاسيس « الطاووس » الذهبى ومشاعره ! .. واذا كانا خبيرين بالحب وليسا جديدين فى ميدانه ، فسيعرف الواحد منهما فى الحال ما يحس به الآخر وما يفكر فيه ! .. فمثلا قد ترتفع يد المراة النحيلة الرشيقة رويدا الى فتحة ثوبها العليا لتسويها بعد ان استقرت نظرة الرجل عليها ! .. وقد تغرى هذه الحركة الرجل على ان يتابع سياحة نظراته .. وها هى تستقر الآن فوق نهديها .. فافكار الرجل تتبع حركة يدها وتحدو به الى تصور الدفء الذى تحسه الآن إصابعها !

سحر المرأة وأين يكمن ؟

◆ والواقع ان لا شىء فى بداية علاقة الحب - واحيانا طوال مرحلته كلها - يؤثر فى خيال الرجل اكثر مما يؤثر ثديا المراة ! .. ولا شىء قط فى جسده هو ، يملك المقدرة على مثل هذا التاثير فيها ! وهنا يتضح السبب فى هذه الحقيقة الصادقة فى كل الأزمنة ، وفى كل البلدان ، وهى ان المراة لا يمكن ان يستثيرها مراى رجل كامل الثياب ، كما يستثير الرجل مرآها وهى كاملة الثياب ! .. ومن هنا نرى معاهد الازياء فى كل الازمنة قد اختصت المراة بعنايتها دون الرجل - وقديما كان نساء العصور السالفة يرتدين اردية مخملية فضفاضة جذابة لم يعرف عصرنا هذا لها مثيلا !

وعلى ذكر ثديي المراة ، يغلب على الظن ان الطبيعة لكى تعوض عن الخفاء الذى ضربته على المصدر الأول للاثارة الجنسية فى المراة ، قد ابرزت هذا المصدر التالى له فى الترتيب واظهرته بوضوح شديد ، حتى ان ايدى الفنانين ـ على مر العصور ـ كدت فى تصوير نهدى المراة وابراز مفاتنهما ، الامر الذى يبين مدى عمق الصلة وتوثقها بين الفن والحب ..

والواقع ان كل ما يبدو من جنس لعين الجنس الآخر قد يكون هو سبب انجذابه به واختياره اياه ! .. فنظرة المراة تلمح ، ضمن ما تلمح ، شعر الرجل ، وانفه ، وترقب كيف يضع يده فى جيبه ، وكيف يمسك بعود الثقاب ، وكيف يتخطى حجرا ملقى ، ونوع الحذاء الذى ينتعله .. الخ .. وفى تلك اللحظات الحائرة المضطربة ، قد تعطل الاختيار وتعوقه طريقة الرجل فى القبض على عصاه وهو يلعب « الجولف » ، او طريقة المراة فى رفع يدها عن فتحة ثوبها ووضعها على حافة المدفاة ! .. وكثيرا ما تفرق بين المصائر ، طريقة المراة فى ترطيب شفتيها بطرف لسانها ، او ضحكة الرجل الصاخبة التى جاءت فى غير موضعها !.. كما ان تلطفا زائدا ، وترفقا جاوز الحد يبدر من احدهما او يجلسان جنبا الى جنب فى السيارة ، او محاولة تبدر مبكرة عن موعدها ، قد تقضى على كل شىء وتبدده هباء !

٤ ـ الحب يرهف احساس أغلظ الناس !

♦ واذا لم يكن الحب بمثابة « سباق » بين الجنسين ، فكيف اذن تغنى الشعراء من زمن الفراعنة الى اليوم ـ وسيظلون يتغنون الى الابد ـ بهذه السلسلة الطويلة من المعانى ، بادئين باللحظة التى تم فيها الاختيار الاول ، منتهين الى اللحظة التى تم فيها التسليم الاول ؟! .. الواقع ان الحب هو الشىء « الفنى » الاوحد الذى يتذوقه ابعد الناس عن الفن ، ولو مرة واحدة فى حياته .. فالرسالة او الزهرة التى انهالت عليها القبلات قبل ارسالها ، قد ذرعت الدنيا طولا وعرضا ، وقربت اقل الناس حظا من الخيال الى دنيا الشعراء ولو لبضع دقائق .. يعود بعدها الى دنيا الواقع ، ويهبط من عالم الروح الى عالم المادة ، فيلجا الى احاديث التورية الملتوية ذات الوجهين .. والى التعبيرات التى تطلق على المعنى القريب وتومىء الى المعنى البعيد .. او تطلق على الواضح البين وتهدف الى الخفى الخبىء !.. ها هما الحبيبان واقفان مثلا فى ركن غرفة يتاملان لوحة فنية ، فاذا الرجل يمتدح فى حماسة تلك الفتاة العارية التى رسمها « امالول» . واذ ذاك تفهم رفيقته توا انه يتمثل فى هذه اللحظة صدرها ؟ .. ثم انظر اليه . انه فى الوقت نفسه يضع يده فى جيبه ، ويقف وقد شد عضلات جسمه فاظهر فارع قوامه ورشيق قده ، ووضع امام عينى رفيقته النموذج الكامل لرجولته .. بل انه يتخطى هذا كله الى ابتسامة

عريضة يفتر لها فمه عن اسنان بيضاء ناصعة ، كى تستشف رفيقته من وراء ذلك كله مقدار حيويته ومبلغ قوته !

وهناك مئات من التقاليد والاعتبارات الاجتماعية تناى بالحبيبين عن المتعة الحسية فى مرحلة مبكرة من حبهما ، وتجعل السباق من اجل الحب يتقدم بطيئا متعثرا ، فيمتد بامتداده اجل المتعة النفسية التى يجنيها الرفيقان مثلا من اجتراع كاسين من النبيذ معا ، او من تناول قطع الحلوى ، او من العودة الى البيت سيرا على الاقدام !

فاذا ما تم الاختيار ، جعل كل من الرفيقين يدبر الفرص التى تمكنه من الاقتراب من صاحبه : فقيام الرجل من مقعده منتفضا ليساعد فتاته على ارتداء معطفها ، كى يلمس كتفيها ! .. وتحفز المراة وهى تلتقط من الرجل منديلها الذى اسقطته عمدا ، لكى تلمس يده ! .. ومرورهما معا من باب ضيق يحتم احتكاكهما .. مثل هذه اللحظات التى تسنح لهما منذ الساعات الأولى التى تعقب اتمام الاختيار ، تثير فيهما رعدة ونشوة لا يدانيها حتى الاتصال الجنسى المطلق فيما بعـد !.. (فضلا عن أن الأزياء العصرية ـ التى تكاد تكشف عن معظم اجزاء الجسم ـ قد حرمت الرفيقين من الاستمتاع باللحظات المثيرة التى كان يكفلها فى الماضى اجتماعهما الأول !)

الشك يحيى الغرام !

◆ وللشك دور كبير فى انماء الحب فى مرحلته الاولى ! .. فانت ترى الرفيقين قبل المساء الذى حدداه لاتمام الاختيار ، وقد اغلق كل منهما باب غرفته دونه ، وجعل يردد لنفسه كل عبارة فاه بها رفيقه ، ويستعيد كل نغم من نغمات صوته ، ويتمثل المواضع التى تفوه بها رفيقه بهذا اللفظ او ذاك .. اجل ! فالشك ما يزال حيا فى قلبى الطرفين ، وهما ما زالا يتساءلان : اترى الأمر كله لا يعـدو ان يكون خيالا ؟!.. اما المراة فان الشك يجعلها تسائل نفسها وهى ماثلة امام المرآة تصلح من زينتها : « ترى هل لا يزال يحبنى ؟ » .. وهى تتصور فى موقفها هذا انها تسائله ، ولكنها فى الوقت نفسه تسائل نفسها : « هل احبه حقا ؟! » .. وبينما هى تعرض فى راسها الصغير مئات الأجوبة المتناقضة المتباينة ، اذا بها تستسلم للكرى ، وهنالك ياتيها رفيقها بالجواب الصحيح على اجنحة الاحلام !

.. او لعله ياتيها بالجواب حقا على اجنحة الهواء .. فقد تمتد يده فى تعثر فتمسك بسماعة التليفون ، ويفاجئها نداؤه ، ولكنها تتمالك نفسها وتتصنع الاتزان فلا تندفع وراء اسئلته ، بينما يبتسم كل منهما لنفسه فى شىء من الاضطراب ! .. اجل فالتليفون اصبح عاملا مهما من عوامل الاتصال ، وانه ليهيىء للحبيبين فى هذا العصر الحديث نوعا طريفا حقا من انواع الوصال !

وتلك الطريقة المصطنعة التى ترد بها على اسئلته ، وذاك النغم المتعثر الذى يحدثها به عن أشياء تافهة بينما هو يضمن صمته بين كل عبارة واخرى مدلله الحقيقى ، وهـذا الخيال الذى يجمح به يريد أن يصور له كيف تبدو الآن وهى تخاطبه ، وهذه الفـكرة الساحرة التى تداعبه وتوحى له انها ستدعوه ليذهب اليها ! تلك هى وسائل سباق الحب ٠٠ غير ان الحواس الخمس هنا قد تخلت عن اعبائها للاذن وحدها فلم تقو الاذن على حمـل هذا العبء كله ، فقوى بذلك ساعد الشك !

وفى الاجتماع التالى تقوم الحواس الخمس كل بنصيبها الطبيعى ، ولكن ميدان عملها يطول ويعرض ، وتتسع فيه المنافذ ، وتتعدد السبل ٠٠

٥ ـ أهمية اللقاء الثانى !

* المرء مجبول على التعجيل برؤية منظر ساحر ، او الاستماع الى لحن رائع ، او الالتقاء بحبيبه مرة ثانية !٠٠ فان الرهبة والاضطراب ، والدهشة والتساؤل ، والشك والنشـــوة ، تحول كلها دون ان يستمتع المرء فى المرة الاولى برؤية « روما » مثلا ، او الاستماع الى « السيمفونية » الخامسة لبيتهوفن ، أو ـ عـلى الأخص ـ الالتقاء بالحبيب الـذى اختاره ! ٠٠ اما زوال الدهشة ، والاطمئنان الى حسن الاختيار ، وتحول الجبن والحياء الى ابتسامة رقيقة ، فلا يحدث كله الا عند الالتقاء الثانى بالأشـخاص او الأشياء التى اجتذبتنا !

اجل ! ٠٠ فنحن ينبغى الا ننسى سـحر اللقاء الثانى ، الذى هو فى الواقع بمثابة اللقاء الأول الذى نعيش فيه بكامل حواسنا وجميع كياننا ٠٠ فهناك ينساب سـيل من الأطياف والخيالات والأحـلام التى تؤكد لنـا ، وتقرب الى ادراكنا ، اننا قد امتلكنا حقا الشخص الذى وقع عليه اختيارنا فى اللقاء السابق !

واللقاء الثانى هو الذى يسعنا فيه تقدير الموقف تقديرا واضحا بينا ، وتحليله تحليلا منطقيا ومعقولا ، والتفكير فيه تفكيرا قويا سليما ، ينتهى بنا الى الانصات لصوت قلوبنا وهى تصرخ فينا اننا احسنا الاختيار فلم نزل ولم نخطىء ٠٠ ومن ثم نذهب نحاول ، من هيئة ثيابنا ، واسلوب حوارنا ، ان نؤكد للرفيق المختار انه بدوره قد احسن اختياره فلم يزل ولم يخطىء !

ثم تجمح بالرفيقين الرغبة فى التعجيل بقطع الطريق ، فاذا هما يضربان صفحا عن كل ما بدر منهما ولم يرق لأيهما : كعبارة افلت بها اللسان او حركة زل بها الجنان ، واذا هما تحت ستار ابداء رضائهما التام ، يحـاول كل منهما استدراج صاحبه عن طريق التساؤل الكثير الى كشف النقاب عن الماضى الخبىء !

.. والزيارة الأولى !

◆ ولعل زيارة الرجل الاولى لمنزل المراة التى اختارها ، من الأهمية بمكان كبير .. فهنالك يسعه ان يتعرف على حقيقة ذوقها ، وحبذا لو كانت لها حجرة خاصة بسيطة بدلا من قاعة فسيحة يزدحم فيها الأثاث والرياش .. كما انها عند زيارتها الاولى لمنزله تنتهى الى راى فيما ينقصه ، وفيما يسعها ان تمده اليه من عون ..

والرجل فى مثل هذا الموقف يكون موضوعى النظرة والراى : فكونها تفضل اللون الأحمر على ما سواه من الوان ، ينبئه عن ميولها باكثر مما ينبئه تفضيلها الديموقراطية على ما عداها من النظم !.. واذا كانت ترعى طائرا فى قفص ، فانه يستخلص من هذا مقدرتها على ابداء العطف - وحبها الشديد لنفسها فى الوقت نفسه ! - كما ان الطريقة التى تحمل بها قطها وتضعه على ركبتيها وتمرر اناملها عليه ، توحى الى الرجل باكثر مما توحى اليه آراؤها فى الحرب العالمية الثانية !.. فالعقل قلما يساعد على انماء الحب واذكائه ، بل قد يخنقه فى مهده !

وقلما « يصمت » المرء فى هذا اللقاء الثانى .. انه يتكلم ، ولكنه يحمل كلماته كل ما وسعت الكلمات من المعانى الخفية !.. وفى اللحظة التى ينتقل فيها التخاطب من لفظ « حضرتك » الى التخاطب بلفظ « انت » .. تنبعث القشعريرة فى جسديهما كما انبعثت عندما تلامست الأيدى ! وتصطبغ الرغبة الجنسية فى الحبيبين عندئذ لأول مرة بصبغة روحية ، وغالبا ما تبدأ الشفاه التى فرغت توا من التقبيل ، باول استعمال للفظ « انت » !؟.. ولكن حتى الى هذه المرحلة ، يكون الطريق ما زال محتاجا الى مزيد من التمهيد .. فان شك الرجل ، وخجل المراة ، والتباطؤ والتلكؤ من كليهما ، قد تحول كلها دون تلاقى الشفاه ، وتطوح بالقبلة الى موضع من الخد الأسيل ، او الشعر الداجى ، ظل يجتذب الرجل زمنا طويلا ! .. وهكذا يظل الاثنان يحسان ان السباق ما زال جاريا ، وان فرصة التراجع متاحة ، الى ان تتلاقى الشفاه .. فليس غير القبلة الحارة الصادقة خاتم يوقع ميثاق الحب بين الرفيقين !

القبلة الاولى .. والقاء السلاح

◆ والقبلة الاولى هى نقطة التحول الدقيقة فى كل قصة غرام .. فهى تؤثر فى علاقة الحبيبين احدهما بالآخر اكثر مما يؤثر التسليم النهائى ،

ذلك ان القبلة فى حد ذاتها تنطوى على معنى التسليم النهائى . وهنا يختلف الكفاح من اجل الحب عن اى كفاح آخر ، فهو كفاح روحى يبذل فيه المرء من نفسه وروحه ، وان لاح انه يغنم ويكسب !.. فبينما المحب تزيده كل لحظة تمر عليه فناء فى محبوبته ، لانه يعيش فى حياتها ويستنشق عبير انفاسها - ومن ثم فحياتها ايضا تزداد غنى وثراء مستمدين من حياته - اذا بالقبلة الاولى ترفعهما كليهما الى عالم طلق منزه من كل غرض .. وتقودهما النشوة ، والرهبة المستعذبة التى تتملك على الاخص الحبيبين الحديثى السن ، الى ابواب الفناء ، حيث يحسان فى تلك اللحظة انهما قد وصلا من منافذ الحياة الى منفذها الأقصى .. وهذا هو السر فى ان العاشق ينزع الى الوحدة ويهفو الى العزلة ، كى يحقق فى سماء خياله اتصاله الروحى بمن يحب ، تماما كما ينشد الناسك العزلة ليعبد الله ، او كما يخلو الفنان لنفسه كى يؤلف لحنا ..

ولعله يسعنا ان نتخيل ذلك الحب الذى يرتفع الى سماء القبلة الاولى ليود الحبيب لو انتهى اجل الحب كله هناك ، فلا يعود يتعرض بعد ذلك لما يبخسه قيمته ، ويسلبه جوهره... فالقبلة الاولى هى جوزاء سماء الحب ، ولن يدانيها بعد ذلك فى المنزلة شىء !

ومع هذا كله فالرومانطيقية لا تبدأ الا بعد القبلة الاولى ! فقد لا تمر سوى لحظات ، وقد تمر اعوام ، بين القبلة الاولى وبين القاء المراة سلاحها .. وتقريب امد هذه الفترة او اطالتها يعتمد دائما على شخصيتى الرجل والمراة ، وعلى تجربتهما ، وما كان لهما من ماض .. فالأمر كله يعتمد على الذوق دون العاطفة .. وقد طالما تعثر العاشقان الغريران فى تلك الفترة التى اعقبت القبلة الاولى ، لقلة حظهما من الخبرة والتجربة . بل ان مجرد تفكير العاشق « الغرير » فى انه سيهوى من علياء سماء الروح المنزهة الى ارض الجسد المغرض ، قد يدفعه احيانا الى الانتحار !

الحب الأول ، ينتشى به الشاب والفنان !

◆ واكثر من ينتشى بالحب الأول هم ذوو المشاعر المرهفة ، والأنفس الفائقة الاحساس ، الذين يطوح بهم الحب الى عالم الطفولة المرح السعيد ، ولكنهم فى الوقت نفسه يحسون انهم قد القى بهم فى عالم غريب عنهم ، وان يكن ابهج واغنى !.. اما بين من تجاوزوا عهد الشباب ، فلا يعدل الشاب فى نشوته بالحب ، الا الفنان !

ولما كان الرجل يجرب احتدام العاطفة وشبوبها فى زمن الصبا ، فهو لذلك خليق - اذا ما تقدم به العمر ، واستقر به المطاف ، واطمان الى الحياة - ان يرجع الطرف الى زمن الصبا الذى انقضى ، وعلى شفتيه ابتسامة

هى مزيج من الاشفاق والسخرية مما يسميه حبه الأول !.. فتراه وقد اتزن عقله ، واكتمل ادراكه يتندر ويتفكه بما جرى له فى عهد الصبا الجائش المضطرب .. ومن هنا كانت الصخرة التى تتحطم عليها كثير من الزيجات : فالمراة اذا تقدم بها العمر لا تسخر من الحب ولا تستهزىء به .. فهى على نقيض الرجل لا تميل الى النظر الى الحب كمجرد متعة للخيال والقلب ! واشد ما تلتهب عاطفة المراة فيما بين الثلاثين من عمرها والخمسين ، اى فى ذلك الوقت نفسه الذى ينشغل فيه الرجل بالكفاح من اجل الوجود ، والثروة ، والمركز ، والشهرة ..

وهذا التباين فى مراحل العاطفة بين الرجل والمراة مرجعه الى الطبيعة الحيوانية فى كل منهما : فالرغبة الحيوانية الجامحة فى الرجل تسعى الى ان تنطلق وتتحلل من ذلك الضغط الكبير الواقع عليها . ولهذا فالرجل اقل ميلا ، بل اقل مقدرة على اطالة زمن الحب من المراة التى تدفعها الرغبة الحيوانية الى الحصول من الرجل على اكثر واكثر .. وهذا هو السبب فى ان الحب هو العنصر الذى لا تستغنى عنه المراة ابدا ، فى حين يستطيع الرجل ان يستغنى عنه ، ان لم يكن على الدوام فلفترة مؤقتة على الأقل !

وبينما الطبيعة تقود المراة فى المسالك التى تؤدى الى الحب ، ذلك الحب الذى لا تستبين اثاره الا بانجاب الأطفال ، اذا بالرجل يقنع من هذا كله بالتخفيف من ضغط حوافزه ورغباته ! وقد يحطم الرجل الزواج بدافع من كبريائه وغروره ، او لكى يقنع نفسه بانه ما زال شابا وان تقدمت به السن .. وقد تحطم المراة الزواج ايضا ولكن بالاندفاع وراء خيالها !

واذا كان زمن شبوب العاطفة فى الرجل يتقدم زمن شبوبها فى المراة ، فليس بعجيب اذن ان ينشا الحب بين شاب وبين امراة تفوقه سنا . ومثل هذا الحب يثمر احسن الثمر ، الا ان معظمه ينتهى الى ماساة .. فالمراة المكتملة تستمتع بلذات الحب من جديد فى ظل الشاب ، وترتفع بها طبيعتها كامراة ناضجة الى مراتب من السعادة لا توصف ، كما ان الشاب بدوره يسلم ، فى ظل امراة تكبره سنا ، من الارتباك والرهبة التى تصاحب زواج اثنين حديثى السن .. وتتجلى روعة الحب كفن يمكن اكتسابه والتدرب عليه، فى شاب وفتاة حديثى السن ارتبطا بالزواج ، ثم اخذا ـ بعد مضى وقت قصير او طويل ، او ربما بعد ان انجبا اطفالا ـ فى التعلق باهداب الحب واكتناه اسراره !

وفى العدد القادم ، نقرأ معا الجزء الثانى من هـذا الكتاب الممتع !

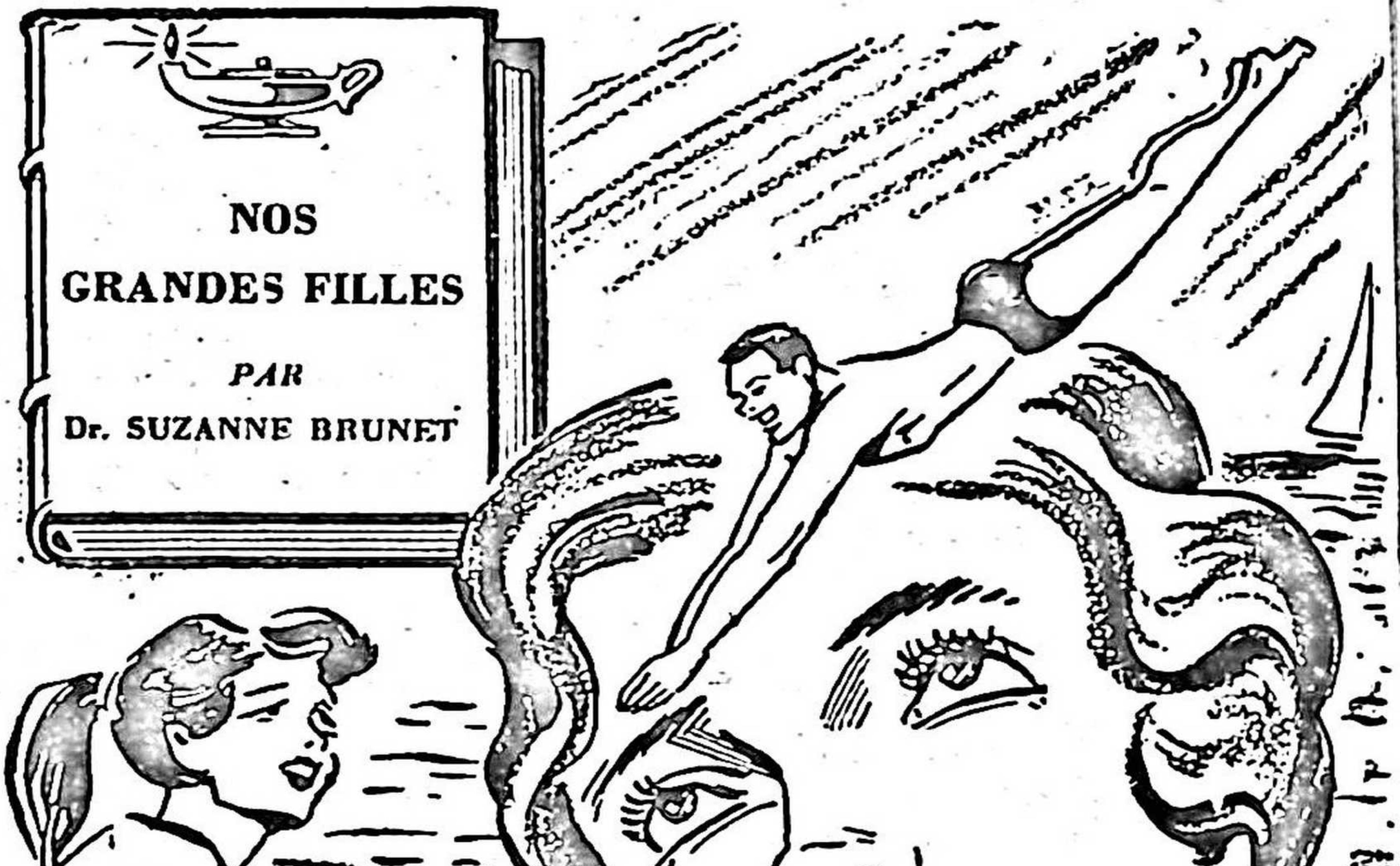

مدرسة الوالدين

للباحثة الفرنسية
الدكتورة سوزان برونيه

فتياتنا .. المراهقات!

تلخيص : كليم ابو سيف

الخفقات الأولى ٠٠ لقلوب المراهقات !

◆ اذا سمعت ناقوس الخطر يدق فى منزلك ، ذات يوم من ايام الربيع ، فاعلم ان ابنتك اصبحت على عتبة حياة جديدة ، لن تلبث ان تلجها ، وقلبها يخفق خفقاته الاولى ، المضطربة ، المترنحة !٠٠ انها قد انتقلت من مرحلة الطفولة الى مرحلة المراهقة ٠٠ وآن لك ان تتساءل : ما العمل ؟٠٠ هل هى فى حاجة الى رقابة ؟٠٠ ام الى حراسة ؟٠٠ ام الى حبس فى منزل مغلق عليها ، لا يزورها احد ، ولا تزور احدا ؟!

ان البحث الذى اقدمه اليك اليوم ينير امامك السبيل ، فى هذا الأمر الذى يعد جد حيوى ، بالنسبة الى كل اسرة تضم بين افرادها فتيات • وهو من البحوث التى قدمتها الباحثة الفرنسية الدكتورة « سوزان برونيه » ، فى سلسلة المحاضرات التى نظمتها « مدرسة الوالدين » بجامعة باريس ٠٠

انتبهوا ٠٠ لقد تغيرت ابنتكم !

◆ كثيرا ما نسمع الآباء والامهات يكررون هذا القول عن بناتهم :

« لم يعد فى الامكان فهمهن ، فقد تغيرن تغيرا تاما » !٠٠ واذا بفتياتنا يجبن على هذا الاحتجاج ـ وهن نصف مستسلمات، نصف متمردات ـ بشكواهن من آبائهن وأمهاتهن قائلات ; « ان آباءنا وأمهاتنا لم يعودوا يفهموننا » !

ونحن نعترف بأنه ليس من اليسير ادراك التغيرات العميقة التى تطرأ على فتياتنا ، فيما بين الثانية عشرة والعشرين ، ولكننا نتساءل : « ألم يسبق للأم أن مرت بهذا البوغاز ، واجتازت هذه المرحلة ؟٠٠ فكيف يصعب عليها اذن فهم ابنتها ، وهى تجتاز نفس المرحلة ؟ » ٠٠ وما نلبث ان ندرك ان استعادة الذكريات ليست بالأمر السهل ، فقد غيرت التجارب التى مرت بالأم من أفكارها وعقليتها ! ٠٠ الا أنه من حسن الحظ أن ظهر اخصائيون ، كرسوا أنفسهم سنين

عديدة لدراسة مشاكل المراهقة والمراهقين ، فأصبح فى مقدورهم أن يقدموا الى الآباء والامهات ، ثمار بحوثهم ، ونتاج دراساتهم ..

.. ان ابنتك ياسيدتى لم تعد طفلة .. فأنت لا تستطيعن معاملتها الآن على أساس هذا الوهم !

انظرى اليها .. ودققى النظر !..

لقد تغيرت سحنتها .. كذلك وجهها قد شابه التغير !

.. وانكم لتخطئون أيها الآباء والامهات ، اذا ظننتم ان البلوغ يقصر تفاعلاته وتأثيراته على جسم الفتاة فقط .. انه يغير من معالم معنوياتها ، بقدر ما يغير من ملامح مادياتها !.. والفتاة بعد ، هى أول من يلحظ هذا التحول ، وأول من يحس بوجوده !

أيها الآباء .. وأيتها الامهات ..

أنظروا اليها ، ودققوا النظر .. ألا ترونها وقد أصبحت تميل الى العزلة ؟.. ألا ترونها وقد باتت منطوية على نفسها ، متيقظة الى انفعالاتها الجديدة ، شاعرة بها ، واعية لها ؟!

أحلام المراهقات !

• **لقد** كانت للفتاة فى الماضى ، وقبل أن تبلغ هذه المرحلة ، أسباب مسراتها .. ومنغصاتها أيضا . ولكنها سرعان ما كانت تسدل عليها ستار النسيان ، لانها الحشائش التى تنبت فى مرتع الطفولة . أما الآن ، فهى غيرها بالامس ، اذ بدأت تشعر بغير ما كانت تشعر به فى طفولتها ، وأصبحت نهبا موزعا بين أحاسيس غامضة ، متناقضة : فهى تارة حزينة دون أن تعرف لهذا الحزن سببا .. وهى تارة مبتهجة دون أن تعرف لهذا الابتهاج سببا !.. وهى فى كلا الحالين تتذوق الحزن ، كما تتذوق الابتهاج ، بلذة ومتعة بالغتين !

ولو أنكم نفذتم ببصائركم الى اطواء حياتها الداخلية

الجديدة ، وفتحتم صفحات هذا الكتاب وقلبتموها ، لأمكنكم أن تروا كيف تتعاقب على نفسها المشاعر المختلفة : فيوما هي حالمة ، محلقة في سماء من الخيالات صافية الأديم ، ويوما هي شاردة العقل ، مشتتة الذهن ، وقد تلبدت نفسها بالغيوم ! .. فهذه « جانين » حالمة .. في أى محيط هي سابحة ، وفي أى جو هي محلقة ؟.. انها تتخيل الدنيا مثيرة ، وتحس بما حولها شيقا .. انها في قارب مع فتى جميل ، جرىء ، مفتول الساعدين ، لا يهاب شيئا .. وهما يسبحان معا في ضوء القمر الذى يغمرهما بأشعته الفضية ، والأمواج تهدهد القارب الذى احتواهما ، كما تهدهد الام وليدها بحنان

.. وهذه « دانييل » تهيم على وجهها في مستقبل غامض مغلق ، مغلف بالأعاجيب .. فهي تتخيل نفسها في حجرة ذات ستائر قرمزية أو بنفسجية أو وردية ، وقد استيقظت من نومها متأخرة ، وأخذت تتمطى في سريرها ، متثاقلة مسترخية .. ثم هاهي تسحب نفسها من فراشها رويدا رويدا ، حتى تقف على قدميها أمام المرآة !.. فماذا ترى في المرآة ؟.. انها ترى نفسها جميلة ، جذابة .. وقد بدأ الرسام الأعظم يخط على جسمها ووجهها ، بريشته السحرية ، أولى سطور الفتنة والجمال !

فعلام تدل كل هذه الأحلام والخيالات التي تتفتح براعمها

فى ذلك القلب الصغير ، وتلك النفس البكر ؟٠٠ انها تدل جميعا على شيء واحد ليس الا ، وهو : الرغبة فى استثارة الاعجاب ٠٠ وفى استثارة الحب ٠٠ اعجاب الآخرين بها ، وحبهم لها ٠٠ فى عهدها الجديد !

والخيال سراب ، لا يعرف المستحيلات ، ولا يؤمن بالصعاب !٠٠ فكل شيء فى خيالك ممكن يا فتاتي المراهقة : قوارب من ذهب ذات مجاذيف من زمرد ٠٠ وقصور قائمة على أعمدة من ماس ، رصعت سقوفها بالزبرجد وطعمت أرضها بالياقوت !

ومن هنا ، كانت تلك الحساسية المرهفة المفرطة ، وذلك الشعور المضاعف بالحزن والخيبة ، عند أهون صدمة ٠٠ ومن هنا كانت هذه الوثبات الخاطفة من النقيض الى النقيض: من الحزن القاتل الى الفرح الشامل ٠٠ ومن الأمل الباسم العريض الى اليأس المطبق الحالك البغيض !

فتاة اليوم ٠٠ وفتاة الأمس

◆ وتختلف الفتاة المراهقة ، فى عنف مشاعرها وتدفق احاسيسها واشتعال روحها ، عن الفتى المراهق اختلافا هائلا . لذلك تنظر الفتاة الى الفتى فى هذه السن ، فتجده تافها ، لا يكترث به ولا يؤبه له !

ومن يدرى ٠٠ فقد تكتب فتاتنا مذكراتها ـ كما يحدث هذا كثيرا ـ بين سن الرابعة عشرة وسن الثامنة عشرة ، وتستغرق فى الكتابة استغراقا تاما عدة شهور ٠٠ وهى تدون فيها ذكريات حالمة ، ناعمة ٠٠ كصداقة حارة ، او اكتشاف للربيع ، او ظهور بواكير الحب الأول !

ولكن حذار ان يقرأ هذه المذكرات احد سواها ، لانها لا تكتبها ليطلع

عليها الفضوليون ، وانما لتزيل بكتابتها الغموض عن نفسها ، فتصبح قادرة على تفهم انفعالاتها الجديدة !

ثم تمر الأزمة ، وتهدأ العاصفة الصغيرة ، وتنطفىء الجذوة الدافئة .. فلا يدهشنا ان نراها وقد نسيت تلك المذكرات ، التى لم تكن فى حينها الا متنفسا لأحاسيس اضطرمت بين ضلوعها .. بل لا يدهشنا ان نراها تمزقها ، لانها لم تعد ترى فيها ما يستحق الابقاء عليها او الاحتفاظ بها !

ولكن ، ما تلبث فتاتنا ان ترهف سمعها لنداء الحب !.. يحدث لها هذا ، فى الوقت الذى تعاملونها فيه - يا حضرات الآباء والامهات - كانها لم تزل طفلة صغيرة ، وفى الوقت الذى تبدأ فيه قوائم نفسها فى الاهتزاز من شعور جديد تضطرم به نفسها ، كصداقة تحسها نحو رئيستها او احد اساتذتها مثلا ، فاذا بها مسحورة بشخصية تكبرها سنا ، ترى فيها مثلها الأعلى المنزه عن العيوب ، ولا تنقطع عن التفكير فيها تفكيرا مشوبا بالغيرة حينا وباليأس حينا آخر !

وهذه « الشعلة » تعتبر « زيا » قديما فى نظر فتيات هذا الجيل المتحررات، الرياضيات ، اللواتى يكشفن عن سيقانهن وصدورهن ، ويرسلن جدائلهن ليعبث بها الهواء !.. فهن يختلفن عن بنات الجيل القديم ذوات الخواصر المنطقة ، والثياب الطويلة حتى القدمين !.. ورغم ذلك ، فان فتاة اليوم المتحررة ، ما تزال تعرف الصداقة المستقلة ، وتتذوقها ، بل وتستعذب مذاقها . والفرق بين فتاة اليوم وفتاة الأمس ، فى هذا الصدد ، ان الاحساس المبكر بالحب عند فتاة الأمس كان « اختبارا اجباريا » ، بينما هو عند فتاة هذا الجيل « تربية عاطفية » !

الغذاء العاطفى .. يسيل اللعاب !

◆ ان جوع مشاعر الفتاة المراهقة ذو سعار شديد !.. فهى لا تتورع عن التهام اى غذاء لتشبع نهم عواطفها .. فتارة تختلف الى مائدة عامرة بالقصص الحافلة بحوادث الغرام والمغامرات ، وتارة اخرى تختلف الى الأفلام السينمائية التى تروى اساطير الفروسية والفرسان .. الى غير ذلك من الوان الغذاء العاطفى الذى كلما التهمت منه قدرا ازدادت شهيتها عنفا وقسوة !!

ولو انكم تصفحتم بعضا من اعداد الصحف والمجلات التى تعالج شئون المرأة ، لرأيتم ان اكثر ما يجذب التفات الفتاة فى هذه السن ، هى الامور التى تتعلق بالمغامرات العاطفية .. فهى تحملق فى هذه الأسئلة اذا وقع بصرها عليها :

« هل تستطيع فتاة ان تحب رجلا متزوجا ؟.. انه لم يكتب الى منذ لقائنا

الأخير ، فهل ابدا انا بالكتابة اليه ؟.. اننى احب رجلا يكبرنى فى السن كثيرا ، ويرفض ابواى ان اعاشره بعد الآن .. انه يائس حزين .. وأنا مثله ايضا ، يائسة حزينة .. فماذا اصنع ؟! »

وتنشط الفتاة فى البحث عن قواعد للحياة العاطفية تسير على سننها ، وتتقصى فن الحب كى تنجح فى حياتها .. كامرأة !.. ففى اخبار تلك الصحف والمجلات تلتقى بصور حية لخيالاتها ، فى تلك المرحلة من حياتها . فهى تقرأ عن ذلك المغامر الجسور الذى سلب قلب امرأة ، دون ان يردعه عن ذلك وازع من ضمير او خلق !.. وتطالعها الصحيفة بقصة عاشق ولهان يحوم حول منزل حبيبته ، ويبيت الليل ساهرا تحت نافذة حجرة نومها !.. ثم تقرأ قصة تلك الفتاة التى أوقعت الفتى فى شرك غرامهـــا حتى جن بها حبا ، واذا بها تتركه فريسة لواعج غرامه ، وتهجره الى رجل آخر !.. وكذلك تطالع ما يكتب عن مدى ما تحدثه الأنانية والشهوات ، من مسخ فى تصرفات الرجل والمرأة على السواء !.. وتختلف التفصيلات ، وتتباين الصور ، ولكن النهاية واحدة ، وختام الرواية واحد فيها جميعا : فاما حب متبادل عنيف ، ينتصر فى النهاية على كل ما يعترض سبيله من صـــعاب وعقبات .. واما حب متبادل عنيف ، ينهزم امام العقبات .. واما حب عنيف ، ولكنه غير متبادل ، يقود الحبيب التعس المهجور الى قضـــائه المحتوم !

أرأيتم الآن الى اى حد من السذاجة تكون عليه تلك الفتاة التى تصدق كل تلك الخزعبـــلات ؟.. وهل عرفتم الآن سبب رواج تلك الصحف ، والقصص ، التى تؤلف المادة الرئيسية للقراءة ، عند الفتيات المراهقات على اختلاف طبقاتهن ، بين عاملات ، وقرويات ، وطالبات ؟!

عفاء على الحب .. وزهدا فى الرجال !

◆ ان الفتاة ، فى تلك السن ، تتخيل الحب سحرا تمتد عصـــاه الى الأشياء ، فتتغير معالمها فى طرفة عين ، وما تكاد تلك العصا السحرية تلمس الصعاب ، حتى تدكها دكا ، ولو بلغت الجبال علوا وطولا وعرضا !.. والذى يحدث لفتاتنا دائما ، ان الحب الذى تصادفه فى عالم الحقيقة ، لا ينطبق على الحب المثالى الذى كانت تتخيله فى برج احلامها العاجى !

فهذه « ايفون » تعمل فى احد المصانع الكبيرة ، وتسمع من زميلاتها اللواتى يكبرنها فى السن ، كلاما كثيرا عن الحب .. فيوما تسمع فيه مدحا ، ويوما تسمع فيه قدحا يثير الاشمئزاز .. فاذا بهـــا وقد عراها الاضطراب ، واحست بانها متأرجحة بين عاملين قويين : عامل يصور لها الحب بغيضا ، كريها .. وعامل آخر يصوره لها مثاليا ، يختلف عن الواقع والحقيقة اختلافا عظيما !

.. وهذه « جينيت » تظن انها قد قررت مصيرها ، وحزمت امرها بلا تردد .. فهى تريد مواجهة الحياة ، والتمتع بملذاتها ، وبعدها .. الطوفان !.. ويشجعها على تنفيذ نواياها ما تسمعه فى المذياع ، مما لا يجوز سماعه لفتاة فى مثل سنها ، وما تقراه فى الكتب ، مما لا تجوز قراءته لمثلها .. وبعد ذلك ، الى المغامرات رابطة الجاش ، ثابتة الجنان ! .. ففى هذه المرحلة الخطيرة ، تظن نفسها قادرة على كل شىء !

اما « سيمون » فهى على النقيض من « جينيت » تماما ، اذ انها عولت على العزوف عن الحب ، والتنازل عنه الى الأبد ، لان الحب الذى تتخيله لا وجود له فى عالم الحقيقة .. فهى تريد ان تمنح قلبها لرجل مثالى ، ومن طراز ممتاز ، يصعب العثور عليه بين الرجال !.. فاما وهذا الحب المثالى غير موجود ، فعفاء على الحب ، وزهدا فى الرجال .. الى آخر ايام الحياة !

تلك المتناقضات الجسيمة بين الخيال والحقيقة ، والتى تشتعل فى نفوس فتياتنا فى سن المراهقة ، كثيرا ما تكون وخيمة العواقب ، لانها تخل بتوازنهن ، وتوقعهن فى اضطراب شديد !.. فالفتاة فى حاجة الى مرشد يهديها ، ويخرجها من ظلام تلك العواطف والخيالات المضطربة المتناقضة ، فى تلك المرحلة التى تتحول فيها حياتها العاطفية من اقصى اليمين الى اقصى اليسار !

لا تسخروا من فتياتكم المراهقات !!

◆ والآن لنتساءل : ماذا يستطيع الوالدون صنعه لفتياتهم فى هذه المرحلة ؟ .. انهم يستطيعون فعل الكثير ، اذا تقدموا اليهن بنصح يصوغونه فى قالب سليم ، ومنطق مستقيم .. واذا هم ادركوا ادراكا صحيحا عنف الأزمة النفسية التى تجتزنها ، وعالجوها بصبر ، واناة ، وبعد نظر .. بهذا وحده ينجحون فى مهمتهم ، وتنجو فتياتهم من آثار تلك الأزمة الخطيرة !

اما اذا سخروا منها وهزاوا بها كما تفعل غالبية الآباء والامهات ، فى كثير من الأحيان ، فان العاقبة تكون وخيمة بلا جدال !

ولنضرب لذلك مثلا : هذه فتاة يعلم ابواها انها تجتاز هذه المرحلة النفسية ، فيوجهان اليها القول الآتى :

« دعى هذه السخافات وفكرى فى دروسك .. فهناك امور كثيرة يجب ان تشغل بال فتاة فى مثل سنك .. غير ذلك الأمر الذى يسمونه الحب ! »

ثم ما تلبثان تسمع امها وهى تقول :

« هذه الخيالات والأوهام سوف تتبدد يوما يا ابنتى ! .. فعندما تكبرين وتتزوجين ، وتقضين بضعة اسابيع فقط فى صحبة زوجك ، سترين ان الرجل لا يستحق عناء هذا التفكير ، وتلك الخيالات والأوهام ! »

فماذا تكون النتيجة ؟ .. ان النتيجة الحتمية لهذه الحماقة هى إن تنطوى الفتاة على نفسها ، وتصبح سرا مغلقا على ابويها اللذين لن يستطيعا بعدئذ النفاذ الى اعماق شعورها بعد أن صدماها فى احلامها وخيالاتها المثالية الممتعة ، وهى ما تزال بعد فى مرحلتها الاولى من الحياة !

اما الام الحكيمة فتخاطب ابنتها بعبارات مقنعة تهدىء من روعها ، كان تقول لها مثلا :

« لا يا صغيرتى .. ان معجزات الحب لا تتحقق من تلقاء نفسها .. فللحب العظيم الذى تتخيلينه شروط ، يمليها ويحتمها : منها انه يجب ان يكون متبادلا تبادلا قويا بين الحبيبين ، حتى يتمكنا من السيطرة على الخلافات التى لا مفر من وقوعها بين الرجل والمرأة !.. فاذا اردت السمو بتلك الرغبة التى تستشعرينها .. فعليك ان تمزجيها بحب عظيم ! »

الأم .. تحمل العبء الأول !

◆ وتشعر الفتاة المراهقة برغبة قوية فى ان تقرا كل شىء ، وان تعرف كل شىء .. فهى لا تقتنع بأن هناك اشياء لا تستساغ قراءتها او معرفتها لانها تثير الغرائز ، بل هى تعتقد ان الكبار يعمدون الى اخفاء معالم الحياة الحقيقية عنها ، فى الوقت الذى ترى هى فيه ، انه قد اصبح لها الحق فى معرفة كل شىء .. ومن ثم لا تقبل ان تعامل معاملة القصر الضعفاء ، المحتاجين الى حماية !

وينحصر واجبنا — فى هذه الحالة — فى ان نوضح لها فى هدوء ، الأسباب التى يعزف من اجلها بعض الأشخاص — حتى الكبار منهم — عن قراءة بعض الكتب ، او مشاهدة بعض الروايات .. وان اعراضهم عنها لا يقوم على قصور منهم ، او ضعف فيهم ، انما مبعثه هو رغبتهم فى الابتعاد عنها ، لانهم يرون فيها متلفة لعقولهم ، ومفسدة لنفوسهم ، وعاملا من عوامل اختلال توازنهم الروحى ، والانتقاص من احترامهم لأنفسهم ! .. فبهذا التعليل ، نستطيع ان نقنعها بالاقلاع عن قراءة الكتب الفجة ، او مشاهدة الروايات التى تتنافى مع الخلق الطيب والذوق السليم !

وهنا نتساءل : « هل فى مقدور المشرفات على تربية الفتيات انارة الطريق امامهن ، فى هذه الحقبة من الزمن ؟ » .. ان المشرفات على تربية الفتيات

هن الامهات بطبيعة الحال • وهن ولا شك قادرات على عمل الكثير فى هذا المضمار •• فاذا وجهت الام نشاط ابنتها الى كتب الادب الحديثة ، والدراسات التى عالجت المشاعر الانسانية الكبيرة ، والصداقات البريئة المنزهة ، بل والى الحب الطاهر أيضا ، فان مجهوداتها ستاتى بأبرك الثمرات • ذلك ان الفتاة تستعذب حنان الامومة وعطف الابوة ، ويلذ لها الاصغاء الى الأبوين والقاء نفسها فى أحضانهما !•• والمهم هنا هو ان يوضح الآباء والامهات لبناتهم حقيقة العواطف والميول فى الطبيعة الانسانية ، وحقيقة معناها •• وكيف تولد المشاعر ، وكيف تضعف وتقوى ! •• وقد بحثت المجتمعات النسائية فى العالم كل هذه المشاكل وكتبت عنها •• فاذا يسرنا لفتاتنا سبيل الاطلاع عليها ، لأمكننا ان نحارب الخيالات والأوهام التى تستحوذ عليها ، والتى تشوه امامها معالم الحقائق الانسانية !

وفى العدد التالى ، أقدم لك الجزء الثانى والأخير من هذا البحث القيم

مغامرات في الحب والسياسة !

مذكرات كازانوڤا

الكتاب الكلاسيكي الخالد
في أدب العشق والمغامرة

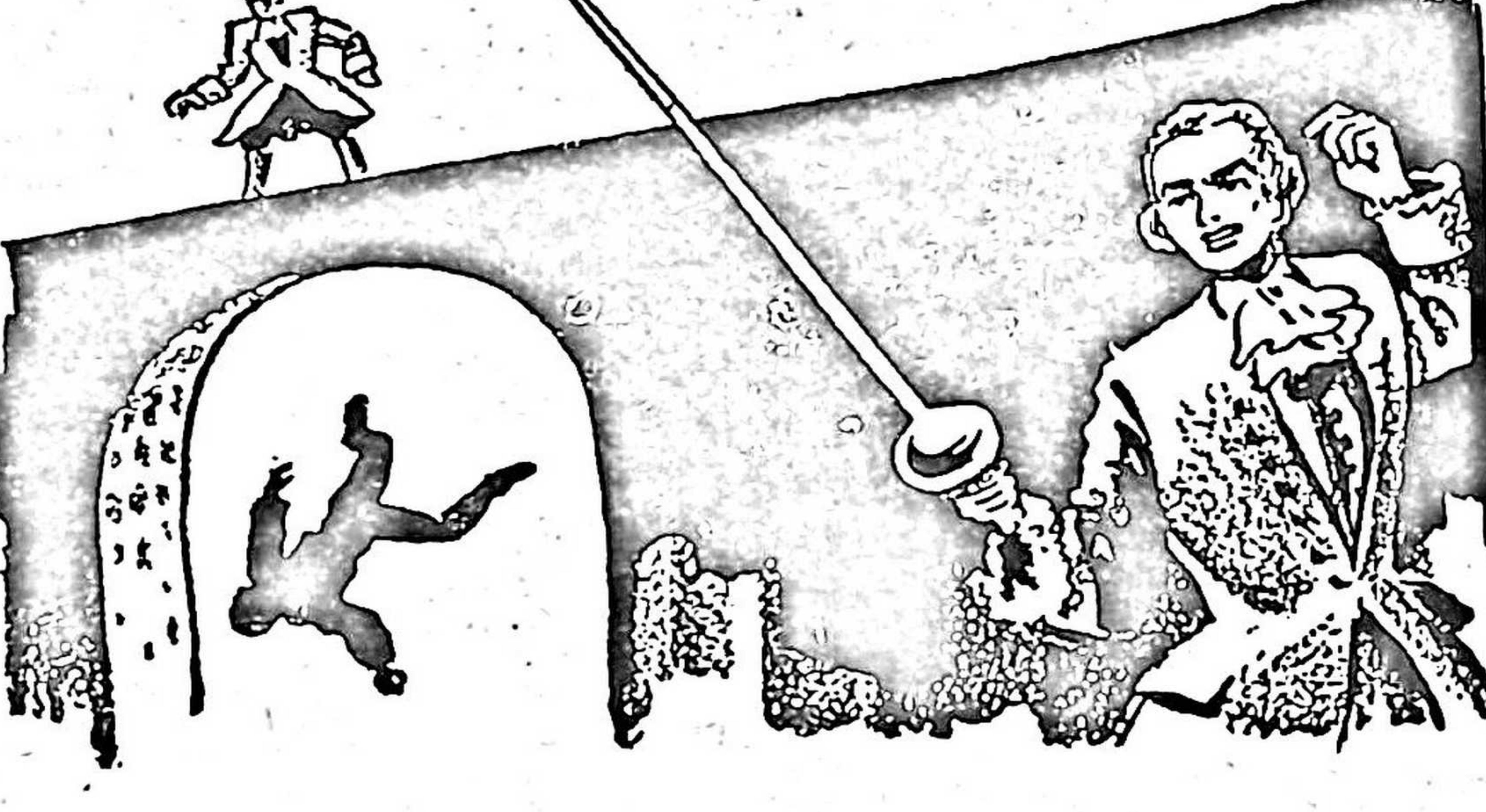

الحظ .. فى خدمة كازانوفا !

◆ رافقنا « كازانوفا » فى الحلقة الماضية الى تركيا ، ثم عدنا معه الى (كورفو) ، حيث تدله فى هوى عشيقة قائده ، ورأينا كيف شاءت المصادفات ان يصبح ياورا لزوجها الضابط ، فازداد قربا منها ، وما زال ملحا فى ابداء حبه لها ، دائبا فى التغلب على ترفعها وتجاهلها ، حتى استجابت له فى النهاية . وتصادف ان رحل زوجها لمشاهدة بعض المناورات البحرية ، وتركه ليلحق به فى اليوم التالى ، فما كان من السيدة الا ان دعته الى موافاتها فى مخدعها فى تلك الليلة !

الدواء الوحيد .. للحب !

◆ لم اتردد فى تتبع تعليماتها بدقة متناهية ، فاذا بنا نحظى بخلوة كان مقدرا لها ان تظل خمس ساعات .. وكنا فى شهر يونيو ، والحر قائظ . واحتويتها بين ذراعى ، وضممتها الى صدرى ، فقالت :

– يجب أن نكبح جماح الحب بيد قوية ، وان نضحك منه رغم ما فى ترويضنا اياه من ظلم عات ، فبهذا نوقفه عند حده ، ونرضى رغباتنا فى الوقت ذاته !

– يا لك من قاسية أيتها الحبيبة ! .. انك تكتوين بنار الهوى ، ومع ذلك تحرمين نفسك من الدواء الوحيد الذى يسكن مشاعرك المشبوبة .. أواه ، يا نور قلبى ! .. ان الحب ليضاعف من وجودى ، ويبعث فى نفسى ضياء الأمل فى أن أموت بتأثير النشوة التى أيقظتنى الآن منها !

– أرانى مدفوعة الى ان أصدق ، ولكن دعنا ننتظر . وفى خلال فترة الانتظار، تعال نستمتع بالتفاهات الأولية التى نلقاها على هامش الحب ! .. واذا كانت ليلتنا هذه جد قصيرة ، فلنخفف عن نفسينا لوعة غدنا بتدبير لقاء آخر ..

– واذا كشف أمرنا ؟

– وهل نحن نجعل منه سرا ؟ .. ان السماء والطبيعة لا بد ان تحمياه ، فليس من جريمة فى اندماج قلبين فى حب صادق .. لقد كان الحب اله كيانى ، مذ فطنت الى نفسى فى هذا الوجود .. وما من مرة رأيت فيها رجلا الا وهزنى الطرب ، اذ أرى فيه النصف الآخر من نفسى ، وكأننى ما خلقت الا له ، وما خلق الا لى ! .. ومن ثم تاقت نفسى الى الزواج ، فى شوق العذراء التى تملأ قلبها احلام المراهقة فى سن الخامسة عشرة .. ولم اكن ادرى ما الهوى ، ولكنى كنت اتصوره مقترنا بالزواج .. وبذلك ، لك ان تتصور مدى الصدمة التى اصبت بها ، حين اغفل زوجى أمر سعادتى ، وهو يجعل منى امرأة ! ..

كان خيالى ابهج من الحقيقة التى فاجانى بها زوجى ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك ، ان اصبحنا صديقين حميمين ٠٠ وزوجين متباعدين فى الوقت ذاته ! ٠٠ كان يرضيه ان يجدنى طوع رغباته ، ولكن الفتور الذى كان يلقاه منى فى سويعات النشوة ، لم يلبث ان زهده فى تلك النشوة ، فقل تردده على مخدعى !

وذكرت لى انها حين تنبهت الى حبى لها ، راحت تزيد ناره تاججا ، اطمئنانا منها الى ما بدا لها من انها لن تحبنى قط ٠٠ حتى اذا شعرت بالحب يقتحم قلبها اقتحاما ، اشتدت جفوة وقسوة ، انتقاما منى لانتصار حبى على فؤادها ٠٠ ولم تلبث مقاومتها ان انهارت بفضل صبرى والحاحى ٠٠ واستطردت تقول : « وبعد القبلة الأولى ، لم اعد مسيطرة على نفسى ٠٠ فقد اذهلنى الأثر الذى احدثته قبلة واحدة ، وشعرت على الفور بان سعادتى مرتبطة بسعادتك ٠٠ وقد ازددت الليلة يقينا من هذا » !

وقضينا الليلة فى مناجاة ونشوة ، حتى انبثق ضوء النهار ، فانتزعت نفسى من بين ذراعيها فى اسف ، لألحق بزوجها ٠٠ وما كان ليخطر لها ببال أننى ساجد فى كيانى قوة تمكننى من ان انشط لواجبى بعد تلك الليلة !

أحزان كازانوفا !

◆ وانقضى بعد ذلك عشرة أيام او اثنا عشر يوما ، لم نطفىء خلالها ذرة من ظمئنا العاطفى الذى كان يلهب جوانحنا ! ٠٠ ثم وقع ذلك الحادث الاليم ٠٠ لقد قربتنى اليها ذات ليلة حتى اوشكت كل الحجب ان تنزاح عن طريق حبنا ، واذا بها فى اللحظة العارمة ، تقصينى عنها ٠٠ فاندفعت كالمجنون اهيم على وجهى ، واذا بى اصادف غانية كانت تعرفنى ، فنادتنى ٠٠ ولم تكن الشهوة ، ولا جمال المراة ، ولا الوهم ٠٠ وانما كان الضعف والغضب هما اللذان دفعانى الى احضانها !

وفى الصباح التالى ، دعتنى مدام « ف ٠٠ » الى مخدعها ، وبادرتنى قائلة : « لن اكتم عنك يا حبيبى اننى شعرت باسى عميق ، بعد ان غادرتنى فى الليلة الماضية ، اذ فطنت الى ما سببته لك من لوعة وضنى ٠٠ ولم يغمض لى جفن فى انتظار عودتك ، ولكنى لم ار ضوءا فى نافذتك ٠٠ وعندما ارسل زوجى فى الصباح يدعوك ، فوجدوك لا تزال تغط فى نومك ، شعرت بالحزن يملأ قلبى ، لا عن غيرة — فانا واثقة من انك لا يمكن ان تحب سواى — وانما عن اشفاق من ان تكون قد اصبت بضرر ما ٠٠ واذ سمعتك قادما ، عاودنى الهناء ، اذ شعرت بان فى وسعى ان اثبت لك ندمى واكفر عن قسوتى ٠٠ ولكننى حين رايتك ، فطنت الى تغير اعتراك ٠٠ ان روحى تقرا على محياك امارات الذنب ٠٠ فصارحنى اذا كنت قد خذلت حبنا » !

وكم من مرة وجدت نفسى فى مثل هذا الموقف امام امراة ، فعرفت كيف اروغ

واهدىء من هواجسها .. ولكنى امام هذه الفاتنــة لم اجرؤ على الكذب .. فصارحتها بما جرى .. ولم تغضب ، بل تقبلت توبتى قبولا حسنا !

ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد .. فبعد ثلاثة أيام ، احسست باعراض مرض خبيث .. واسرعت بعرض نفسى على احد الاطباء ، فوعدنى بان يبذل جهده .. على أن يستمر العلاج لمدة شهرين . وما كان اشد كربى واحزانى ! .. ولم اجد بدا من أن اصارح معبودتى والحسرة تفرى فؤادى ! .. وكان القدر لم يكتف بهذه النكبة ، اذ رزانى باشد منها .. فقد اضطررت الى مبارحة دار المسيو « ف .. » ، وعدت ياورا للمسيو « د . ر . » مرة اخرى .. وكان هذا ايذانا بانقطاع الصلة بينى وبين فاتنتى ، اذ اعرضت عنى !

وما لبثنا فى نهاية سبتمبر سنة ١٧٤٥ ان رحلنا الى البندقية ، فغـادرت (كورفو) معدما ، خالى الوفاض ، مضعضع الحواس !.. وما ان هبطت الى البر فى البندقية ، حتى سعيت الى دار مدام « اوريو » ، فالفيتها خاوية . وعلمت ان السيدة تزوجت من مسيو « روزا » ـ وقد رويت فى الجزء الاول من مذكراتى مدى صداقتى لهما ـ ومن ثم ذهبت الى دار مسيو « روزا » حيث استقبلنى الزوجان فى حفاوة بالغة ، وعلمت من مدام « اوريو » ان « نانيت » تزوجت ونزحت مع زوجها الى (قشطالة) باسبانيا ، فى حين أن اختها « مارتون » زهدت فى الدنيا ، وغدت راهبة .. وقد تلقيت من الاخيرة خطابا تعلن لى فيه غفرانها لاغوائى اياها ، وتعدنى بان تصلى من اجلى كى يغفر الله لى !

وسعيت بعد ذلك الى الاستقالة من الخدمة العسكرية . وما لبثت ان حصلت على اذن من وزير الحربية بذلك ، فبادرت الى خلع الزى العسكرى ، والاقامة مع شقيقى « فرنسوا » . وكان لا بد لى من ان ابحث عن عمل بعد قليل ، فاستغللت ما كنت قد تلقيت على يدى الدكتور « جوتسى » من دروس فى العزف على الكمان، وانضممت الى فرقة موسيقية فى مسرح « سان صمويل » .. ورحت ارتقب تطورات الحظ ..

ولم اجسر ، خلال هذه الفترة ، على الظهور فى الأوساط الراقية .. ولكنى اعتدت ان انطلق مع افراد الفرقة عقب العمل ـ فى كل ليلة ـ لنعيث فى ارجاء المدينة فسادا ، ونقوم بمغامرات عجيبة .. فكنا احيانا نتسلق ابراج الكنائس وندق الاجراس ، او نفك « الجندولات » من عقالها ، ونتركها للتيار .. الى ان كانت ليلة من ليالى الكرنفال فى سنة ١٧٤٥ ..

فى تلك الليلة ، قصد « كازانوفا » وزملاؤه ، بعد الفراغ من المسرح، الى مشرب بساحة « الصليب المقدس » ، فاذا به خاو الا من ثلاثة رجال وسيدة ، جلسوا يشربون ويسمرون فى مقصورة خاصة ، فتقدم منهم رئيس الفرقة ، وزعم أنه موفد من مجلس العشرة ـ وهو الهيئة الحاكمة

التى كانت تتحكم فى مصائر أهل البندقية ـ وان على الرجال أن يسلموا أنفسهم ! ٠٠ بينما تولى كازانوفا وزميل له أمر السيدة ٠ ونقلت الفرقة الرجال الثلاثة الى مكان ناء ثم عادوا فقادوا السيدة الى نزل ، وطلبوا شرابا وعشاء ٠٠ وأخذوا يمرحون ! ٠٠ وفى الصباح التالى ، قدم الرجال الثلاثة شكوى الى مجلس العشرة عما حدث ٠٠ وكان أن أعلن المجلس عن مكافأة لمن يرشد الى المعتدين ، فكفت الفرقة عن مغامراتها !

حنان كازانوفا ٠٠ على الشيوخ !

◆ **فى منتصف ابريل سنة ١٧٤٦ ، حضرت زفافا لفتاة احدى اسر الطبقة الحاكمة ، وعزفت على الكمان مع الفرقة الموسيقية التى كانت تحيى الحفلات الراقصة ثلاثة أيام تباعا ٠٠ وفى نهاية الرقص ـ فى اليوم الثالث ـ الح على التعب ، فانصرفت قبل مطلع النهار بساعة ٠ وفيما كنت اهبط السلم ، رايت احد أعضاء مجلس الشيوخ يهم بان يستقل « الجندول » ، فاذا برسالة تقع منه بينما كان يخرج منديله ٠ وسارعت بالتقاطها وتقديمها اليه ، فاصر على أن يصحبنى فى جندوله ٠ وان هى الا دقائق ، حتى التفت يسالنى ان ادلك له ذراعه اليسرى ، اذ احس فيها بالم طارىء ! ٠٠ ولكن الألم سرى فى كل جانبه الأيسر ، فلم يعد يستطيع حراكا ٠ وادركت انه اصيب بنوبة شلل مفاجئة ، فاسرعت اصرخ فى الملاح اساله ان يعرج على اقرب نقطة فى طريقه ، ثم هرعت التمس جراحا عدت به الى « الجندول » حيث قام بحجامة للشيخ الكبير٠٠ومزقت قميصى ليتخذ منه ضمادات ، ثم رافقت الشيخ الى قصره ، ووجدتنى بحكم الظروف قائد الموقف ، فامرت الخدم باستدعاء طبيب ٠٠ ومكثت بجوار سرير المريض ، اعنى به ٠٠**

وجاء الطبيب فقام بحجامة جديدة للشيخ ٠ ثم اقبل اثنان من اقاربه فهم منهما كازانوفا أن الرجل من كبار ساسة جمهورية البندقية ، يدعى « براجادين » ٠ وما لبث الرجل أن أبدى رغبته فى أن يظل كازانوفا وحده الى جواره ٠ واخذ الطبيب يتردد عليه ، ولكن الدواء الذى وصفه له ، أصابه بحمى جعلت كازانوفا يضرب بتعليمات الطبيب عرض الحائط ، ويعالجه بنفسه ، الأمر الذى ضاعف من ثقة «براجادين» فيه ، وفى استياء الطبيب واعراضه عن المضى فى العلاج !

كازانوفا ٠٠ الساحر !

◆ **وهكذا وجدتنى طبيبا لعضو من ابرز اعضاء مجلس شيوخ البندقية ٠**

واعترف باننى كنت شديد الاغتباط بذلك • واستطعت بما التزمته من تنظيم لتغذية المريض ، ان ادفعه قدما نحو الشفاء !

وأبى الشيخ الجليل أن يصدق أن ما أبداه كازانوفا من مهارة فى علاجه ، وما لاح خلال أحاديثه من معرفة ودراية ، كانت من ثمار العلم وحده ، فان صغر سن كازانوفا لا يوحى قط بأنه وجد من فسحة العمر ما يكفى لتحصيل كل هذه العبقرية ! •• وذهب الى أن الشاب ولا بد كان يمتلك قوة سحرية خفية ، فاستغل كازانوفا هذا الاعتقاد ، وراح يذكيه فى نفسه وفى نفس صديقين حميمين له – من أعضاء مجلس الشيوخ أيضا ، وكانا يقيمان فى القصر نفسه – فلجأ الى الدجل لاقناعهم بأنه يستطيع أن يكشف الغيب ويتنبأ بالمستقبل !!

المغامر الأعظم •• يجد له أبا !

◆ ارى من واجبى ان اعترف بصراحة باننى كنت اخدعهم ، واننى لم اعاملهم بامانة وصدق • ولكنى اناشد القارىء ان لا يتعجل الحكم على ، فان من يعرف الدنيا ويفهم روح المجتمع ، لا شك سيلتمس لى الاعذار •• لاسيما واننى كنت فى العشرين من عمرى ، ذكيا وموهوبا • ورغم ذلك لم ابلغ اذ ذاك الا مركز عازف الكمان !•• ثم اننى كنت خليقا بأن افقد صداقة وعطف ثلاثة من علية القوم كهؤلاء ، لو اننى آثرت ان اكون امينا معهم !

وفى اليوم الذى قدر فيه لمسيو «براجادين» ان يغادر القصر ليحضر اجتماع مجلس الشيوخ – لأول مرة منذ ابلاله من المرض – قال لى : « اننى مدين لك بحياتى •• لقد ارسلك الله بلا شك لتكون ملاكى الحارس ومنقذى، وقد عرفت فيك ما يجعلنى اقدرك ، واجعلك منى بمنزلة الابن •• فلو شئت ان تتخذنى ابا ، لعاملتك حتى مماتى كما ينبغى أن اعامل ابنا من دمى ولحمى •• وقد افردت لك جناحا فى قصرى، وسيكون لك خادم خاص ، و « جندول » ومقعد حول

مائدتى ، وعشرة جنيهات فى الشهر ، وهو المبلغ الذى كنت أتلقاه من أبى وأنا فى سنك . وليس عليك سوى أن تستمتع بالحياة كما تشاء ، وأن تتخذنى مرشدا وناصحا كلما أعوزك الرأى » !

وحين انتهى من حديثه ، ألقيت بنفسى عند قدميه ، معبرا عن شكرى ، فانهضنى واحتوانى بين ذراعيه ، فى حنان الاب . ووعدته بأن احبه واطيعه .. واحتضننى رفيقاه فى القصر ـ مسيو « داندولو » ومسيو «باربارو» ـ واقسمنا جميعا بأن نصون الود الى الأبد !

وهكذا ابتسم لى الحظ واولانى السعادة . ولو أننى انتهجت سبيل الاعتدال والقصد ، لتوطد مستقبلى على اسس عزيزة متينة .. بيد أننى كنت مفطورا على الاندفاع ، وحب اللهو ، والاعتداد باستقلالى ، فلم اشأ أن اخضع للقيود التى كان يحتمها على مركزى الجديد ! .. وكان لى من شبابى ، ووسامتى ، وما توفر بين يدى من المال ، ما ضاعف هذا الاندفاع منى .. وما شجعنى على الاسراف والانغماس فى المقامرة !

وتعرفت يوما الى نبيل بولندى شاب يدعى « زافويسكى » ـ ساعود الى ذكره فى جزء تال من مذكراتى ـ عرفنى بدوره بكونتس حسناء ، فتحت وزوجها لى أبواب قصرهما .. واطمعنى ما كانت تبديه لى الكونتس من ود، فرحت أتهور فى المقامرة على مائدتهما ، حتى جاءت ليلة خسرت فيها خمسمائة جنيه ، لم أكن املك منها شيئا ، فوعدت بشرفى أن أدفع الدين فى الصباح التالى ..

وتولانى كرب ما بعده كرب .. واشتد همى حين اقبل الصباح التالى ، ولما اجد مخرجا من هذا المازق .. وادرك ولى نعمتى ، مسيو «براجادين» ، ما اعانيه ، فلم يزل بى حتى افضيت اليه بامرى ، مختتما حديثى بانى لن احتمل ان اعيش حتى ارى الفضيحة تحيق بى ، والعار يصمنى لعجزى عن الوفاء بوعد الشرف. واصغى فى انتباه ، ثم تحول يسرى عنى ، مؤكدا بأن الدين الذى كان سببا فى شقائى ، لن يلبث أن ينزاح عن عاتقى !

وفيما كنت أجلس الى مائدة الغداء مع الاصدقاء الثلاثة فى ذلك اليوم ، اقبل خادم يحمل رسالة وطردا صغيرا الى مسيو « براجادين » . واذ قرأ الخطاب ، اشار الى فتبعته الى حجرة مكتبه ، وهناك دفع الى بالطرد ، فوجدته ـ اذ فتحته ـ يتضمن اربعين جنيها . وضحك وهو يلمح دهشتى ، ثم اسلمنى الخطاب ، فقرأت فيه : « ليتاكد مسيو كازانوفاان لعبنا بالأمس لم يكن سوى مجرد تسلية ، فهو ليس مدينا لى بشىء ، بل اننى زوجتى لترسل اليه هذا المبلغ مقابل نصف ما خسر من جيبه ، اذ كانت شريكة له فى اللعب » !

وقال لى : « اذا لعبت مرة اخرى ، على وعد ، فلا تدفع »

ـ ولكن هذا يؤدى الى فضيحة تودى بشرفى !

ـ ان هذا ادعى الى أن لا تعد اذا وجدت أنك عاجز عن الدفع ٠٠ وفى هذا انقاذ لشرفك ولمالك ٠

واتبع درسه لى بأن راح يلقننى كيف ينبغى ان اتفادى الخسارة فى اللعب !

وبعد ثلاثة اشهر او اربعة ، لقننى درسا آخر ٠٠ اذ حدث ان وفد على البندقية رجل فرنسى تقدم الى الحكومة بالتماس تعيينه مفتشا لجيوش الجمهورية ٠٠ واذ تعرفت به ، قدمته الى مسيو « براجادين » الذى وعده بأن يساعده ٠

وفى ذات يوم ، وقعت فى ضائقة ، فطلبت من مسيو « براجادين » مائة جنيه ، ولكنه اشار على بأن اسعى الى اقتراضها من ذلك الفرنسى ٠٠ بيد ان الرجل راح يعتذر فى اسلوب معسول ٠٠ حتى اذا جاء اليوم الذى عرض فيه طلبه على مجلس الشيوخ ، حمل مسيو « براجادين » لواء المعارضة ، واثار حماسة الاعضاء ، بأن ردد أن من العار ان يعهد الى اجنبى بمثل هذا المنصب فى جيش (البندقية) !

وراح الفرنسى يطلق لسانه فى كل مكان بأن معارضة مسيو « براجادين » انما انبعثت عن رفضه ان يقرضنى المائة جنيه ٠٠ ولم ينل هذا من سمعة ولى نعمتى ، ولكنها نبهت القوم الى اهمية مركزى ، فاصبحت مقصد اصحاب الحاجات !

خاطئة ٠٠ تعترف لكازانوفا !

◆ وفى أوائل اكتوبر سنة ١٧٤٦ ، كنت اسير وقناعى على وجهى ، حين لمحت سيدة شابة تغادر مركبا غريبا عن المدينة ، وقد بدت عليهـــا الحيرة ٠ والفيتنى مدفوعا اليها بقوة خفية ، فاقتربت منها وسالتها عما اذا كانت بحاجة الى اية خدمة ؟ ٠٠ وفى استحياء قالت انها تريد الاستفسار عن بعض امور عميت عليها ، لأنها غريبة عن المدينة ٠٠ فدعوتها الى مقهى قريب، رافقتنى اليه بعد تردد ، فقدتها الى مقصورة خاصة ، حتى اذا خلونا فيها ، رفعت نقابى ، فخففت نقابها حتى ظهر نصف وجهها ، واستطعت ان اتبين ان لها انفا دقيقا ، وعينين جميلتين، وفما بديعا ٠وكانت ملامحها تنم عن حسن ، ونبل ، واسى ، امتزجت معا فكان لها فتنة ساحرة لا سبيل الى وصفها !

وبعد أن جففت الحسناء دموعا كانت تفيض من عينيها ، ذكرت لى انها من اسرة نبيلة ، من مدينة « ك ٠٠ » ، وانها هاربة من اسرتها ، سعيا وراء شاب من (البندقية) اغواها ، وقضى عليها بشقاء ابدى !

قلت : « وهل جئت تناشدينه ان يقوم بالواجب ؟ ٠٠ هل وعدك بالزواج ؟ »

ـ بل سجل وعده كتابة ، وهذا ما اغرانى على ان امهد له سبيل التسلل الى دارنا دون ان يشعر به احد ٠٠ فاستغل ثقتى اشنع استغلال ٠٠

ورحت اطمئنها حتى وثقت بى ،واذ ذاك اخرجت من صدرها ورقة تضمنت وعدا من « زانيتو ستيفانى » الى الكونتيسة الشابة « ا . س . » ، يؤكد لها بشرفه انه سوف يتزوج منها خلال شهر واحد ..

وادركت ان ليس للورقة اية قيمة ، لقد كنت اعرف الشاب .. كان موظفا فى حكومة البندقية ، وكان وغدانذلا، ولكنه كان الوارث الوحيد لأم غنية !

وهتفت الفتاة ضارعة اذ رات انى اعرفه ، كى اصحبها الى داره ، فقلت لها : «اننى لن اتوانى عن ان افعل كل ما تطلبينه ، ولكنى اسالك ان تمنحينى كل ثقتك، وان تاخذى بنصحى .. لست ارى جدوى من الذهاب الى داره . لقد الحق بك ابلغ الضرر .. ولو اننا وجدناه فى داره ، فمن المحتمل ان يسىء استقبالك .. اما اذا لم يكن فى البيت ، فقد لا ترحب بك امه . ثقى بى ، وتاكدى ان الله قد ارسلنى كى اساعدك ، وانى لأعدك بان آتيك بنبا «ستيفانى» غدا . ولا انصحك بان تدعيه يعلم بوصولك الى (البندقية) قبل ان اتجسس امره »

– يا الهى ! .. والى اين اذهب الليلة ؟

وكنت اعرف ارملة امينة ، تقية ، افردت فى مسكنها حجرتين تؤجرهما للنزلاء . فما زلت بالكونتيسة الشابة حتى قبلت ان اقودها الى هناك . وفيما كنا فى « الجندول » ، بمضت تروى لى تفصيلات ماساتها .. فذكرت ان الشاب التقى بها فى زفاف حضرته بصحبة امها ، وما لبث ان عرف بيتها ، فاخذ يتسلل كل ليلة ليقف تحت نافذتها يناجيها ، ويقسم اغلظ الايمان على حبه ، ويمنحها المواثيق على صدق نيته فى الزواج منها . وكان كلما دعته ان يتقدم لأسرتها ، ينتحل شتى المعاذير .. ثم راح يغريها بان تفر خلسة معه ، مؤكدا انه لن تنقضى ايام ثلاثة على فرارها ، حتى يصل الى اسرتها ما يؤكد انها قد غدت زوجة له ، ثم يعودان بعد ان تهدا الضجة فيزوران اهلها ويسترضيانهم !

واستطردت الفتاة : « والآن ما جدوى الندم يا سيدى ؟! .. لقد اعمانى

الهوى ، فترديت ٠٠ وافقته على كل شيء ٠٠ واعطاني الورقة التي سجل فيها تعهده بالزواج ، فسمحت له بالتسلل الى غرفتي ، واسلمته نفسي ، واثقة من صدقه واخلاصه ! ٠٠ وتركني على ان يوافيني في الليلة التالية لنفر معا ، ولكنه لم يات ! ٠٠ وعلمت انه غادر المدينة بعد ان وصمني بعار ابدي ٠٠ ولن تستطيع ان تتصور مدى حيرتي وقنوطي ٠٠ ولم يكن ثمة سوى حل واحد ، ومن ثم هربت من دار اهلي بعد يومين وسرت على قدمي اربعا وعشرين ساعة ، حتى عثرت على مركب قادم الى (البندقية) ٠٠ ومع ان ظروفي كانت توجب على بالا اثق في رجل ، ولا اطمئن الى شاب ، الا ان قوة خفية اوحت لي ان اركن اليك » !

وتمالكت انفاسها ، وعادت تقول ضارعة : « هذه قصتي يا سيدي ، ولكني اضرع اليك الا تقسو في حكمك على ٠٠ لقد كنت طيلة حياتي صالحة ، تقية ، عفة ٠٠ وكنت الى شهر مضى بريئة ، طاهرة ٠٠ وما احسب الا ان الدمـع السخين الذي اذرفه ليل نهار ، كفيل بان يمحو زلتي ٠٠ لدى الله على الاقل ! ٠٠ انني اسلمك زمامي ، وادعو الله الا يحدث ما يجعلني اندم على ذلك » !

وعاودت جهودي لأبعث الطمانينة في نفسها ، وقلت لها ان خداع «ستيفاني» لها ، وهجره اياها في نذالة ، لم يكونا سوى حلقتين من تدبير خبيث ، وانها يجب ان تركز افكارها في ان تثار لنفسها ٠ وارتجفت المسكينة ، واخفت وجهها في راحتيها ٠

تحريض ٠٠ على الثأر !

◆ وبلغنا النزل، فاسلمتها الىالسيدة الطيبة، وامرت لها بعشاء ،واوصيت صاحبة المسكن بان تجيب كل طلباتها ، ثم استاذنت السيدة في الانصراف على ان اوافيها في الصباح التالي ٠٠

وما ان بارحتها ، حتى يممت شطر دار « ستيفاني » فعلمت انه كان بالفعل في مدينة (ك ٠٠) وعاد الى البندقية ، ولكنه لم يلبث ثلاثة ايام حتى رحل ثانية ، منذ اربع وعشرين ساعة ، ولم يدر احد مقصده او شيئا عن رحلته ٠٠

وذهبت الى الفتاة في الصباح الباكر ، فوجدتها ما تزال في مخدعها ، وقد اوصدت الباب دونها ٠٠ فظللت انتظرها حتى نهضت من نومهـــا ، وفتحت بابها ، واذ ذاك استاذنت في الدخول ، وافضيت اليها بما علمت ٠٠

وتبدى الأسى عميقا على محياها ٠٠ واعربت عن يقينها من ان « ستيفاني » ولا ريب قد عاد الى (ك ٠٠) ، فابديت لها استعدادي لأن ارحل خلفــه

لأدركه ، وارشده الى مكانها . ولكنها خشيت أن يكون قد تبين فرارها ، فاتخذ طريقه عائدا الى (البندقية) . واستدرجتها حتى عرفت انهـا تقضى أوقات فراغها فى القراءة والموسيقى . فما ان غادرتها ، حتى بادرت الى شراء بعض الكتب ، وقيثارة ، ثم عدت اليها بها . وشعرت باغتباط ومتعة غريبة وانا أتلقى شكرها ، وارى التأثير الذى تركه فى نفسها ما أظهرت من اهتمام بالغ بها ، زعزع الفكرة السيئة التى كان « ستيفانى » قد تركها فى نفسها ـ بفعلته ـ عن الرجال !

وفى اليوم الثالث ، سالتنى فى غمرة ما كانت تضفيه على من آيات الشكر والعرفان ، عما يدعونى الى ان ابدى لها كل هذه الرعاية والعطف ، بدلا من ان اسىء الظن بها .. فقلت ان ما دعانى الى ذلك ، هو عين ما دعاها الى ان تطمئن الى حين تقدمت اليها ، برغم انها لم تكن تعرفنى ، ورغم اللثام الذى كان يعلو وجهى ..

واستطردت قائلا : « كان من السهل ان احدس انك حسناء فى محنة ، فلما رايت شبابك ، ونبلك ، واساك ، شعرت بقوة خفية تدفعنى الى ان اساعدك .. وكان طابع الصدق الذى لازم كلماتك الأولى كفيلا بأن يجعلنى لا أرتاب قط فى قصتك .. ثم ان الشعور بالشرف والرغبة فى محو العار ، يبرران فرارك من اهلك .. ان الجبان الذى خدعك لا يستحق ان يتزوج منك ، بل يجب ان يدفع حياته جزاء جرمه ! »

ـ هذا حق ، وارجو ان يثار لى اخى

وعلمت ان لها اخا ضابطا فى خدمة البابا .. فقلت لها :

ـ تخطئين اذا ظننت ان « ستيفانى » يستحق ان ينازل اخاك .. انه جبان لن يجرؤ على ان يعرض نفسه لأية ميتة شريفة نبيلة !

واذ كنت اتكلم ، مدت يدها الى اطواء ثيابها ، فاخرجت شيئا تاملته ، ثم وضعته على المنضدة .. وكان هذا الشىء خنجرا طوله خمسة عشر سنتيمترا !

« يتبع »

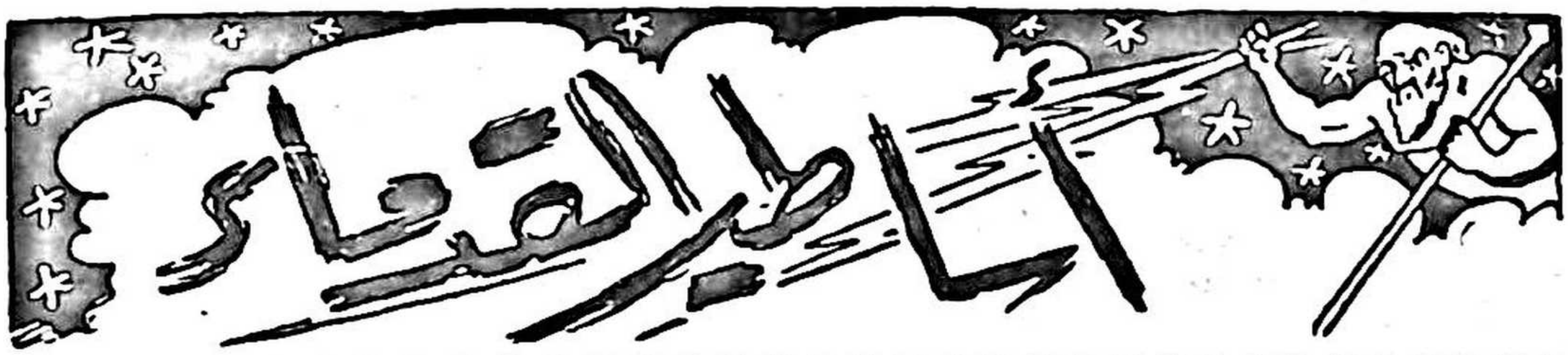

« أبو للو » .. يساعد البشر !

◆ قدمت لك فى الحلقة الماضية من أساطير القدماء « ابوللو » ابن « زيوس » ، كبير الآلهة ، ورويت لك كيف نفاه ابوه الى الأرض ليقوم بخدمة البشر ، بعد أن تحدى ارادته التى شاءت أن تنهى حياة ابنه «ايسكولابيوس» على الأرض ، غيرة منه ، لنبوغه فى الطب ، واقبال الناس على التماس الشفاء لديه ! .. كما رويت لك اولى خدمات « ابوللو » للبشر ، وكيف ساعد « ادميتوس » ملك (فيراى) على ان يفوز بيد الفتاة «الكيسيتس» ، التى كان يتوق الى الزواج منها !

.. فتعال نتابع تاريخ « ابوللو » على الارض ..

« هرقل » .. يتغلب على اله الموت !

◆ لم يمض وقت طويل على زواج «ادميتوس» من محبوبته «الكيسيتس» حتى دب السقم فى نفسه ، ووقع فريسة المرض ، وشارف على الموت . ولم يقف « ابوللو » مكتوف اليدين امام هذا الخطر الداهم الذى يتهدد « سيده » ، ملك (فيراى) .. فقد تدخل لاقناع ربات الحظ الثلاث بانقاذ «ادميتوس» من الهلاك ، فقبلن بشرط أن يتقدم احد للموت بدلا منه . ولكم ذهل الملك وتولاه العجب ، حين لم يجد واحدا من محاربيه المشهورين بالشجاعة ، أو من افراد بطانته الذين كانوا يتفانون فى الزلفى اليه ، على استعداد لأن يفتديه ، ويقدم حياته ضحية على مذبح الوفاء والاخلاص ! .. عندئذ ، عرضت زوجته « الكيسيتس » نفسها ، ولكن ادميتوس اعترض على ذلك . الا انه لم يستطع أن يحول بينها وبين ربات الحظ ، اذ اخذنها عوضا عنه !

وبينما الساحة الكبرى تضج بالعويل والبكاء ، وفى اليوم الذى تقرر أن تشيع فيه الملكة الى مقرها الاخير ، اذا بهرقل يحضر الى قصر ادميتوس ، فيستقبله هذا بالترحاب ويكرم وفادته .

وما ان علم « هرقل » سبب أحزان الملك واهل بيته حتى اشفق عليهم ، ونشط للعمل .. فابدى استعداده لمنازلة اله الموت (ثاناتوس) .. ومن ثم خرج الى المكان الذى اقيم فيه القبر ، وهناك تقابل مع اله الموت وتغلب عليه !..

وهكذا عادت « الكيسيتس » ثانية الى منزلها وبعلها !

وقبل ان يترك ابوللو خدمة ادميتوس ، منحه الخلود والحياة الأبدية ، ثم توجه لمساعدة « بوسايدون » ، الذى كان منفيا مثله الى الأرض لبناء حوائط (طروادة) !٠٠ واستوى اله الموسيقى ـ ابوللو ـ فى مقعد قريب ، وراح يعزف الحانا كلها وحى والهام ، فاذا بالاحجار الضخمة تتحرك من تلقاء نفسها لتحتل مكانها طبقا للتصميم المرسوم !

يخلص الناس من شرور كثيرة !

◆ ولما انهى ابوللو فترة اقامته على الارض ، قفل راجعا الى جبل الاوليمب ، ليستانف مباشرة اعماله المعتادة ٠ ومن مكانه المبجل ، اخذ يغمر الناس ـ الذين شاركهم الحياة حينا من الزمان وكابد شقاءهم ـ بنظراته العطوفة ٠ وتلبية لتفرعاتهم ، بسط عليهم حمايته ، وخلصهم من شرور كثيرة ٠ ومن الخدمات التى اداها للبشر ، قتله الأفعوان المتوحش « يوثون » ٠٠ ولم يكن احد ليجسر على الاقتراب من هذا الوحش الذى كان يحرس الكهف المقدس لكاهن (دلفى) ٠٠ ولكن ابوللو هاجم الوحش دون خوف او وجل ، وقضى عليه بسهامه الذهبية !

أبوللو ينكب فى صديقه !

◆ وبقدر ما كان ابوللو موفقا فى الحرب ، كان عديم التوفيق فى الصداقة !٠٠ فقد كان يحب شابا رائع الجمال اسمه « هواكينثوس » ، ابن ملك اسبرطة « اموكلاس » ، فى الوقت الذى كان يزاحمه فى حبه « زيفوروس » اله الرياح الغربية ، ويحقد عليه بسببه !٠٠ وفى ذات يوم ، كان ابوللو يلهو مع الشاب بالاقواس ، فانتهز « زيفوروس » الفرصة ليوجه اليه ضربة قاصمة فى صميم مشاعره ٠٠ اذ اطاح بقرص حديدى كان قد قذفه ابوللو فى اتجاه معين ، الى الاتجاه الذى كان يقف فيه الصبى ، فاصابه فى راسه ، وخر مغشيا عليه والدماء تسيل منه بغزارة ٠ وعبثا حاول ابوللو وقف هذا السيل من الدماء ٠٠ فقد جاد صديقه ، وفى ثوان قليلة ، بآخر انفاسه بين ذراعيه !٠٠ وتخليدا لذكرى الصبى الميت ، حول ابوللو دماءه الى ازهـار اطلق عليها اسم صرخة الحزن « آى » !

شجرة الحزن ٠٠ والأسى !

◆ واراد ابوللو ان ينسى مصير « هواكينثوس » المفجع ، فاتخذ من صياد شاب يدعى « كوباريسوس » صديقا جديدا له ٠ بيد ان تلك الصداقة انتهت أيضا نهاية محزنة ٠ ذلك ان « كوباريسوس » قتل غزال ابوللو المحبوب عن غير قصد ، فتملكه حزن شديد لما يعرفه عن مكـانة هذا الحيوان لدى صديقه ابوللو ، وراح يذوى ويذبل ٠٠ الى ان مات ٠ وعمد ابوللو ـ تخليدا له ـ الى تحويله لشجرة من اشجار السرو (اى شجرة الحزن والأسى) ، معلنا

ان هذه الشجرة سوف تظلل « من الآن فصاعدا » ، قبور الذين كانوا يتمتعون بحب زملائهم فى الانسانية ، ابان حياتهم على الارض !.. ولقد اعتاد الناس غرسها بعد ذلك بين المقابر، رمزا لحزنهم على موتاهم، وتخليدا لحزن ابوللو على صديقه !

الشمس .. تغازل الندى !

◆ مضى ابوللو هائما على وجهه ، بعد ان وورى صديقه التراب ، واخذ يتنقل من مكان الى آخر ، عسى ان يجد السلوى فى فقد صديقه . وفى احد الأيام ، كان يسير فى احدى الغابات، فالتقى بابنة رب النهر «بينيوس» ..وهى حورية رائعة الجمال تدعى « دافنى » . وما ان رآها ابوللو حتى وقع صريع هواها على الفور ، وحاول ان يقترب منها فى هدوء ولطف ، حتى لايثير مخاوفها. ولكن الحورية لمحته، فكانت تبتعد عنه ،كلما حاول الاقتراب منها . ولجأ ابوللو الى كلمات الغزل ـ عسى ان يثير عواطف الفتاة ـ فاخذ يلقى على مسامعها بارق مايحفظه من الفاظ الغرام وعبارات الحب . وبدات الصغيرة تجد من نفسها ميلا الى استعذاب تلك الكلمات الحلوة ، الناعمة ، وبدا انها على وشك ان تستجيب. الا انها ثابت الى رشدها فى اللحظة الاخيرة،وانطلقت تعدو بكل قواها،هاربة منه !

وشعر ابوللو بالألم يعصر نفسه من صد « دافنى » وهروبها ، الا انه لم يستسلم للهزيمة ، فأخذ يطاردها . وبالرغم من خفتها وسرعة حركاتها ، فقد لحق بها ابوللو وكاد يمسك بها على ضفة النهر ، لولا انها صاحت باعلى صوتها : « ادركنى يا ابت .. انقذنى .. امسخنى او دعنى اغوص فى الأرض » !.. وفى الحال ، تحولت الى شجرة غار باسقة الفروع ، مخضرة الأوراق !.. وعندما لحق بها ابوللو ، وبسط ذراعيه ليضمها اليه ، اذا به يطبق على جذع شجرة خشن !.. لم يكن قد لاحظ ان العذراء الفاتنة قد اختفت الى الأبد عن ناظره .. وحين تجلت له الحقيقة المرة ، وادرك ما حدث لحبيبته ، غمره الحزن ، واخذ يجمع اغصانا خضراء من الشجرة ، صنع منها تاجا وضعه على جبينه ليذكره دائما بالفتاة الغادرة !.. ومنذ ذلك الوقت وشجرة الغار من الأشجار المقدسة لديه .. واتخذت الجوائز التى تمنح الى الشعراء والموسيقيين صورة اكاليل من اوراق الغار !

وقصة ابوللو ودافنى تصور لنا اثر الشمس (ابوللو) فى الندى (دافنى) .. فقد سلب الندى لب الشمس بجماله ، فهامت به الشمس واخذت تحوم حوله ، محاولة الاقتراب منه . واذ خاف الندى من حرارة « المحب الولهان » ، آثر الفرار . فلما ادركته الشمس ، ولمسته باشعتها المستعرة ، تبخر واختفى ، دون ان يترك وراءه اثرا ، عدا الخضرة ، فى نفس البقعة التى كان يتلألأ فيها ، ببهائه وصفائه ونقائه !

أمين سلامة

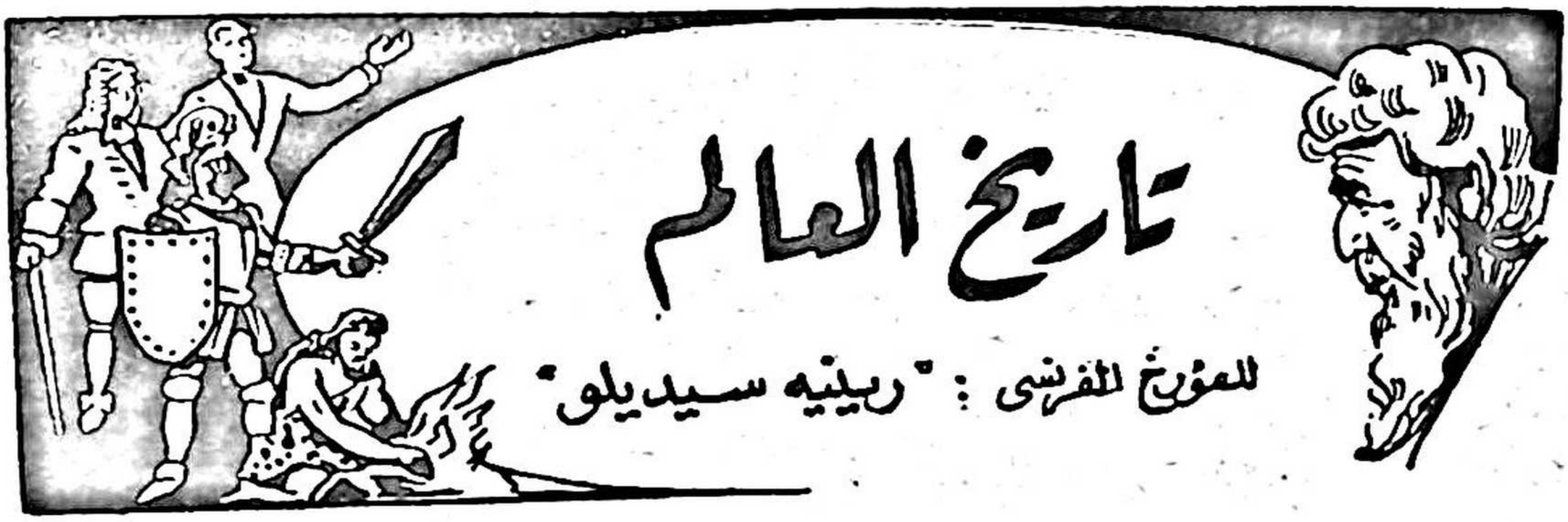

الصراع بين (أثينا) .. و (اسبرطه)

◆ بلغنا معا عصر الاغريق ، فى هذا الكتاب الرائع الذى وضعه المؤرخ والصحفى الفرنسى « رينيه سيديلو » ، وسرد فيه تاريخ العالم فى اسلوب يجعله قصة مسلية مستساغة . واليوم ننتقل الى فصل جديد ، يروى لنا فيه المؤلف الصراع بين (اثينا) و (أسبرطه)

مولد الديمقراطية

◆ كان النظام السياسى لاسبرطه غريبا ، اذ كان يتألف من ملكين يليان الحكم بالوراثة ، ويقومان بمهام الرئاسة الدينية ، والقضاء ، وقيادة الجيش ، تحت رقابة دقيقة من حكام ينتخبهم الشعب . والى جانب هؤلاء ، كان ثمة مجلس للشيوخ ، وجمعية تشريعية تتألف من جميع المواطنين بكامل عددهم . وعلى الرغم مما اتخذته (اسبرطه) من احتياطات ، فانها لم تكن وطيدة الأسس والاركان ، بل كانت تحمل فى اطواء كيانها بذور الانهيار . كانت تحرم تملك الذهب والفضة ، فيتحايل المواطنون على ذلك بتهريب اموالهم الى الخارج . وكانت تعتبر الأرض ملكا للدولة فتحرم رهنها وبيعها ، ولكنها لم تقو على منع النبلاء من رهن ما تحت أيديهم من الأرض ، والنزول عن حقوقهم فيها لسداد ديونهم ، ولم تقو كذلك على تفادى قيام قلة — أو اقلية — من الاغنياء الذين اخذوا يبسطون نفوذهم .

ومع أن المسافة بين (اسبرطه) و (أثينا) لم تكن تتجاوز مائة ميل ، الا أن الفارق بينهما كان كبيرا ، ينم عن الطابع الفردى الخاص لكل مدينة من مدن الاغريق . وكان هذا الفارق يتمثل فى الأوضاع السياسية ، والعادات ، والمثل

العليا • اذ كانت (اسبرطه) تعيش للحرب ، فى حين كانت (اثينا) تعيش على التجارة • ولقد تقلبت (اثينا) بين الملكية والارستقراطية والاستبداد قبل ان تستقر فى النهاية فى احضان الديموقراطية ، التى صارت مثلا اعلى للعالم على مر العصور • وقد نمت (اثينا) فى فجر وجودها وترعرعت ، بفضل نشاط اصحاب الحرف والصناع من اهلها • واستطاع نبلاؤها ان يقصوا ملوكها ليستأثروا بالحكم ، بيد ان تيار الديموقراطية كان اقوى من ان يقفوا فى وجهه • وظهر من قانونييها « دراكو » ، الذى وضع فى سنة ٦٢١ قبل الميلاد ، قانونا للعقوبات ، لم يكن يعيبه سوى قسوته فى القصاص • وما لبث « صولون » ان ادخل عليه تعديلات - فى سنة ٥٩٤ ق • م - قضى بها على كافة الحقوق التى كانت تميز فريقا من الناس دون آخر بحكم المولد ، كما الغى نظام الرهن فى مقابل الدين ، والقبض على المدين وتسخيره الى ان يفى بدينه • وقسم الناس الى اربع طبقات ، لا بحسب مولدهم ، وانما تبعا لثرواتهم •• وهكذا كان « صولون » صاحب الانقلاب الذى اعترف بنفوذ الاغنياء •• كما انه اوجد التحكيم الودى بين الخصوم فى القضايا المدنية • ولكن « بيزيستراتس » - الذى خلفه فى سنة ٥٦١ ق•م• - القى القانون جانبا ، وحكم حكما ديكتاتوريا، فصادر الاراضى من النبلاء ، وقسمها • وعرف كيف يخمد الفتن ، وجعل من (اثينا) احد المراكز العمرانية والثقافية لليونان •

آلهة •• يشتركون فى حكم أثينا !

◆ ولقد خلفه بعد قرن من الزمان ، ديكتاتور آخر ، لم يدم حكمه اكثر من خمس عشرة سنة ، الا ان اسمه خلد فى تاريخ الديموقراطية الاثينية • فتحت حكمه ولدت كلمة « الديموقراطية » ، وفى عهده ازدهرت وبلغت اوجها • ووجدت هيئات ممثلة للشعب تسن القوانين وتقرها بالاصوات ، وكان الموظفون الذين يتولون تطبيقها يختارون بالانتخاب او بالاقتراع الذى كان يعتمد على الحظ والنصيب ، فكان فى ذلك شىء من اشراك الآلهة فى حكم المدينة !

ملهمة الجنس البشرى !

◆ وظلت (اثينا) استاذة وملهمة للجنس البشرى : اولا ، بوصفها مثالا للعبقرية الفكرية التى بقى اثرها فى حضارات العالم اكثر من الف سنة • وثانيا ، بوصفها مثالا للحرية : حرية التعاون بين افراد الشعب وطبقاته •• هذا التعاون الذى قام عليه ازدهار التجارة ، • وبالهامه اسست الشركات والمصارف •• وانتشرت حرية القول والكتابة والفكر ، فادت الى ظهور التحف الرائعة ،

ادبية كانت او علمية او فنية ! .. ثم حرية العبادة التى بعثت اروع اساطير عهود الوثنية ! .. ومع أنها حاولت أن تكون مثالا للمساواة ايضا ـ اذ لم تكن تفرق بين النبلاء والغوغاء ـ الا أنها لم تستكمل هذه المساواة ، لأنها كانت تفرق بين المولودين من آباء أثينيين وبين الاجانب . ولم تقو على كبح جماح الرق ، اذ دفعتها اليه الضرورات الاقتصادية . كذلك لم تقو على منع الحزازات التى تنشا بين الطبقات ، فقام الصراع بين كبار ملاك الارض ،وأصحاب السفن، وتجار السواحل ، والفلاحين والرعاة من اهل الجبال !

الظلام .. بعد النور !

◆ وقدر لها ان تثرى ، فاستخرجت الفضة من مناجم (لوريوم) مسخرة فى ذلك الرقيق ، وساد اسطولها البحار ، وفرضت رسوما لا تتجاوز اثنين فى المائة على الواردات ! .. وما لبثت جزر بحر (ايجه) أن لاذت بحماها ، وغدت حليفة لها ، تخضع لزعامتها ، وتقدم اليها الجزية ، وتتعامل بعملتها النقدية ، وتستخدم ما فرضته من وحدات للوزن والقياس ، وتعتنق مذاهبها الفكرية ونظمها الاجتماعية ، وعاداتها وتقاليدها . وبهذا أصبحت (أثينا) امبراطورية فى الواقع . ولكن ثراءها لم يعم كل شعبها ، بل استأثرت به اقلية ، بينما كان الفقر يستشرى بين الاغلبية ، لم يجد فى مقاومته تشجيع الهجرة وانشاء المستعمرات ، ولا محاولات وضع نظم للاعانات المالية والمساعدات والمعاشات التى تقدمها الدولة للافراد . بل ان النتيجة الوحيدة لهذه النظم انحصرت فى اثقال الميزانية وارباكها ، مما استتبع زيادة الضرائب التى كان اغلبها يفرض على اقلية اخذت تضمحل رويدا . وحاولت المدينة أن تعالج هذه الحال بالتوسع فى الحروب ، فلم يؤد هذا الا الى دمارها !

حروب .. لا يفيد منها الا تجارها !

◆ وهكذا قدر لأثينا ان تموت ، ولكنه كان موتا بطيئا ، اليما . اذ اخذت تنغمس فى الفساد ، والفوضى ، والرشوة . واضطهدت العباقرة من ابنائها ، فمات « ملتيادس » فى السجن ، وكاد يلقى « ثيمستوكليس » نفس المصير لولا ان فر الى الخارج ، واضطهد « ارستيد » وعذب ، واجبر « سقراط » على شرب السم ، واعدم « بيركليس » .

واخذت الهيئة التشريعية تسعى للاستيلاء على سلطات الحكومة . واستحال على الهيئة التنفيذية ان تقوم بوظائفها ، وضعف الشعور بالواجب والحرص على مصلحة الدولة .

وعندما حاولت (اثينا) ان تبذل محاولة اخيرة للنهوض ، بحافز من تحذير « ديموستينس » ، كان الوقت المناسب قد فات ، اذ كانت القبائل البربرية ـ او الهمجية ـ تدق ابوابها !

والواقع ان الشطر الأكبر من التاريخ الاغريقى ، كان تسجيلا لسطو مدن على مدن أخرى بدافع من الحسد ، مما اشعل حروبا لا نهاية لها فى سبيل التفوق والسلطان ، الذى لم يكن يدوم لأكثر من فترات قصيرة . وفى هذه الحروب المستمرة ، كانت (اسبرطة) تحتفظ بالتفوق فى البر ، و (اثينا) ـ بفضل اسطولها ـ بالتفوق فى البحر

وليس من نفع كبير يرجى من وراء الاسهاب فى سرد تفصيلات تلك الحروب . على ان (اسبرطة) استطاعت ان تفرض سيادتها على جزر (البلوبونيز) ، فى حين فرضت (اثينا) سلطانها على بحر (ايجه) ، حوالى سنة ٤٥٩ ق.م . وقامت فترة سلام اعترفت فيها كل للاخرى بنطاق نفوذ لا تعتدى عليه ، واتفقتا على نظام للتحكيم فيما ينشب بينهما من خلاف . بيد ان كلا من الغريمتين كانت ترمق الاخرى بعين الحذر والتربص . وكان المتفق عليه ان يمتد أجل الصلح والسلام ثلاثين عاما ، ولكنهما نقضتا الاتفاق قبل هذا الأجل ، فقامت بينهما حرب جديدة فى سنة ٤٢١ ق.م . لم يفد منها سوى تجار الحروب ، كما هى العادة دائما !

« يتبع »

لا تخلف موعدك مع

ألبرتو مورافيا

فى قصتيه اللتين تقدمهما اليك

مطبوعات كتابى

ترقب .. « الخطيئة الأولى » و .. « فتاة من الأقاليم »

الموعد حوالى منتصف نوفمبر القادم

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
رأيت وسمعت لك فى باريس : مشاهدات وتعليقات للمحرر	١١
الغرام الذى ضحيت به : قصة مصرية بقلم الاستاذ **محمد بدر الدين خليل**	٣٩
الأفق المفقود : للروائى الانجليزى **جيمس هيلتون**	٥٣
أعلام القصة : (**ألكسندر دماس**) ، مغامر فى قصصه .. مغامر فى حياته !	٩٧
حوار العباقرة : للمفكر الألمانى المعاصر **باول أرنست**	١١٣
كتاب الشهر : (**فى داخل أفريقيا**) ، (نهضة مصر فى عهد الثورة) ، أحدث مؤلفات الكاتب الأمريكى الكبير « **جون جنتر** »	١٣٥
دنيا الحب والسعادة : للأديب الألمانى الأشهر **اميل لودفيج**	١٥١
فتياتنا المراهقات : للباحثة الفرنسية الدكتورة **سوزان برونيه**	١٧١
مذكرات كازانوفا : الكتاب الكلاسيكى الخالد فى أدب العشق والمغامرة	١٨١
أساطير القدماء	١٩٢
تاريخ العالم : الحضارة التى افتتحت سجل التاريخ	١٩٥

اقرأها بنصها الكامل فى العدد الجديد من « مطبوعات كتابى » الذى يصدر قبيل منتصف نوفمبر الحالى

وأخيراً.. تصدر بانتظام

بعد أن تم لها استقرارها

مطبوعات

كتابى

يصدرها: حلمى مراد

البرتو مورافيا

.. فنقدم لك فى حوالى منتصف نوفمبر باكورة مختاراتها الجديدة من شوامخ الكتب العالمية لأشهر المؤلفين.. القدماء والمحدثين:

الخطيئة الأولى

قصة كبرى كاملة لأديب ايطاليا المعاصر

البرتو مورافيا

الكاتب الذى يحلل لك فى أصدق وأروع أسلوب أعمق خلجات النفس الانسانية ، التى لم ينفذ إلى أغوارها كاتب آخر من قبل !

شركة فن الطباعة ٥٨١٤٩